جـامعة الشهيد حمه لخضر – الـوادي

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم العلوم الإنسانية

مذكرة بعنوان

التواصل الحضاري

بين الحواضر الجزائرية وافريقيا جنوب الصحراء

(مابين القرنين 16م /20م)

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب الحديث والمعاصر

الطالبات:

✓ليلى بن عمر

✓مريم بلول

المشرف:

أ.د.عبد الكامل عطية

الأستاذ	الصفة	الجامعة
أ.د. السعيد عقيب	رئيسا	جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي
أ.د. عطية عبد الكامل	مشرفا ومقررا	جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي
أ. سعيدة عمان	عضوا مناقشا	جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي

الموسم الجامعي: 1437-1438هـ / 2016- 2017م

بسم الله الرحمن الرحيم

ٹ ٹ ڈ

﴿ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾

﴿ ﴾ البقرة: 64

شكر وعرفان

الحمد لله الذي أنار لنا درب العلم والمعرفة

وأعاننا على أداء هذا الواجب أول مانشكر المولى عز وجل

الذي وفقنا إلى إنجاز هذا العمل،كما نتوجه بجزيل الشكر والامتنان

إلى كل من ساعدنا على إنجاز هذا العمل

وفي تذليل ماوجهناه من صعوبات، ونخص بالذكر الأستاذ المشرف الدكتور عبد الكامل عطية الذي لم يبخل علينا بتوجيهاته ونصائحه القيمة التي كانت عونا لنا في إتمام هذا البحث.

بارك الله في الجميع وجزاهم الله عنا خيرا ولهم منا عظيم الشكر والامتنان.

الاهداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى الساهرين على حمل مشعل ليضيئوا الأجيال طريق الهدى والفلاح والصحة والثراء والى اعز الناس على قلبي

إلى الوالدين الكريمين الذي من قال فيهم رب العزة بعد بسم الله الرحمن الرحيم * وقل رب ارحمهما كما رباني صغيرا *

والى إخوتي وأخواتي إلى جميع أفراد عائلتي كل واحد باسمه والى كل الأهل والأقارب والأصدقاء وأمتن جدا الى الاستاذ محمد عوادي على عطاءه اللامتناهي في سبيل العلم والتعلم .

ليلى بن عمر

إهداء

الحمد لله تعالى على كرمه وتوفيقه في إعداد هذه المذكرة المتواضعة أهدي ثمرة هذا العمل إلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة إلى نبي الرحمة ونور العالمين محمد صلى الله عليه وسلم ، وإلى كل الشهداء الذين ضحوا من أجل أن نحيا أحرارا في هذا الوطن، وإلى الوالدين الكريمين العزيزين أدامهما الله وحفظهما وإلى جميع إخوتي وأخواتي و إلى كل عائلتنا أسأل الله أن يحفظها بحفظه وعينه التي لا تنام وإلى كل الأصدقاء كما أخص بالشكر أستاذتي الغالية وإلى كل من سقط من قلمي سهوا أهدي هذا العمل .

مريم بلول

مـــقدمـة

مــقدمة:

يعتبر التواصل الحضاري بين الحواضر الجزائرية وافريقيا جنوب الصحراء مابين القرنين 16 و 20 م من المواضيع التي وجب استيفاء دراسته والتوقف عنده لاهميته البالغة، لأنه يبرز العلاقات التي كانت قائمة بين الجزائر والأفارقة والاحتكاك المتزايد بفضل انتشار الإسلام واتساع مجال التجارة ويبين كذلك بالرغم من البعد الشاسع ووجود الصحراء كحاجز طبيعي إلا أن الاتصالات والروابط ظلت قائمة وظلت الصحراء تمثل عاملا قويا من عوامل الاتصال الحضاري لهذا وفي إطار التخصص المدروس ألا وهو العلاقات المغاربية الإفريقية وقع اختيارنا على دراسة: التواصل الحضاري للحواضر الجزائرية وافريقيا جنوب الصحراء ما بين القرنيين 16و20م وهذا التواصل الحضاري يتيح لنا التعرف على العلاقات التي كانت تربط الجزائر بإفريقيا جنوب الصحراء وتبادل الإبداع النافع الذي كان بين المنطقتين وكيفية انتقاله لباقي القارة الا أن هذا التواصل تلاشى لأن القارة شهدت فترات عصيبة من أشكال السيطرة والاستعمار والقمع سواء كان ذلك من الخارج والمتمثل في تنافس القوى الكبرى حول خيراتها، أو من الداخل ممثلا في الأنظمة السياسية الحاكمة والتي يغلب الاستبداد والدكتاتورية على معظمها، أما اختيارنا للمجال الحضاري في عملية التواصل راجع إلى الرغبة الملحة في الاطلاع على هذا الموضوع، زيادة على أنه شامل لأن المجال الحضاري يظم في داخله المجال السياسي والاقتصادي والثقافي والاجتماعي والفكري والفني كذلك كما أن التريف الحاد الذي عرفته العلاقات جعلتنا نحاول إماطة اللثام عن العراقيل والمعوقات التي واجهت وتواجه عملية التواصل الحضاري بالإضافة إلى شغفنا بالإطلاع على الإرث الحضاري الذي تركه علماء الجزائر بالسودان الغربي وإفريقيا جنوب الصحراء أمثال عبد الكريم المغيلي حيث شهد العصر ازدهارا ثقافيا كبيرا يمكن تجسيده في تلك الحركات العلمية والثقافية والذي ساعد في ذلك كثير من العلماء والفقهاء، بحيث يعود لهم الفضل في انتشار عدة حواضر علمية في أرجاء البلاد ففي تلمسان حاضرة الزيانين آنذاك عرفت كمًا هائلا من العلماء اللذين نبغوا في مختلف العلوم والمعارف، مما أدى إلى ازدهار الحياة الثقافية والحضارية إضافة الى علماء

توات ومنطقة تمنطيط خزانة المخطوطات التي تعتبر هذه المخطوطات الموجودة فيها أقدم وأهم شهادة تاريخية علمية لوقائع الحياة الاجتماعية وثقافية في اقاليم توات وقورارة وغيرها من الحواضر الجزائرية التي كانت تتواصل مع افريقيا جنوب الصحراء وكانت حاضنة للعلماء والأئمة.

1- اشكالية الدراسة:

وللتعرف عن الموضوع أكثر قمنا بطرح الإشكالية التالية ما مدى تأثير هذا التواصل الحضاري على الأفارقة بصفة عامة وعلى الحواضر الجزائرية على وجه الخصوص وكيف يمكن لنا إحياء جذوة هذا التواصل الحضاري وبعثه من جديد الذي قصد الإستعمار الأوربي طمسه وماهي أهم الحواضر الجزائرية والإفريقية التي ظهرت مابين القرنيين 16 و20م ووطدت العلاقة بين الجزائر والسودان الغربي بداية من القرن16م

وماهي أهم مظاهر التبادل الحضاري بين الجزائر وبلدان الساحل الإفريقي؟

وماهي العراقيل والمعوقات التي واجهت وتواجه عملية التواصل الحضاري؟

وما هي السبل والطرق الممكنة لإعادة إنعاش وتفعيل العلاقات بين الجزائر و إفريقيا جنوب الصحراء ؟

2- دواعي اختيار الدراسة:

إن تحليل إشكالية الدراسة وتفحص دوافع وأسباب اختيار الموضوع تكشف الأهداف المتوخاة منه، والتي يمكن تلخيصها في النقاط التالية:

- ✓ محاولة تقديم إضافة جديدة حول التواصل الحضاري بين الجزائر والسودان الغربي.
- ✓ ابراز الدور التي لعبه العلماء والتجار والصوفية في مد جسر التواصل بين المنطقتين وتحقيق ماعجز عنه الحكام.
- ✓ الكشف عن طريق انتقال المؤثرات الحضارية وإبراز مظاهرها التي تمثلت في التعرف على أهم العوامل المتحكمة في عملية التواصل الحضاري والمتمثلة في إدراك أهمية ودور الهجرات والطرق الصوفية وطرق القوافل والتأثر بالعلماء وإصلاحاتهم.

✓ محاولة استقراء المصادر واستنباط الإرث الحضاري للحواضر الجزائرية والإفريقية.

3- حدود الدراسة:

أماعن اختيارنا للفترة الزمنية 16_20م في عملية التواصل الحضاري بين الجزائر وإفريقيا جنوب الصحراء يعود بالأساس إلى أن هذه الفترة تظهر لنا إستمرار الكشوفات الجغرافية للقارة الإفريقية والتي انطلقت من القرن 15م وأن هذه الفترة تبين أن المستعمر الأوربي جاء إلى القارة لإستغلال خيراتها فنشطت تجارة العاج والذهب والعبيد والمحاصيل الزراعية الإستوائية والمدارية، وخير دليل على ذلك الحصون التي بنوها لتجميع هذه المنتجات والعبيد على سواحل غرب إفريقيا لممارسة تجارتهم الرائجة في تلك الفترة.

4- خطة الدراسة:

وللاجابة عن هذه التساؤلات اتبعنا الخطة التالية : التي من خلالها قسمنا موضوعنا إلى ثلاث فصول الفصل الأول بعنوان جغرافية الحواضر الإفريقية والجزائرية مقسم لمبحثين المبحث الأول: جغرافية الحواضر الإفريقية والمبحث الثاني جغرافية الحواضر الجزائرية والفصل الثاني بعنوان التواصل الحضاري بين الجزائر وإفريقيا جنوب الصحراء تضمن كذلك مبحثين الأول بعنوان طرق ووسائل التواصل الحضاري من بين هذه الطرق نجد طرق القوافل والهجرات والائمة والدعاة والفقهاء والطرق الصوفية والمبحث الثاني بعنوان مظاهر التواصل الحضاري والحركة العلمية وأعلامها والإفريقية والجزائرية أما الفصل الثالث والأخير فكان بعنوان التحديات والسبل الممكنة لإنعاش التواصل الحضاري ضم مبحثين الأول بعنوان معيقات التواصل الحضاري والمبحث الثاني بعنوان الحلول والسبل الممكنة لإنعاش التواصل الحضاري بين الجزائر وإفريقيا جنوب الصحراء .

5- الدراسات السابقة:

لقد سبقت دراسات تناولت الموضوع ولكن من زوايا أخرى مثل: مبارك جعفري: الحياة العلمية في إقليم توات وانعكاساتها جنوب الصحراء خلال القرن 12هـ / 18م، وعبد الله عباس: الدور الحضاري لاقليم توات وتأثيراته في اقليم السودان الغربي، ويندرج هذا الموضوع في سياق

المحاولات التي تهدف إلى مكانة الجزائر داخل القارة خاصة في المجال الحضاري في مسارها الصحيح.

6- المنهج المتبع في الدراسة:

أما عن طبيعة الدراسة فكانت هي التي تملي علينا نوع المنهج المعتمد، فقد إرتأينا عدة مناهج متكاملة فأعملنا المنهج التاريخي: الذي يسمح بتصوير الحدث بما يمكن ملاحظة التداخل بين مختلف المؤثرات التي أسفرت عنه _التواصل الحضاري_ ويحتم السياقات الزمنية في توظيف المادة المقدمة وترتيبها زمنيا لفهم مختلف التحولات الطارئة بالمنطقتين والمنهج الإحصائي: لما يستدعي الأمر من إحصاء عدد العلماء والهجرات ودور الجزائر ومكانتها بالنسبة للمنطقتين، ولتحليل مضمونها وفهم محتواها أعملنا المنهج التحليلي: والذي يتماشى مع المنهج البنيوي: القائم على إستقراء المادة المعرفية المتوفرة من أجل تفكيكها وإستخراج المعلومات الهامة في معالجتها ثم العمل على إعادة بناءها وتركيبها وفقا للمعطيات المحصلة وأخيرا المنهج المقارن: على إعتبار أن طبيعة الدراسة تفرض علينا رصد عملية التواصل الحضاري بكل من الحواضر الجزائرية وإفريقيا جنوب الصحراء خلال الفترة المدروسة وإجراء مقارنة بينهما.

7- تقديم المصادر والمراجع:

أما عن المصادر والمراجع التي تخدم موضوع دراستنا المتواضعة فكان من بينها:

أ- المصادر:

ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر تناول منطقتي الصحراء وغرب إفريقيا وتحدث عن حركة القوافل التجارية عبر الصحراء الكبرى، وابن بطوطة: تحفة الأنظار: من أعظم الرحالة في العصور الوسطى وتعد المادة الغزيرة التي سجلها في رحلته من أهم المصادر لدراسة أوضاع المسلمين السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية في المنطقة الواقعة مابين الهند والمغرب الأقصى بما في ذلك غرب افريقيا والصحراء الكبرى، وابن الحوقل: يعتبر ابن حوقل من أشهر مؤلفي القرن الرابع الهجري الذين تناولوا مسالك الصحراء والعمري: مسالك الأبصار

في ممالك الأمصار، واليعقوبي: ويعتبر اليعقوبي أول جغرافي عربي مدنا بمعلومات مباشرة عن الطرق الصحراوية، والبكري: تعرض البكري بتفصيل دقيق للصحراء المغربية وغرب افريقيا فتناول الطرق بمراحلها وأماكن وجود المياه والمخاطر التي تواجه القوافل وأورد تفاصيل وافرة عن دور المراكز التجارية، وياقوت الحموي: يعتبر ياقوت الحموي من أبرز كتاب المعاجم الجغرافية في التراث العربي، وتناولت المادة التي تضمنها كتابه (معجم البلدان) معلومات كثيرة عن الطرق الصحراوية ومحطات التجارة والسلع، وحسن الوزان، وعبد الرحمان السعدي: تاريخ السودان، وعبد العزيز القتشالي: مناهل الصفا في موالينا الشرفاء... وغيرها من المصادر التي تخدم موضوعنا.

ب- المراجع:

المراجع كانت عديدة نذكر من بينها:

اسماعيل العربي: حاضر الدول الإسلامية في القارة الإفريقية، عبد الله مقلاتي: دور منطقة توات الجزائرية في نشر الإسلام والثقافة العربية بإفريقيا الغربية، عمار هلال: الطرق الصوفية ونشر الإسلام والثقافة العربية في غرب إفريقيا السمراء، شوقي عطاء الله الجمل: تاريخ المسلمين في إفريقيا ومشكلاتهم، أحمد إلياس حسن: إنتشار الإسلام في شرق إفريقيا.

8- الصعوبات:

أما عن الصعوبات ككل بحث علمي واجهتنا عدة صعوبات التي تواجه كل باحث منها:

- إفتقار المكتبة الجامعية للمصادر والمراجع المتخصصة.
- قلة المعلومات وتشابهها في معظم المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها.

كل هذه الصعوبات التي واجهتنا: هي مجرد صعوبات روتينية يتلقاها الباحث في مسيرة البحث العلمي التي يستوجب عليه ذلك، ولكن بالرغم من كل هذا فقد استطعنا وبحمد الله تخطي جل هذه الصعاب وإتمام عملنا والذي نرجو من الله تعالى أن نكون قد أضفنا دراسة جديدة في فائدة الطلبة والباحثين، كما نأمل أن نكون قد وفقنا في عملنا هذا الذي ساهم في اثراء رصيدنا المعرفي اذ يعود الفضل في ذلك إلى الله وإلى الأستاذ الدكتور عبد الكامل عطية الذي أشرف

علينا وأمدنا يد العون فلم يبخل علينا بنصائحه وتوجيهاته فجزاه الله عنا خيرا ، فإن وفقنا فهو من كرم الله ومنًه، وإن أخفقنا فحسبنا نبل المقصد والغاية والهدف، فالصعوبات تمنح البحث قيمته العلمية وتجعل الباحث يوظف قدراته الذهنية، مسخرا كل طاقاته لتجاوزها، حيث اعتبر المفكر الجزائري مالك بن نبي في نظرياته المميزة أن: "الصعوبات تعد علامة نمو المجتمع، لأنها محفز لليقظة والنهضة "، وفي الأخير لا ندعي في عملنا هذا اكمالا وأننا أحطنا واستوفينا بكل أحداث ووقائع الموضوع ولكن على الأقل اطلعنا على جزء يسير منه.

الفصل الأول

جغرافية الحواضر الافريقية والجزائرية

المبحث الأول: جغرافية الحواضر الإفريقية (إفريقيا جنوب الصحراء)

1-تمبكتو

2-جيني

3- السنغاي

4- الجاو (كوكو)

5- اودغست

المبحث الثاني : جغرافية الحواضر الجزائرية

1-الجزائر

2-قسنطينة

3-تلمسان

4-ورجلان

5- توات

المبحث الأول: جغرافية الحواضر الإفريقية (إفريقيا جنوب الصحراء)

قبل التحدث عن حواضر افريقيا جنوب الصحراء يجب التطرق أولا إلى إقليم إفريقيا جنوب الصحراء وغرب إفريقيا بصفة عامة والإلمام بجغرافيته وموقعه العام.

لقد تضاربت الآراء حول **تسمية إفريقيا**، وهو اسم القارة الحالي، فكانت قديما تسمى ليبيا وكانت مقسمة إلى مناطق رئيسية ثم أطلق عليها خلال العصور الوسطى أثيوبيا أي قارة السود وهي كلمة يونانية الأصل ثم استعملت في التعبير عنها كلمة "إفريقيا" وكانت تشير لدى القدماء إلى منطقة في تونس تدعى "رأس أفري" الذي سمي بذلك إلى قبيلة من البربر،وقد اشتقت الكلمة من تعبير قديم عن المغارة والكهف أيضا حيث كان أهل المنطقة يسكنون ما يشبه الكهوف، ثم استخدم العرب هذا المصطلح "إفريقيا" وتخصصت ليبيا وأثيوبيا للتعبير عن المنطقتين الجغرافيتين المعروفتين بهاذين الاسمين، بينما استخدمت كلمة "إفريقيا" للتعبير عن القارة الجميلة[1].

لم تكتفي الآراء حول هذه التسميات وهذه الدلالات فقط، هناك أيضا من يرى، أن كلمة إفريقيا، اشتقت من الفعل تفريق، أو يقال أن إفريقيا سميت بذلك لاقترابها من أوروبا وهي جزء مفصول عنها ويذهب الرأي الثاني، إلى أن هذا الاسم مشتق من إفريقيا، ملك اليمن، الذي كان أول من سكن هذه البلاد فلما رجع إلى مملكته بعد أن غلبه الملوك الأشوريين وطردوه، اجتاز النيل ثم تابع سيره نحو الغرب، ولم يقف حتى وصل إلى ضواحي قرطاج، لذلك العرب يعتبرون إفريقيا سوى ضاحية قرطاج نفسها [2].

بينما يطلقون اسم الغرب، على سائر إفريقيا، أما لفظ الغربية، فهي من المغرب، وهو مصطلح يطلق عادة على كل ما يقابل الشرق، أي يعني به، الجزء الغربي من القارة الذي

[1] أبو عبد الغني العقاد، الوجيز في اقليمية القارة الافريقية، دار المريخ، الرياض، 1982 م، ص 206.

[2] حسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف افريقيا، تر :محمد حجي، محمد الأخضر، ط2، دار الغرب الاسلامي،بيروت،ج1،1993 م ص 27.

يشمل مجموعة من البلدان، وعندما نأخذ كلمة إفريقيا الغربية كجزء من القارة، ونبحث عن تاريخ أصل تسميته عبر الزمن نجده يطلق عليه لفظ، السودان الغربي[1] وهو في الأصل ثلاثة سوادي السودان الغربي، السودان الأوسط، السودان الشرقي[2] كما أطلق العرب كلمة السودان، على كل المناطق الواقعة جنوب مصر والتي يسكنها السود ومنهم من كان يقصد بلاد السودان المناطق الواقعة في الغرب والوسط فقط، لأن تسميات أخرى لأصحاب البشرة السوداء في غير هذه التسمية إلا أن سكان هذه المناطق هم من ذوي البشرة السوداء[3]. واعتمادا على ما سبق فانه يمكننا حصر منطقة إفريقيا جنوب الصحراء وهي الإطار المكاني لبحثنا في الأراضي الواقعة غرب القارة الإفريقية التي يحدها المحيط الأطلسي من الجهة الغربية وخليج غينيا من الجهة الجنوبية والجزائر وليبيا من الناحية الشمالية يضاف إلى هذه المناطق جزر الرأس الأخضر التي ارتبط تاريخها بالساحل الغربي لإفريقيا[4].

الموقع الفلكي:

تقع منطقة غرب إفريقيا[5] عند خط عرض 9° و 17°شمال خط الاستواء[6]، وهي مساحة تبلغ 2.4 مليون ميل مربع، في حين يرى الرحالة "عمر التونسي" أن موقع المنطقة الفلكي هو عند خط عرض 10°شمالا[7].

---

[1] محمد فاضل علي باري، سعيد ابراهيم كريدية، المسلمون في غرب افريقيا، تاريخ وحضارة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007 م، ص 14.

[2] يحي بوعزيز، تاريخ افريقيا الغربية الاسلامية من مطلع القرن 16 الى مطلع القرن 20،دار هومة، الجزائر، 2001م، ص14.

[3] محمود شاكر، السودان، ط2، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1981 م، ص9.

[4] باري، كريدية، نفسه ص 20.

[5] ينظر: الملحق رقم(01)، ص124

[6] عبد الله عبد الرزاق ابراهيم، شوقي عطا الله الجمل، دراسات في تاريخ غرب افريقيا الحديث والمعاصر، 1998 م، القاهرة (د ط)، ص 05.

[7] محمد بن عمر التونسي، تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان، تح : خليل محمد عساكر، مصطفى محمد مسعد، الدار المصرية، 1965 م، القاهرة، (د ط)، ص 132.

أما **موقعها الجغرافي** نجد "ابن حوقل" يقول في ذلك: <<..أما جنوبي الصحراء من بلاد السودان فان بلدهم الذي أقصى المغرب على البحر المحيط بلد ملتف ليس بينه وبين شيء من الممالك اتصال غير أن حدا له ينتهي إلى البحر المحيط وحدا له ينتهي إلى برية بينه وبين أرض مصر على ظهر الواحات... وطول أرضهم ألف فرسخ [1]... >> [2].

أما مارمول كاربخال فيضيف عن بلاد السودان ويقول: <<.. إن بلاد السودان التي يسميها الأفارقة كناوة والزنج والنوبة هي أثيوبيا السفلى.. >> [3].

وفي هذا المجال يقول القلقشندى عن بلاد السودان أنه يحدها من الغرب البحر المتوسط ومن الشرق بحر القلزم مما يقابل اليمن، ومن الشمال الصحراء الممتدة بين مصر وبرقة وبلاد البربر من جنوبي المغرب إلى البحر المحيط، ومن الجنوب الخراب مما يلي خط الاستواء[4] ومن خلال استقراء عدد من الروايات[5] نجد أن منطقة السودان الغربي تشمل حوض نهر السنيغال[6] ونهر غامبيا والمجرى الأعلى لنهر الفولتا والحوض الأوسط لنهر النيجر[7].

---

[1] الفرسخ :وهو وحدة لقياس المسافات عند الغرب سابقا، وقد قدر المؤرخون الفرسخ بحوالي ثلاثة أميال، والميل يساوي 1.60 كلم، وبالتالي الثلاث أميال تساوي 4.8 كلم.

[2] أبي القاسم بن حوقل النصبي، صورة الأرض، مكتبة الحياة، 1992 م، بيروت، (د ط)، ص 14.

[3] مارمول كاربخال، افريقيا، تر : محمد حجي وآخرون، مكتبة المعارف، 1984 م، الرباط، (د ط)، ج 01، ص 51.

[4] أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الانشاء، المؤسسة المصرية العامة، (د ت)، القاهرة، (د ط)، ج 05، ص 275.

[5] محمد بن عمر التونسي، المصدر السابق، ص 132.

[6] نهر السنيغال : هو سادس أنهار القارة من حيث الطول ينبع من مرتفعات غينيا، ويسير نحو الشمال الشرقي ثم يغير اتجاهه نحو لشمال الغربي مكونا الحدود السياسية بين موريتانيا شمالا والسنيغال جنوبا، ونهر السنيغال صالح للملاحة فقط في فصل الأمطار، للمزيد ينظر :فتحي محمد أبو عيانة، جغرافية افريقيا دراسة اقليمية للقارة مع التطبيق على دول جنوب الصحراء، دار المعرفة الجامعية، 2002 م، الاسكندرية، ص 185.

[7] نهر النيجر :هو ثالث أنهار افريقيا من حيث الطول ومساحة الحوض، ويكاد يشابه النيل من حيث المسار الذي يخترق عددا من الأقاليم الطبيعية، وينبع نهر النيجر من السفوح الشمالية لهضبة فوتاجالون في أقصى في أقصى الجنوب الغربي من غرب افريقيا، وبذلك فان منابعه ليست بعيدة كثيرا من المحيط ويتجه الى الشمال ثم الشمال الشرقي حتى تمبكتو للمزيد ينظر: محمد رياض وكوثر عبد الرسول، دراسة لمقومات قارة افريقيا، دار النهضة العربية، (د ت)، بيروت، (د ط)، ص 131.

ومنه يمكن القول أن إفريقيا الغربية تمتد من موريتانيا غربا حتى النيجر شرقا ومن موريتانيا شمالا حتى ليبيريا جنوبا ومن ليبيريا غربا حتى نيجيريا، أي تحدها من الشمال الصحراء الكبرى ومن الشرق الكاميرون وبحيرة تشاد ومن الجنوب خليج غينيا ومن الغرب المحيط الأطلسي، وتقسم افريقيا الغربية الى جزأين متوازيين رئيسيين هما، الجزء الغربي الذي يتمثل في السودان الغربي westsuden المنطقة الساحلية وساحل غينيا coastregion[1].

تقدر مساحة غرب افريقيا بنحو 2.4 ميل مربع يقطنها نحو 60 مليون من السكان وتبلغ مساحة الساحل حوالي 4 مليون كم^2 انطلاقا من السودان شرقا حتى المحيط الأطلسي غربا مرورا بالسنغال وموريتانيا ومالي وبوركينا فاسو والنيجر وأقصى الشمال الشرقي لنيجيريا وتمتاز هذه المساحة الواسعة للمنطقة بالتنوع البشري، التضاريسي المناخي، والنباتي والحيواني[2].

يغلب على غرب افريقيا طابع الهضاب حيث توجد مجموعة من الهضاب الواسعة التي تمتاز بارتفاعها البسيط الذي يتراوح مابين 200 م و 500 م وتتخلل هذه الهضاب مجموعة من المرتفعات والمنخفضات وتجري فيها مجموعة من الأنهار في حين تغطي الأجزاء الشمالية منها الرمال المنتمية للصحراء الكبرى وأبرز هذه الهضاب في غرب افريقيا هضبة فوتا جون في الركن الجنوبي الغربي للمنطقة التي يقرب ارتفاعها من 1000 متر الى جانب هضبة جوس في شمال نيجيريا والتي تحيط بها سهول واسعة يبلغ متوسط ارتفاعها حوالي (500م) فوق سطح البحر [3].

أما **المناخ** في افريقيا جنوب الصحراء أي غرب افريقيا متنوع بسبب اختلاف موقع البلدان ومرتفعاتها فالمناخ شبه استوائي يتميز بارتفاع الحرارة وزيادة كبيرة في الرطوبة تكثر

[1] باري، كريدية، المرجع السابق، ص 15.

[2] محمد أحمد عقله المومني، عبد علي الخفاف، جغرافية القارات (آسيا، أوروبا، افريقيا، أمريكا الشمالية، أمريكا الجنوبية، أستراليا، نيوزيلندا، جزر المحيط الهادي)، ط1، دار الكندي، دار طارق، عمان، 1998 م، ص 82.

[3] محمد موسى شريري، جغرافية القارة الافريقية، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1994 م، ص 15.

الأمطار في افريقيا الغربية على العموم كما تقل نحو الشمال في الداخل وتبقى المناطق الساحلية غزيرة بالأمطار وتصل الى درجة تصعب فيها رؤية الأشياء واذا ماتحدثنا عن الثروات الطبيعية للمنطقة، فهي متنوعة بالنسبة للنباتات تتميز المناطق الجنوبية والجنوبية الغربية بكثرة الغابات وذلك بسبب كثرة الأمطار وشدة الرطوبة،وتعتبر هذه الغابات مرتع للحيوانات كالفيل والثور الوحشي وبعض الأسود وتشتهر افريقيا الغربية بأشجار البن التي تتركز في ساحل العاج، وأشجار الكاكاو، التي تنتشر في كل من ساحل العاج[1]، وغانا، ونيجيريا[2].

كما تتخللها بعض الواحات المخضرة ذات المياه الوفيرة وأصبحت عبارة عن محطات سهلت في كثير من الأحيان مهمة القوافل التجارية وأهم هذه الواحات واحة الفزان بجنوب ليبيا وواحة توات بجنوب الجزائر ومرتفعات أهمير في شمال نيجيريا ومرتفعات قات في شمال نيجيريا ومرتفعات بلما شمال بحيرة تشاد [3].

تميزت منطقة غرب افريقيا بالتنوع العرقي في التركيبة السكانية فهي مجموعة من القبائل والعشائر، ولكل منها كيان مستقل عن الآخر، وبعد الإلمام بحيثيات جغرافية إفريقيا جنوب الصحراء (غرب إفريقيا) الذي هو موضوع دراستنا اتخذنا بعض الحواضر الإفريقية كنماذج منها:

1-تمبكتو:[4]

اختلفت الروايات التاريخية حول تحديد أصل تسمية المدينة، حيث نجد العديد من الروايات، من بينها ماأطلقه " عبد الرحمان السعدي " وهو أن اسم المدينة يعني العجوز وهذا حسب لغة أهل السودان [5]، أما الرواية الثانية فهي ترجع أن الكلمة مقسمة شطرين:

[1] ساحل العاج : يعد أغنى المناطق التي بها موارد اقتصادية بوفرة كبيرة وصلتها التنمية بعد مد سكك الحديد عبر الغابات،ينظر، محمود السيد، تاريخ افريقيا الحديث والمعاصر، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 2006 م، ص 170.

[2] محمد أحمد عقله المومني، عبد علي الخفاف، المرجع السابق، ص 28.

[3] فيصل محمد موسى، تاريخ افريقيا الحديث والمعاصر، منشورات الجامعة المفتوحة، بنغازي، 1997، ص 45.

[4] ينظر: الملحق رقم(03)، ص126.

[5] عبد الرحمان السعدي، تاريخ السودان، مطبعة هوداس، (د ط)، باريس، 1981، ص 21.

الشطر الأول: تيم وتعني المكان، والشطر الثاني: بكتو ويعني السيدة صاحبة المكان هي امرأة مسنة كانت تقيم في دلك المكان، وبالتالي نجد أن المدينة أخذت التسمية من هذا المنطلق، حيث تعني الكلمة مركبة مكان السيدة [1].

ان الاختلاف لم يقع فقط حول أصل التسمية بل حتى حول كتابتها، اذ نجد أن المدينة كتبت بعدة طرق (تنبكت)، (تينيبكت)، (تومبكتو)، ونلاحظ أن " الحسن الوزان" يقول أن تمبكتو يكتبها الصحراويين (تنبكت) وفي بعض الأحيان يزيدون حرف الياء بعد التاء (تينمبكت) [2].

تقع مدينة تمبكتو على خط العرض الشمالي 16°و43° وخط الطول الشرقي 5°،[3] وهناك من يقول أنها تقع على خط عرض 17° وخط طول 3°و 5°، [4] على الحافة الجنوبية للصحراء الكبرى قريبة من نهر النيجر – على بعد 12 ميلا من أحد فروعه [5] وهي على ارتفاع 245° من مستوى النهر[6]، وهذا القرب من النهر أعطى للمدينة مزايا كثيرة،وذلك من خلال النقل النهري والمياه.

تمتاز مدينة تمبكتو بمناخ جاف،وذلك لموقعها بالصحراء الكبرى [7] يقتصر سقوط الأمطار بهذه المدينة على بعض المرات خلال شهر جوان وحتى شهر أكتوبر وكمية الأمطار التي تسقط كل سنة لاتتجاوز 250 ملم[8]، أما عن درجة الحرارة فهي متغيرة من 4°الى 50°

---

[1] عبد القادر زبادية، مملكة سنغاي،على عهد الأسقيين (1493 – 1591 م)،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر (د ط)، ص 100.

[2] الحسن محمد الوزان الفاسي المعروف بليون الافريقي،وصف افريقيا، تر : محمد حجي، محمد الأخضر، دار الغرب ص 165.

[3] Sain **Louis** : Notice sur laregion de Tombouctou ،Imprimerie gouvernement،1869، p 38.

[4] Oskar lenz: Tombouctou vayaga au maroc au sahara et au soudan ،tome 2، Libraie Haghette،1887 ، p 148.

[5] الحسن الوزان،المصدر السابق، ص 164.

[6] عبد الحميد الجنيدي : مدينة تنبكت، تمبكتو، نشأة المدينة وتطورها، "دورية كان التاريخية "، ع 16،دار ناشري يونيو 2012م، الكويت، ص 111.

[7] Saint louis ،op _ cit، p 40.

[8] Oskar Lenz ،op _ cit، p 146 .

مئوية في الظل،والأكثر حرارة هي ماي وجوان،أما الأكثر برودة هو ديسمبر وجانفي،كما أن المدينة تمتاز بهبوب رياح شرقية مزعجة خاصة في شهري مارس وأفريل،أما الجنوبية الساخنة فهي معتادة في بعض الفصول خاصة بين جويلية وسبتمبر وتكون في الغالب مرفقة بعواصف رملية عنيفة [1].

ويوجد في تومبكتو عدة آبار مياه عذبة وفضلا عن ذلك فان الماء يصل حتى المدينة بواسطة قنوات في وقت فيضان النيجر[2]، حيث تعتمد هذه المدينة بشكل خاص في توفير المياه على نهر النيجر،الى جانب انتشار عدد كبير من الآبار فيها للاستفادة منها للشرب والأمور المنزلية أما عن مياه الأمطار فهي تكاد أن تكون نادرة،لذا نجد أن سكان المدينة لايعتمدون عليها كثيرا [3].

يشمل الغطاء النباتي في المدينة في معظمه نباتات شوكية ابرية (الحلفاء) وبعض الحشائش الشائكة،وذلك راجع لقسوة مناخ المنطقة [4]. مع مرور الزمن تمكن أهل المدينة من تحقيق ثروة زراعية من خلال القيام بالاهتمام بالزراعة،وان كانت لم تصل الى درجة الاهتمام بالجوانب الاقتصادية الاخرى [5]،حيث اشتهرت المدينة بانتشار عدد من المزروعات كالقمح والشعير [6] والذرة والأرز الذي كان يزرع على نطاق واسع،وبصورة خاصة حول نهر النيجر ورافده وكذلك اشتهر أهل المنطقة بزراعة الفول وجوز الكولا والتي تعرف عندهم باسم الجورة،اضافة الى زراعة التبغ والجلبان والحمص والثوم القصبي وغيرها من المزروعات

[1] Saint louis، op _ cit،p 40.

[2] الحسن الوزان، المصدر السابق، ص 540.

[3] عبد الحميد جنيدي، مدينة تمبكت، المرجع السابق، ص 111.

[4] الهادي مبروك الدالي، التاريخ والسياسي والاقتصادي لافريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر الى بداية القرن الثامن عشر، ط1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1999، ص 272.

[5] مريم باي وآخرون، الدور الاقتصادي والثقافي لمدينة تمبكتو خلال القرن 10 هـ – 16 م،مذكرة مكملة لنيل شهادة الليسانس للتاريخ العام، اشراف عمار غرايسة، قسم التاريخ، جامعة الوادي، 2011– 2012م، ص 14.

[6] مارمول كاربخال، المصدر السابق، ص 167.

الغذائية [1] .

ومدينة تمبكتو مقسمة الى العديد من الأحياء وذلك حسب تقسيم العالم النمساوي "أوسكار لانز" Oskar Lenz [2] وهذه الأحياء نذكرها كالتالي:

-حي سناقونقو sangoungou الى الجنوب الشرقي من المدينة يقطنه تجار غدامس [3].

-حي يوبو you bou وفيه سوق يوبو ،ومسجد يقع هذا الحي غرب حي سنافونقو.

-حي سنقوربير أو ديجبقر ،يقع غرب حي يوبو.

-حي باقيندي Baginda.

-حي بيركوندا biri conda وبه سوق اللحوم.

-حي سنكوري sankore [4].

استطاعت تمبكتو من خلال هذا الموقع أن تكتسب مزايا كبيرة،وذلك من خلال النقل النهري وتوفير المياه الى جانب العديد من الخصائص الأخرى تمثلت في ربط علاقات واسعة مع الحواضر الاسلامية وتحقيق ماتسعى اليه من شهرة اقتصادية وثقافية [5].

2-جيني:

تعتبر مدينة جني من المراكز الاسلامية الهامة في السودان الغربي، والتي تأسست في منتصف القرن الثاني أي حوالي سنة 800 م، الواقعة على نهر النيجر الأعلى [6]، على الضفة

---

[1] مريم باي ، المرجع السابق، ص14.

[2] Oskar Lenz : هو طبيب نمساوي زار مدينة تمبكتو في عام 1297هـ - 1880 م، وبقي بها حوالي 3 أسابيع للمزيد ينظر .Oskr lenz. p150

[3] غدامس : وهي منطقة كبيرة تبعد عن البحر المتوسط نحو ثلاثمائة ميل سكنها أغنياء لهم بساتين نخل وأموال وكانت لهم تجارة مع بلاد السودان، كانوا من قبل خاضعين لملك تونس، أي لخليفته في طرابلس، ويوجد في هذه المدينة دوامس وكهوف كانت سجونا للملكة الكاهنة التي كانت بافريقيا وهذه الكهوف من بناء الأولين، للمزيد ينظر : مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، تع : سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، (د ت)، بغداد (د ط)، ص 145.

[4] Oskar Lenz، op – cit، p 148.

[5] عبد الحميد جنيدي، مدينة تمبكت، المرجع السابق، ص 112.

[6] عصمت عبد اللطيف دندش، دور المرابطين في نشر الاسلام في غرب افريقيا (430 . 515هـ)، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1988 ص 106.

اليسرى لنهر باني أحد روافد نهر النيجر على الضفة اليمنى له وشيدت على هضبة صخرية وسط سهل فسيح تغمره المياه في فصل الأمطار، وتبعد مدينة جني عن تمبكتو بحوالي مائتي ميل الى الجنوب، أما موقعها حاليا فهي تقع في جمهورية مالي على خط عرض 35 و 13 شمالا، وخط طول 9 شرقي غرينيتش. [1]

لايزيد عدد السكان هذه المدينة على عشرة آلاف أغلبهم من (البوزو) و(البامبارا) و (الفولاني) واللغة السائدة فيها لغة (البوزو)،وتستعمل لغة (الصنغاي) في التجارة على الرغم من أن كثيرا من الأهالي يجيدونها.

احتفظت جنى بمبانيها القديمة ذات الطراز المعمارية المحلية التي امتازت بها.وهو الطراز المنتشر في غرب افريقيا.ثم أعيد بناء الجامع القديم الذي كان قد بنى من جديد في القرن التاسع عشر على الطراز القديم وعلى أسس الجامع الأول.[2] وفي مطلع القرن 13 م، توغل الاسلام بين أهالي مدينة "جني " حيث قاموا بهدم الأصنام التي كان يعبدونها، وأقاموا مكانها مساجد ذات الطراز المغربي الأندلسي [3]، وتقدم الاسلام تقدما عظيما في هذه المدينة، كما أشار الى ذلك ابن بطوطة الذي تنقل في هذه البلاد في القرن 8 هـ / 14 م، الى حماسة أهل المنطقة في أداء عبادتهم في دراسة القرآن الكريم، ويقول:" أنه اذا كان يوم الجمعة ولم يبكر الانسان الى المسجد لايجد أين يصلي لكثرة الزحام " [4]، وقد بني أول مسجد في جني بناء على تصميم أحد المغاربة يدعى "معلوم ادريس" الذي كان معاصرا للساحلي الغرناطي.

وفي عام 1473 م، دخلت مدينة جني تحت حكم سنغاي وعرفت جني ازدهارا كبيرا في المجالين التجاري والثقافي فمنذ منتصف القرن 12م أصبحت ثالث مدينة من حيث الأهمية

---

[1] يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 192.

[2] عبد الرحمان زكي، التنقيب عن الآثار الاسلامية في غرب افريقيا مجلة كلية الآثار جامعة القاهرة، العدد 01، مصر 1975، ص 78.

[3] عمار هلال، الطرق الصوفية ونشر الاسلام والثقافة العربية في غرب افريقيا السمراء، وزارة الثقافة،الجزائر، 2007م، ص 89

[4] ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، دار بيروت للطباعة والنشر، لبنان،1980م ص ص 421 . 422.

التجارية في السودان الغربي بعد تمبكتو، جاو، فهي ملتقى طرق القوافل، وسوق لأهم معدنين في السودان الغربي " الذهب والملح " [1]

أما في الميدان الثقافي العلمي فاحتلت المرتبة الثانية من حيث الأهمية بعد تمبكتو، فكان بها الكثير من العلماء وطلاب العلم [2]. وازدهرت مدينة جني بمكانتها العلمية حيث وفد اليها العلماء والفقهاء من بلاد المغرب ومن تمبكتو.[3]

وقد وصفها الحسن الوزان على أيام الأساقي بأنها مدينة غالب أبنيتها من الطين ومن الأخصاص وكان يقصدها الكثير من التجار ويسكنها الكثير من العلماء والمدرسين الطلاب وهي تتسع لكل الوافدين عليها بالرغم من أنها ليست الا قرية صغيرة اذا قيست بمدن المغرب في ذلك الوقت.[4]

وقد كان لمدينة "جني" أهميتان كبيرتان عند أبناء السودان الغربي في الجانبين الثقافي والاقتصادي.

3- السنغاي: [5]

لقد جاء اسم سنغاي في المصادر والمراجع بعدة الألفاظ حيث ذكرها الحسن الوزان في كتابه "وصف افريقيا "، ومحمد كعت في كتابه " تاريخ الفتاش في ذكر الملوك وأخبار الجيوش وأكابر الناس " سنغاي[6]، كما ذكرها عبد الرحمان السعدي أيضا في كتابه " تاريخ السودان " سغى[7].

---

[1] الهادي مبروك الدالي، المرجع السابق،

[2] عبد القادر زبادية، المرجع السابق، ص 106.

[3] أحمد ابراهيم دياب وآخرون ، تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن 19 م، المنظمة العربية والثقافية والعلوم، معهد البحوث والدراسات العربية، بغداد، 1984 م، ص101.

[4] عبد القادر زبادية ،المرجع نفسه، ص 108.

[5] ينظر: الملحق رقم(04)، ص127

[6] الحسن الوزان ، المصدر السابق، ص 162، محمود كعت، تاريخ الفتاش في ذكر الملوك وأخبار الجيوش وأكابر الناس، تح، تق، حماة الله ولد سالم،(د ط)، د ج، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2012 م، ص 45.

[7] عبد الرحمان السعدي، المصدر السابق، ص 2.

أما في المراجع فوردت كالتالي: صنغاي، سونغهاي، الصنغى[1]. وذكرت في المراجع الأجنبية بـ" songhai "[2]

وقد وردت العديد من الروايات حول أصل سنغاي، حيث يقول الحسن الوزان أنها قبيلة كانت تسكن النيجر حول حدود الغابات الاستوائية أولا، ثم طلعت الى الشمال وأسست حوالي القرن الأول الهجري وهم في غاية السواد[3]، كانت تمتد مساكنها حول النيجر بحوالي150 كم[4].

قامت امبراطورية السنغاي على ضفتي نهر النيجر في القرن الثالث عشر ميلادي، حلت محل امبراطورية مالي، حيث شغلت الأقاليم الواقعة جنوب تمبكتو وتمتد على ضفتي نهر النيجر والذي تميز بخصوبته الدائمة [5] الى الشمال من داهومي عند مدينة داندي الى جنوب فولتا العليا وشمال نيجيريا [6]، ونشأت هذه الدولة أو مايسمى امبراطورية سونرهاي في القرون الأولى الميلادية وأقامت علاقات تجارية وحضارية مع مصر وأعالي النيل ونقلت اليها مصر بعض العادات ومنها ألقاب الملوك بينما نقل اليها السودان الشرقي الدين الاسلامي [7]، وامتدت حدودها حتى شملت المسافة الواقعة على منحنى النيجر وجاورهم من الشمال الطوارق وجاورها من الغرب والجنوب من أهل السودان أهمها الماندينغ[8]، وقد امتدت شرقا حتى اتصلت ببرنو وكانم[9].

---

[1] جعفر عباس حميدي، تاريخ افريقيا الحديث والمعاصر، ط1، دج، مطبعة هوداس، باريس 1981 م، ص 2.

[2]IYGIEN MARG، LE PAYS MASSI EMIBELOSE IIBRAIR، EDITEUR، PARIS 1909 P9 .

[3] الحسن محمد الوزان الفاسي، المصدر السابق، ج2، ص 162.

[4] عبد القادر زبادية، المرجع السابق، ص 25.

[5] اسماعيل العربي، حاضر الدول الاسلامية، الجزائر، مؤسسة الكتاب، 1984، ص 242.

[6] سنيكي مودي سيسوكو، الصنغاي من القرن الثاني عشر الى السادس عشر، ج 4، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، 1988، ص 199.

[7] عطية مخزوم الفيتوري، دراسات في تاريخ شرق افريقيا وجنوب الصحراء (مرحلة انتشار الاسلام)، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ط 1، 1998 م، ص ص : 24 26.

[8] الماندينغ : هي الشعوب التي أسست امبراطورية مالي، حيث انتشر سلطانهم في كل افريقيا الغربية، كما يعتبروا من بين أوائل الشعوب في غربي افريقيا التي اعتنقت الاسلام، وقد اتتخذ أمرائها لأول مرة لقب منسا موسى ويعني ذلك (السلطان) للمزيد ينظر عبد القادر زبادية، المرجع السابق، ص 21.

[9] حسين مؤنس، أطلس تاريخ الاسلام (د ط)، دج، دار الزهراء للاعلام العربي،القاهرة، 1987 م، ص 374.

وكانت المملكة تنقسم الى اقليمين كبيرين هما كومينا في الغرب ودندي في الجنوب الشرقي ويتولى أمره احد أمراء الأسرة المالكة [1].

وأصبحت مدينة "غاو" هي العاصمة منذ القرن الحادي عشر فقط (1009م)، أما قبل ذلك فقد كانت العاصمة هي مدينة كوكيا (التي تقع على نهر النيجر الأدنى)، فاهتم شعبها بالأدب والعلوم والتدوين بعد أن اعتنقوا الاسلام وتعلموا اللغة العربية، وبعد اسلامهم امتدت حدودها لتشمل دولة غانا ومالي واتسعت نحو الشرق الى حدود كانوا بين النيجر وروافده بنوى [2].

4) الجاو (كوكو):

الجاو "gao" عاصمة الصنغي، وهي احدى امبراطوريات غرب افريقيا التي قامت على أنقاض امبراطورية مالي [3].

وردت في المصادر التاريخية أسماء عدة لمدينة غاو منها كاغ [4]، كوكو [5] وكاغو [6].

أسست مدينة غاو أواخر القرن الثاني هجري (الثامن ميلادي) على الضفة الشرقية لمنحنى نهر النيجر، الذي يتصل به وادي تلمسي الذي بدوره ينحدر من قلب الصحراء [7].

تعتبر من أهم مراكز الثقافة في السودان الغربي احتلت المرتبة الثالثة في ازدهار الثقافة والعلم بعد جني وتمبكتو [8].

---

[1] عطية مخزوم الفيتوري، المرجع السابق، ص ص 317 – 318.

[2] عبد القادر زبادية، المرجع السابق، ص ص 25 – 26.

[3] الحسن الوزان، المصدر السابق، ص 490.

[4] عبد الرحمان السعدي، المصدر السابق، ص 60.

[5] ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، المطبعة الأزهرية، مصر،ط 1، 1322 هـ، ج 2، ص 695.

[6] الشريف الادريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافية الدينية للنشر، مصر، مج 1، د س ط، ص 27

[7] يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 154.

[8] حسن ابراهيم حسن ، انتشار الاسلام في القارة الافريقية، مكتبة النهضة المصرية، 1963 م القاهرة، ط2، ص 222

وتقع غاو في ثنية نهر النيجر بعد أن يبدأ بالانحدار نحو الجنوب الشرقي كانت ولاية تابعة الى امبراطورية مالي [1]، حيث كانت غاو عبارة عن قرية صغيرة لكنها أخذت تتطور بمرور الزمن حيث أخذت تتوسع وتكبر، وعندما قامت مملكة السنغاي اتخذتها عاصمة لها.[2]، وقيل عنها أنها مدينة كبيرة تبعد مسافة هذه المدينة مسافة أربعمائة ميل تقريبا عن تمبكتو الى الجنوب الشرقي وبيوتها قبيحة في معظمها، وهذه المدينة مطمئنة بالأمان أكثر من تمبكتو، والخبز واللحم فيها متوافران لأقصى حد، ولكن لايمكن العثور فيها على خمر ولا على فواكه ويكثر فيها البطيخ والخيار والقطين الممتاز والأرز بكميات ضخمة وآبار مياهها العذبة عديدة وفيها ساحة يباع فيها يوم السوق عدد لايحصره عدد من الرقيق، من ذكور اناث وتتألف بقية المملكة من بلدان صغيرة ومن قرى يعيش فيها الزراع والرعاة [3]

وقد وصفها الجغرافي البكري قائلا: انها مثل غانا ففيها أحياء خاصة بالتجار المسلمين من غرب شمال افريقيا. وقد عملت يد التخريب والحروب في آثار جاغ، فلم يبقى سوى المسجد القديم وضريح أسكيا (السلطان) الحاج محمد المشيد على الطراز المحلي بالآجر على شكل هرم مدرج.[4]

ويعود تاريخ تأسيس المدينة الى أواخر القرن الثاني الهجري الثامن الميلادي، وكان سكانها عناصر من البربر قد أتوا من شمال افريقيا، وقد دخل الاسلام اليها في حوالي سنة 400 هـ / 1009 م [5]، وقد قام ابن بطوطة بزيارتها أثناء رحلته ومكث بها حوالي شهر حيث

[1] محمود شاكر، نافذ أيوب بيلتو : مواطن الشعوب الاسلامية في افريقية . مالي .، المكتب الاسلامي، بيروت، ط2، 1986، ص 72.

[2] ج. ت. نياني، تاريخ افريقيا العام، المطبعة الكاثولكية، 1988 م، بيروت، (د ط)، ج 04، ص200.

[3] الحسن الوزان، المصدر السابق، ص 543.

[4] عبد الرحمن زكي، التنقيب عن الآثار الاسلامية في غرب افريقيا، مجلة كلية الآثار جامعة القاهرة، العدد 01، مصر 1975، ص ص 74 – 75.

[5] مبارك بن الصافي جعفري، العلاقات الثقافية بين توات والسودان الغربي خلال القرن 12 هجري، دار السبيل، الجزائر، ط1، 1430 هـ / 2009 م، ص 244.

اعتبرها مدينة كبيرة من أحسن مدن السودان وأكبرها بها خيرات كثيرة [1]، أما الحميري فقال عنها: " أنها من مدن بلاد السودان وتقع على ضفة نهر الذي يخرج من ناحية الشمال، حيث يشرب أهل هذه المدينة من هذا النهر " [2]

5- اودغست:

من أهم المراكز الثقافية في افريقيا جنوب الصحراء، وهي مدينة قديمة جدا، لم يعد لها أثر الآن تقع أودغست اليوم في الجمهورية الاسلامية الموريتانية[3].

يقول البكري (ت 487 هـ) عن هذه المدينة: <<..... وهي مدينة كبيرة آهلة رملية يطل عليها جبل كبير موت لا ينبت شيء، بها جامع ومساجد كثيرة آهلة عامرة في بالمعلمين للقرآن.... >> [4]

كما يقول الجغرافي بن حوقل: " هي مدينة تقع جنوب سجلماسة على مسيرةى شهرين والى الشمال من غانا على مسيرة بضعة عشرة يوما وتبعد عن أوليل مسيرة شهر، وقد شبهها بمكة لأنها تقع بين جبلين وذات شعاب، وهي الحد الفاصل بين صحراء لمتونة وبلاد السودان " [5].

تعد مدينة أودغست مدينة اسلامية في معظمها، تعرضت عام 441 هـ (1045م) للاغارة من قبل "عبد الله بن ياسين" مؤسس الدولة المرابطية وأعمل فيها من النهب والسلب وشرد أهلها[6].

---

[1] ابن بطوطة، المصدر السابق، ص 238

[2] الحميري محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار في خير الأقطار، تح: احسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ط1، ص 502.

[3] أحمد محمد اسماعيل أحمد الجمال، تاريخ مدينة أودغست ودورها في حركة التجارة بين المغرب وافريقيا جنوب الصحراء (السودان الغربي)، مطبعة الرسالة 2008 م، القاهرة، (د ط)، ص 24.

[4] أبو عبيد الله البكري، المغرب في تاريخ افريقيا والمغرب – جزء عن الممالك والمسالك، دار الكتاب الاسلامي(د ت) القاهرة، (د ط)، ص 158.

[5] محمد أبو القاسم بن حوقل النصبي، صورة الأرض، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، (ب ط)، بيروت،1992، ص 91.

[6] عصمت عبد اللطيف دندش، دور المرابطين في نشر الاسلام في غرب افريقيا (430 – 515 هـ / 1038 – 1121م)، دار الغرب الاسلامي،1988 م، بيروت، ط1، ص 81.

اشتهرت هذه المدينة بالنشاط التجاري مع حواضر المغرب الذي ساهم في خلق نهضة فكرية من خلال توافد العلماء والسلع المتمثلة في الكتب، وان كانت أهمية هذه المدينة الثقافية لاتتجاوز ماسبق ذكره من المراكز، الا أنها استطاعت خلال القرن السادس عشر ميلادي استعادت مكانتها، حيث أسسست بها المساجد والمدارس وحظيت الثقافة الاسلامية باهتمام كبير من قبل سكان هذه المدينة [1].

بفضل هذه الحواضر الثقافية وغيرها عرفت منطقة السودان الغربي نهضة علمية وفكرية امتد صداها الى كافة أصقاع العالم، وتمكنت من أن تخلق لنفسها مكانة ثقافية هامة من خلال انتشار مظاهر الثقافة بها، سواء تمثلت في المساجد والمدارس والمكتبات أو كثرة العلماء والفقهاء الذين أخذوا على عاتقهم مسؤولية نشر العلم والثقافة العربية في البلاد.

[1] يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 156.

المبحث الثاني: جغرافية الحواضر الجزائرية

تقع الجزائر في وسط شمال غرب القارة الإفريقية بين خطي طول 9° غرب غرينتش و 12°شرقا، وبين دائرتي عرض 19° و 37° شمالا[1].

كما تقع الجزائر في القسم الشمالي من القارة الإفريقية، يحدها من الشمال البحر المتوسط، ومن الجنوب النيجر ومالي وموريتانيا، ومن الشرق تونس وليبيا ومن الغرب المغرب[2]، وتبلغ مساحتها حوالي 2.381.741 كم$_2$[3]،ويمتد ساحلها نحو 1200 كم وهو ساحل صخري حجري ولذلك تقل عليه بل تنعدم خلجان صغيرة نشأت موانئ الجزائر، وأهمها من الشرق إلى الغرب، عنابة، سكيكدة، جيجل، دلس، الجزائر، شرشال، تنس، أرزيو، وهران، المرسى الكبير[4].

وتبلغ صحراء الجزائر 86% من أراضي الجزائر وتسمى منطقة الجزائر الشمالية بجزيرة المغرب، وقد أطلق عليها هذا اللقب الجغرافيون العرب لأنها بقعة مرتفعة بجبالها وهضابها تقع بين البحر والصحراء التي تكاد تكون خالية الا من بعض الواحات والمراعي ومزارع النخيل في الجزء الشمالي منها، ويبلغ متوسط ارتفاع هضاب الجزائر الشمالية نحو 900 متر ويبلغ ارتفاع أعلى قمة في جبال الأوراس 2328 مترا وهي قمة جبل شليا [5].

وتمتد في الشمال بمحاذاة شاطئ البحر احدى سلسلة جبال الأطلس والسلسلة الأخرى تمتد في الجنوب من الشرق الى الغرب تتوسطها منطقة السهول [6].

---

[1] محمد الهادي لعروق، أطلس الجزائر العالم، (د ط)، دار الهدى، ص 10.

[2] حليمة ميشال حداد، قصة وتاريخ الحضارات العربية بين الأمس واليوم تونس،(د ط)، العدد 21 –22، 1999 م ص 103.

[3] محمود شاكر، ص 322.

[4] شوقي ضيف، عصر الدول والامارات الجزائر، المغرب الأقصى، موريتانيا، السودان، (د ط)، دار المعارف، القاهرة، ص 19. [4]) محمد الهادي لعروق، أطلس الجزائر العالم، (د ط)، دار الهدى، ص 10.

[5] شارل أندري جوليان، تاريخ افريقيا الشمالية تونس، الجزائر، المغرب الأقصى من البدء الى الفتح الاسلامي 647 م، (د ط)، ج1، تع : محمد مزالي، البشير بن سلامة، مؤسسة تاوالت الثقافية، دب، 2001م، ص 16.

[6] مارسيل اجرثو، الوطن الجزائري (د ط)، د ج، تر : عبد الله لولو، دن، دب، دس، ص 14.

1-الجزائر:

الجزائر ومعناها الجزر، وقد دعيت هذه المدينة بهذا الاسم لانها مجاورة لجزر مايورقة ومينورقة ولويزة ولكن الاسبان يسمونها آلجر. وهي مدينة قديمة بنتها قبيلة افريقية تدعى مزغنة ولذلك كان الأقدمون يسمونها مزغنة [1]

وقد وصفها الوزان وصف رائع فيقول: "وهي كبيرة جدا وتضم حوالي أربعة آلاف أسرة. وأسوارها رائعة وقوية للغاية. ومشيدة بحجارة كبيرة وتتألف من بيوت جميلة وأسواق جيدة التنسيق لكل منها مكانها الخاص، كما نجد فيها أيضا عددا كبيرة من الفنادق والحمامات ويشاهد فيها في عداد الأبنية الأخرى، جامع بهي كبير جدا يقع حافة البحر، وتمتد أمام الجامع ساحة جميلة جدا ممتدة فوق سور المدينة ذاته، وتتلاطم الأمواج عند أسفلها ويظهر حول الجزائر الكثير من البستانيين والأراضي المزروعة بأشجار مثمرة، ويمر من جوار المدينة، من الجانب الشرقي، نهر نصبت عليه طواحين ويستخدم هذا النهر لحاجات المدينة من ماء للشرب وللاستعمالات الأخرى، وسهول المنطقة جميلة جدا، ولاسيما مايسمى المتيجة الذي يبلغ طوله حوالي خمسة وأربعين ميلا بعرض مقداره ست وثلاثون ميلا وحيث ينمو قمح وفير للغاية من أجود الأنواع "[2].

2-قسنطينة:

يعد اقليم قسنطينة من أكثر أقاليم الجزائر ثروة وخصبا ومن أوسعها مساحة، ويحد هذا الإقليم شمالا البحر،وغربا واد الصمار،الذي يعرف بوادي بني منصور،وبني عباس،ومن الجنوب يحد اقليم قسنطينة الصحراء ويلحق به مدينة ورقلة،أما من الجهة الشرقية فيحده اقليم تونس.[3]

[1] الشريف الادرسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، المكتبة الثقافية الدينية للنشر، مصر، مج 1، (د س ط) ص 26.

[2] الحسن الوزان، وصف إفريقيا، المصدر السابق، 417.

[3] سعودي يمينة،الحياة الادبية في قسنطينة (خلال الفترة العثمانية)،رسالة ماجستير في الادب الجزائري القديم، جامعة الاخوة منتوري -قسنطينة – ص 10.

لم يكن للقطر الجزائري،قبل القرن العاشر،وحدة سياسية جغرافية كالتي عرفها بعد ذلك.ولذلك لم تكن مثلا تلمسان الزيانية ولاقسنطينة الحفصية عاصمة للقطر كله كما أصبحت مدينة الجزائر في العهد العثماني.[1]

وهي مدينة قديمة من بناء الرومان من خلال أسوارها القديمة العهد، العالية، والسميكة،والمصنوعة من حجارة منحوتة مسودة.وتقع قسنطينة فوق جبل شديد الارتفاع وهي محاطة من الجهة الجنوبية بجروف عالية يمر من أسفلها نهر يدعى سوفغماز.والضفة الأخرى للنهر محفوفة أيضا بجروف،حتى أن الفج العميق الذي يقع بين هذين الجرفين القائمين يقوم بوظيفة خندق بالنسبة للمدينة،ولكنه أكثر فائدة للمدينة من مجرد خندق

وتتمتع المدينة من الشمال بأسوار غاية غاية في المناعة،وهي فضلا عن ذلك تقع في أعلى قمة في الجبل.وينتج عن ذلك تعذر الوصول الى قسنطينة الا بدروب ضيقة صغيرة.بعضها من الشرق وبعضها من الغرب.وللمدينة أبواب ضيقة صغيرة.بعضها من الشرق،وبعضها من الغرب وللمدينة أبواب جميلة كبيرة جيدة التصفيح بالحديد.

وتستطيع قسنطينة،استنادا الى أبعادها،أن تضم ثمانية آلاف أسرة ولديها موارد كبيرة،وهي مدينة مطمئنة،مليئة بأبنية شريفة وبمنازل كبيرة كالجامع الكبير ومدرستين وثلاث زوايا أو أربع وأسواقها عديدة،حسنة التنظيم.[2]

3-تلمسان:

تتوسط تلمسان الصحراء والتل تسمى بلغة البربر تلمسن كلمة مركبة من تلم وتعني تجمع وسن معناها اكنان، اي الصحراء والتل[3] وقيل كذلك جمع كلمة تلمس، ومعناها مكان يتجمع به الماء، أخذت تلمسان على مر العصور عدة أسماء فكانت بوماريا في العهد الروماني

[1] أبو القاسم سعدالله، تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر الى الرابع عشر الهجري (16-20م) الجزء الأول،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر 1981،ص164.

[2] الحسن الوزان،وصف فريقيا ص ص : 427 428.

[3] يحي ابن خلدون ، بغية الرواد، ج 1، تحقيق عبد الحميد حاجيات، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص 122.

ثم أجادير، وتاقرارت عهدي الأدارسة والمرابطين، لتنظم المدينتين وتصبحا تلمسان.[1]، وقيل أنها اسم لمدينتين بالمغرب متجاورتين، احداهما قديمة والأخرى حديثة، والحديثة هي التي اختطها اللثمون ملوك المغرب، واسم القديمة اقادير، بها خيل كثير وبها صناعة الصوف، والمسافة بينها وبين وهران مرحلة وتبعد عن البحر سبعة فراسخ.[2]، وقيل أيضا أنها مدينة كبيرة ولايذكر التاريخ اسم مؤسسسها ويقال أنها كانت مدينة صغيرة أخذت في الامتداد في أعقاب خراب رشغون، وخاصة بعد أن طردت قوات الحاجب المنصور من المنطقة. [3]

وهي مدينة اسلامية شهيرة، كانت في الأصل مدينة بربرية تدعى أقدير، احتلها الرومان وأنشئوا بها معسكرا سموه بومارية، فتحها أبو المهاجر دينار سنة 55 هـ وهزم حولها كسيلة البرنسي ثم دخلها عقبة في ولايته الثانية، وبعد ذلك علا صيتها وتبحر عمرانها وازدهرت الثقافة والعلم فيها، وأصبحت أهميتها بالنسبة للمغرب الأوسط كأهمية فاس في المغرب الأقصى والقيروان لافريقية [4].

ولقد تعددت واختلفت المصادر الجغرافية والتاريخية في وصف تلمسان، حيث قال عنها الحميري: "مدينة عظيمة قديمة في آثار للأول كثيرة، على أنها كانت دار مملكة لأمم سالفة، وهي سفح جبل أكثره شجر الجوز، ولها خمسة أبواب، ثلاثة منها في القبلة: باب الحمام وباب وهب وباب الخوخة، وفي الشرق باب العقبة وفي الغرب باب أبي قرة، وفيها بقية من النصارى ولهم بها كنيسة معمورة...سور متقن الوثاقة وهي مدينتان في واحدة" [5]، ووصفها يحي ابن خلدون بقوله: "مدينة عريقة في التمدن، لدنة الهواء، عذبة المياه، كريمة المنبت... عروسة فوق

[1] ابن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ط1، مطابع هيد لبرع، بيروت، 1975، ص 135.

[2] مارمول كاربخال، افريقيا، تر : محمد حجي وآخرون، دار المعارف للنشر والتوزيع، ب ط، ج2، الرباط، 1984م، ص ص : 291 . 293.

[3] الحسن الوزان ، المصدر السابق، ص 389.

[4] علي الجزنائي، جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تح : عبد الوهاب ابن منصور، المطبعة الملكية، ط2، الرباط، 1411/ 1991 م، ص 14.

[5] الحسن الوزان ، المصدر السابق، ص 135.

منصة والشماريخ مشرفة عليها اشراف التاج على الجبين..."[1]، أما عبد الرحمان ابن خلدون فقال عنها: " هي قاعدة المغرب الأوسط وأم بلاد زناتة اختطها بنو يفرن بما كانت في مواطنهم، ولم تقف على أخبارها قبل ذلك، يزعم ساكينيها أنها أزلية البناء " [2]، ووصفها الادريسي: " مدينة أزلية لها سور حصين... لها نهر يأتيها من جبلها المسمى بالصخرتين، وعليه ارحاء كثيرة وماجاورها من المزارع كلها مسقى، غلتها ومزارعها كثيرة وفواكهها جمة وخيراتها شاملة، لم يكن في بلاد المغرب بعد مدينة أغمات وفاس أكثر من أهلها أموالا ولا أرفه منهم حالا ".[3]

تقع تلمسان غرب المغرب الأوسط جنوب مدينة وهران الساحلية مسيرة يومين،وهي قاعدة المغرب الأوسط[4] تقع على السفح الشمالي لجبل الصخرتين، وهذا الجبل هو الطرف الشرقي لسلسلة جبال الريف، التي تسير بموازاة السهل الساحلي من المغرب الاقصى حتى تصل الى منطقة ضيقة قرب تلمسان، حيث اعتبرت هذه المنطقة الحد الفاصل. بين المغرب الأوسط والمغرب الأقصى، مما مكن تلمسان في التحكم بالممر البري بين الداخل والخارج للمنطقة، تحيط بها الجبال من الغرب والجنوب اذ كانت هاته الجبال مانعا طبيعيا للمدينة بنوعية صخور تمكنها من تخزين المياه واخراجها على شكل أنهار وينابيع [5].

ويوجد في هذه المدينة موارد عديدة للماء، ولكن العيون تقع خارج المدينة، وأسوارها عالية جدا ومتينة للغاية ولها خمسة أبواب شديدة الاتساع، وذات مصاريع مصفحة بالحديد وقد أقيمت في جوف هذه الأبواب السميكة حجرات صغيرة يقيم فيها الموظفون والحرس والمكاسون.[6]

---

[1] يحي ابن خلدون، المصدر السابق،ص ص 122. 124.

[2] عبد الرحمن ابن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج 7، دار الفكر، لبنان، 2000، ص 102

[3] الحسن الوزان،المصدر السابق، ص 248.

[4] عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ص 102.

[5] الشريف الادريسي، المصدر السابق، ص 248.

[6] الحسن الوزان، المصدر السابق، ص 388.

4-ورجلان:[1]

تقع ورجلان (ورقلة حاليا) في قلب الصحراء المنخفضة، هي معروفة بمياهها الجوفية وثروتها المعدنية وتعد من أهم مدن الجنوب الشرقي [2]، وهي مدينة قديمة جدا بناها النوميديون في صحراء نوميديا ولها جدار سور وبيوت جميلة حولها في واحة نخيل واسعة وتقوم الى جوارها بضعة قصور وعدد لا يحصى من القرى.[3]

ولقد تعددت تسميات مدينة ورجلان حسب المؤرخين الغربيين والعرب، فذكرها ابن خلدون باسم واركلا [4]، وتعدت أسمائها عند ابن حوقل في كتابه صورة الأرض باسم وركلة ورجلان.. وغيرها، كما اختلف المؤرخين الفلكيين في ضبط موقعها الفلكي، حيث أن نصر الدين سعيدوني ذكر موقعها بين خط 32°، أما توماس، فقد حددها ب:31° شمالا وخط طول 25،0° شرقا، ويحدها من الشرق الحدود التونسية، ومن الجنوب الغربي اليزي وتمنراست، والشمال الشرقي وادي ريغ وبسكرة ووادي سوف،ومن الشمال الغربي منيعة والجلفة وغرداية.[5]،تحاذيها منخفضات وادي ريغ، والزيبان، ونفزة، والجريد من الجهات الشمالية والشرقية، وتدين في وجودها لوادي مية، تسكنها ثلاث مجموعات تنتمي الى قبيلة وارجلان الزناتية البربرية، احتلها الاستعمار الفرنسي سنة 1853.[6]

وعن حدودها يقول صاحب غصن البان أنه يحاذيها من الجنوب بلاد تيغورت وبينهما مسافة 160 كلم وشمالا بلاد ميزاب وبينهما مسافة 198 كلم ومن الغرب القليعة وبينهما أقل

---

[1] ينظر: الملحق رقم(05)، ص128

[2] رضوان شافو،الجنوب الشرقي خلال العهد الاستعماري، ورقلة نموذجا، 19621844، رسالة دكتوراه مخطوط، اشراف التلمساني بن يوسف، جامعة الجزائر، 2012، ص ص 40، 42.

[3] الحسن الوزان ، المصدر السابق، ص 389.

[4] عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ص 64.

[5] رضوان شافو ، المرجع السابق، ص ص 35 . 36.

[6] ناصر الدين سعيدوني، ورقلة ومنطقتها في العهد العثماني، مجلة الأصالة، الجزائر، ع 41، جانفي 1977، ص ص 72 . 73.

من مسافة 350 كلم3.[1]،وتبعد عن العاصمة الجزائر مسافة 800 كلم عن طريق البر، تحتل ورجلان موقعا استراتيجي هام كونها تقع في مفترق الطرق في شمال الصحراء وبوابة لها ومحطة للقوافل التجارية.[2]

اما مناخها فلا يختلف عن باقي المدن الصحراوية، المناخ الصحراوي الجاف، الذي يتميز بقلة التساقط والحرارة المرتفعة في فصل الصيف، لتصل في بعض الأحيان 50م° ويبلغ المتوسط الحراري السنوي خاصة في جويلية بين 22.5/7 و 34.1 بالاضافة الى البرودة في فصل الشتاء وهذا ماينعكس على الغطاء النباتي الذي يمثل بقلة الكثافة، والمتميز بأشجار النخيل والنباتات الشوكية بالاضافة الى وجود المياه الجوفية.[3]

وقد وصفها الادريسي على أنها:"مدينة فيها قبائل مياسير وتجار أغنياء يتجولون في بلاد السودان الى بلد غانا وبلاد ونقارة، فيخرجون منها التبر ويضربونه في بلادهم باسم بلدهم [4]، وقد اكتسبت ورجلان شهرة كبيرة لعلاقاتها التجارية الواسعة، فكان أهلها لهم لدور الريادي في قيادة قوافل التجارة الى بلاد السودان[5].

وبالتالي كانت ورجلان مركزا تجاريا هاما اختصت بتجارة التبر نظرا الى الدور الكبير الذي لعبه هذا المعدن في الاقتصاد العالمي.[6]

---

[1] ابراهيم صالح بابا حمو أعزام : غصن البان في تاريخ وارجلان، تح : ابراهيم بكير بحاز وسليمان بن محمد بومعقل، العالمية، غرداية، ط1، 2013 ص ص 95، 96.

[2] مولاي بلحميسي ، مدينة ورقلة في رحلة العياشي، مجلة الأصالة، ع 41، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، 1974، الجزائر، ص 60.

[3] رضوان شافو : المرجع السابق، ص 40.

[4] الادريسي، المصدر السابق، ص 296.

[5] الهادي المبروك الدالي ، التاريخ السياسي والاقتصادي لافريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر الى بداية القرن الثامن عشر، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، ربيع الثاني 1420 هـ أغسطس 1999 م، ص 299.

[6] الياس بن عمر حاج عيسى، مدينة ورجلان _ دراسة في النشاط الاقتصادي والحياة الفكرية (في الفترة 4 . 10هـ / 10 . 16 م)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الماجستيرفي التاريخ الاسلامي، اش، عبد العزيز لعرج، جامعة الجزائر، 1429 . 1430 هـ / 2008 . 2009 م ص 92.

5- توات:

لقد اختلف الدارسون والباحثون في أصل تسمية منطقة توات[1] بهذا الاسم ويدور الاختلاف على مذهبين تتفرع منهما الآراء المختلفة، فالرأي الأول يقول أن أصل التسمية عربي مشتق من الفعل واتى فهي تواتي العباد، أما الرأي الآخر، فيقول أن أصل الكلمة أعجمي بربري لا صلة له بالعربية، فما دام الفرع وهو القصور التواتية قد وضع بربريا، فان الأصل وهو تسمية الاقليم لابد أن يكون بربريا كذلك[2].

وقد ورد ذكر توات في المصادر التاريخية التالية: في العبر ".. وطن توات، وفيه قصور متعددة تناهز المائتين، آخذه من الشرق الى المغرب وآخرها من جانب الشرق يسمى تمنطيط وهو بلد مستبحر في العمران.. "[3]

أما ابن بطوطة تحدث عنها أثناء رحلته الى مائتي عام 754 هـ فقال: " وقصدت السفر الى توات "[4]

واقليم توات هو مجموعة من واحات الصحراء الجزائرية الجنوبية الغربية تؤلف في مجموعها اقليم عبور مابين سفوح الأطلس الجنوبي وبلاد السودان يحدها من الشمال العرق الغربي وهضبة تادمايت ومن الجنوب هضبة مويدر ويشكل واد الساورة الطريق التجاري لاقليم توات[5]، وتقع المنطقة بين خطي طول 4° غربا الى 1° شرقا وبين خطي عرض 26° الى 30° شمالا ينقسم اقليم توات الى ثلاث مناطق أو واحات.

---

[1] توات : هي أدرار حاليا، وهي الولاية رقم 01 في التقسيم الاداري وتعني أدرار الجبل باللغة البربرية

[2] عبد الله كروم، الرحلات باقليم توات، دار النشر، (د ط)، حلب، ص ص 21 – 22.

[3] عبد الرحمان بن خلدون، ج7،ص ص 118 – 119.

[4] محمد بن عبد الله بن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، دار بيروت للطباعة، ط 2، لبنان، 1980، ج 2، ص 800.

[5] فرج محمود فرج، اقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين دراسة لأوضاع الاقليم السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية مع تحقيق كتاب القول البسيط في أخبار تمنطيط (لمحمد بن بابا حيدة)، اشراف، أبوالقاسم سعدالله، ديوان المطبوعات الجامعية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1977، ص 1.

وهي: تنجورارين وتوات الوسطى وتيدكلت ومساحة الاقليم الاجمالية تقدر بـ 700 كلم [1]. ويشكل واد الساواة الطريق التجاري لاقليم توات،حيث هي مركز انعاش لتجار القوافل، فتقع في واحة غنية، اذ أنها تزود التجار بالغذاء والماء العذب. وتوفر الكلأ لجمالهم ويمثل هذا الاقليم همزة وصل بين الجنوب الجزائري وبلاد السودان الغربي [2]. وهو عبارة عن اقليم يتوسط الجهة الغربية من الصحراء الكبرى التي ينتمي اليها، ويقع في الجنوب الغربي للجزائر [3]، قد كسب اقليم توات أهمية كبيرة في جل المجالات،وخاصة في المجال الاقتصادي.[4]

[1] محمد الصالح حونية، توات والأزواد،دار الكتاب العربي،2007م،الجزائر،(د ط)،ج01،ص 26.

[2] فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص 1.

[3] بوداودية مبخوت، الحركة العلمية في اقليم توات خلال القرن 08-10 هـ، مذكرة لنيل شهادة الماجستر في تاريخ المغرب الاسلامي، قسم التاريخ، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2011- 2012م، ص 11.

[4] عمر بن خروف، مقاومة الجنوب الغربي الجزائري للتدخل السعدي خلال القرن 10هـ / 16م، حولية المؤرخ، يصدرها اتحاد المؤرخين الجزائريين، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، العدد الأول، الجزائر، 2002 م ص 164.

الفصل الثانـي

التواصل الحضاري بين الجزائر وإفريقيا جنوب الصحراء

المبحث الأول: طرق ووسائل التواصل الحضاري

1-طرق القوافل

2-الهجرات

3-الائمة والدعاة والفقهاء

4-الطرق الصوفية

المبحث الثاني: مظاهر التواصل الحضاري والحركة العلمية وأعلامها الجزائرية والإفريقية

1-الجزائرية

2-الإفريقية

المبحث الاول: طرق ووسائل التواصل الحضاري

عندما نريد التحدث عن التواصل الحضاري للجزائر وإفريقيا جنوب الصحراء نجد ان جل الدراسات الخاصة بالتاريخ الحضاري لدول المغرب العربي، عامة والجزائر خاصة إتجتهت الى التركيز على الفترات الوسطى أو الحديثة لرصد أهم معالم النشاط الثقافي لهذه المنطقة والظاهر أن هذه الدراسات شملت مناطق معينة دون الأخذ بالإعتبارات التاريخية والسياسية،التي ربما أهمها هو تركز الحواضر العلمية في مناطق معينة مثل تلمسان وبجاية خلال الفترة الوسيطة والمنطقة الراشدية خلال الفترة الحديثة، ألا أن هذه المتابعة تقل كلما توغلنا في الفترة الوسطى بسبب الهيمنة الإستعمارية الفرنسية سابقا وحربها المفتوحة على مظاهر الثقافة المحلية، التي لم تترك للباحثين مجالا لكي يقوموا بجمع أهم ما أنتجته الجزائر في هذه الفترة.

فكان الحراك الحضاري بين المغرب الأوسط ودول السودان الغربي، والذي يظهر من خلالها ذلك التشابه النوعي بين الشمال والجنوب في بلاد المغرب عامة والجزائر خاصة[1].

وسنحاول من خلال هذا الفصل الثاني التركيز على العوامل المساعدة على التواصل منها:

- طرق القوافل
- الهجرات
- الائمة والدعاة والفقهاء
- الطرق الصوفية

وكذلك تمثلت مظاهر التواصل الحضاري لدول الساحل على الجوانب الثقافية وعلاقاتها العلمية مع الحواضر الجزائرية في الشمال ومدى التأثيرات المتبادلة، ومميزاتها كما ونوعا التي تمثلت في الحركة العلمية وأعلامها والجزائرية والإفريقية.

[1] د. خير الدين سترة، الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني (المصلح الثائر وفكره الإصلاحي في توات والسودان الغربي)،الجزء الأول، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، دار ابن الطفيل،الجزائر، 2011، ص ص 2،3.

فالجزائرية سنأخذ ترجمة لسيرة المصلح الداعية محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني نموذجا وعلماء توات ودورهم الهام في اثراء الحياة الثقافية والعلمية وإقليمهم الذي يعتبر من أهم الحواضر العلمية حيث شكل تاريخه همزة وصل ربط بين حواضر الجزائرية العتيقة وحواضر ماوراء الصحراء الإفريقية ونتيجة لذلك عرف الإقليم حركية علمية نشطة، ترجمها الكم الهائل من المخطوطات التي شكلت ميراثا علميا ومخزونا تراثيا يظل شاهدا على ثقل الإقليم العلمي والثقافي وكثرة علمائه الذين تصدروا حلقات الدرس وألفوا الكثير من المصنفات، وأغنوا بها المكتبة التواتية.

قبل التحدث على المبحث الأول لابد أن نتعرف على جغرافية السودان الغربي فهو يحتل منطقة استراتيجية في القارة الافريقية،فهو يربط الشمال بالجنوب والصحراء بالغابات الاستوائية، وقد اشتملت مناطقه على خيرات كثيرة ومتنوعة، وعلى معادن نفيسة كالذهب والعاج، كما راجت بها تجارة الرقيق، حيث ذكر ليون الإفريقي بأن برنو وهي احدى الممالك السودانية كانت تجارتها مع مغاربة شمال افريقيا تقوم في اغلبها على مقايضة العبيد بالخيل، وذلك على الرغم من توفر الذهب لديها بكثرة، إذكان أهلها يصرون على مقايضة الخيل بالرقيق لأعداده الوافرة لديهم حتى أنهم كانوا يقدمون مقابل حصان واحد خمسة عشرة من العبيد [1]

ونظرا لأهمية بلاد السودان وكثرة خيراتها انتقلت اليها كثيرا من القبائل للإستقرار والعمل وقدقصدها التجار من جميع جهات العالم، وخصوصا من شمال افريقيا ومن أوربا الغربية[2] يحملون إليها المنسوجات والشموع والمصنوعات المختلفة ويأخذون مقابلها الرقيق والذهب، وقد خضعت بلاد السودان قديما لحكم أسرة لمثة مدة ثمانية قرون،وقامت في أرضها ممالك عدة كمملكة غانة ومالي وبرنوا وكانوا،وانتهى حكمها لأحد زنوج السوتنكي، الذي حمل لقب أسكيا وهو يدعى محمد توري مؤسس مملكة سنغاي، وآل أسكيا أصلهم كما قال الإمام التكروري من

[1] حسن الوزان ، المصدر السابق، ج2،ص 134.

[2] محمد مزين ، المغرب وبلاد السودان خلال القرنين 16و17 الملاديين، مجلة المؤرخ،يصدرها اتحاد المؤرخين العرب، عدد 10، ص ص 214،215.

صنهاجة، حيث يؤكد: إن أهل سكية أصلهم من صنهاجة، وملكوا كثيرا من بلاد السودان، وأول ملوكها الحاج سكية [1]

وقد طال حكم الأسكيين أكثر من قرن (1493. 1598م)، أداروا خلالها البلاد بتنظيم محكم، ووسعوا حدودها ونفوذها، وربطوا علاقات مع الدول الإسلامية المجاورة، وخصوصا دول شمال إفريقيا [2]

أما عن العلاقات الجزائرية . السودانية فهي علاقات قديمة ومتأصلة، وذلك نتيجة للتقارب الموجود بين شعوب الإقليمين، والإحتكاك المتزايد بفضل انتشار الإسلام وإتساع مجال التجارة،وعلى الرغم من البعد الشاسع ووجود الصحراء كحاجز طبيعي إلا أن الإتصالات والروابط ظلت قائمة بين الزيانيين وممالك السودان الغربي، وظلت الصحراء تمثل عاملا قويا من عوامل الإتصال السياسي والثقافي والتجاري، وزدادت هذه العلاقات قوة وتماسكا بعد انتشار الإسلام في السودان واستقرار كثير من العائلات والعلماء هناك [3]

وعليه يمكننا أن نحدد مظاهر تلك العلاقات في الجوانب التجارية والثقافية والروحية...الخ

[1] محمد مزين ، المغرب وبلاد السودان خلال القرنين 16و17 الملاديين، مجلة المؤرخ،يصدرها اتحاد المؤرخين العرب، عدد 10، ص ص 214،215.

[2] حول الممالك الإفريقية ومملكة سنغاي خصوصا، عبد القادر زبايدية، مملكة سنغاي، ط1، م و،ك، الجزائر،1972م

[3] السيد احمد الباز، الحياة العلمية والثقافية في بلاد السودان الغربي في عهد دولتي مالي وصنغي، رسالة ماجستير، معهد الدراسات الإفريقية،جامعة القاهرة،1994،ص 150.

1- طرق القوافل:

لقد ازدهرت العلاقات التيجارية بفضل تجارة القوافل الصحراوية التي تنطلق من تلمسان وحواضر الشمال الأخرى باتجاه السودان الغربي، وذلك مرورا بتوات التي تحولت إلى مركز عبور رئيسي تتجمع فيه القوافل القامة من ورقلان وغرداية والأبيض سيدي الشيخ وسجلماسة، لتنطلق منه اعتمادا على أدلاء توات والتوارق إلى حواضر السودان المختلفة "ولاتة،تمبكتو، مالي، السنغال، النيجر، نيجيريا.....[1]

وقد احتكرت بعض العائلات الجزائرية التجارة مع السودان، ومنها عائلة المقري، إذ يذكر مؤلف "نفح الطيب " أن أجداده اعتمدوا تجارة الصحراء التي ازدهرت بفضلها تلمسان كواسطة بين السودان وأوربا: وكان التلمساني يبعث إلى الصحراوي بما يرسم له من السلع، ويبعث إليه الصحراوي بالجلد والعاج والجوزة والتبر، والسجلماسي كلسان الميزان يعرفها بقدر الخسران والرجحان ويكاتبهما بأحوال التجار واخبار البلدان....

وقد تأثرت التيجارة بامن الطريق والإنقلابات السياسية التي كانت تعرفها السودان، ومع ذلك فإن العلاقات الجزائرية تغلبت على هذه المشاكل وربطت علاقات وثيقة مع حكام وسلاطين ممالك السودان [2]

إن إقليم توات حاز مكانة هامة في المبادلات التجارية التي أزدهرت في القرن الرابع عشر الميلاد لأهمية موقعه، فهو الممر الرئيسي لتجارة السودان الغربي ولبعض بلدان المغرب، قال عنه ابن خلدون: وطن توات وهو بلد مستبحر في العمران وهو ركاب التجار الى مالي، ولا يمر الوارد إلا بالدليل الخريث من الملثمين الظواغن في تلك القفر، يستأجره التجار على البذرقة بهم بأوفى الشروط [3]

---

[1] د،عبد الله مقلاتي، د،رموم محفوظ : دور منطقة توات الجزائرية في نشر الإسلام والثقافة العربية بإفريقيا الغربية، الشروق،2009،ص، 52.

[2] عمار هلال، الطرق الصوفية ونشر الإسلام والثقافة العربية في غرب إفريقيا السمراء، ط1، منشورات وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر، 1988م،ص ص 71 - 72.

[3] عبد الرحمن ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، (دن) بيروت،1967م،ج 7،ص 118.

وأوضح ابن خلدون أن الطريق الى بلاد السودان عبر توات اكتسب أهمية بالغة إثر تعرض طريق خط السوس ولاتة إلى غارات البدو المستمرة، واستغل أهل توات موقع إقليمهم الوسط بين أسواق الشمال المغربي والجنوب السوداني فإشتغل أكثرهم بالتجارة كوسطاء أو أدلاء أو شركاء وأقاموا بتوات مراكز لتجمع التجار ولخزن البضائع [1]

وتحدث حسن الوزان الذي زار منطقة قورارة في القرن الخامس عشر واصفا أوضاع السكان الإقتصادية بالقول: وسكان هذه البقعة أغنياء لأن عاداتهم الذهاب كثيرا مع بضائعهم إلى بلاد السودان، حيث يجنون أرباحا كبيرة، وهنا يقع رأس خيط القوافل،حيث ينتظر تجار بلاد البربر تجار بلاد السودان ثم يذهبون سوية [2]

وقد أدى الإستقرا السياسي والإقتصادي الى إنتعاش الحياة العلمية والثقافية بتوات خاصة خلال القرن الخامس عشر الميلادي، إذ برع الكثير من علماء توات في علوم الدين واللغة العربية، وتركوا لنا العديد من المؤلفات الفقهية والأدبية التي توضح شكل قبلي ازدهار الحياة العلمية، ونبوغ الكثيرين في ميدان تخصصهم ومواكبتهم للحياة الفكرية والثقافية التي كانت تعيشها مراكز العالم الإسلامي الثقافية في المغرب والمشرق العربيين، وفضلا عن اتصال طلبة وعلماء توات إلى تلمسان وفاس وتونس وإلى المشرق طلبا للعلم فقد[3]

فضل كثير من علماء تلمسان وفاس الارتحال الى توات، فتركوا التدريس في المدارس والزوايا، وأوكلت إليهم مهام القضاء والإفتاء والشورى، ونذكر من بين العلماء اللذين استقروا بتوات ابن يحي، والفقيه يحي بن يدير، وعبد الله العصنوني، ومحمد بن الكريم المغيلي [4]

وأغلب هؤلاء العلماء كان لهم ارتباط ببلاد السودان الغربي سواء من خلال الزيارة أو الإحتكاك الثقافي.

---

[1] فرج محمود فرج، إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، د.م،ج، الجزائر،1984م،ص15.

[2] حسن بن محمد الوزان، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983م، ص 505.

[3] فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص 92.

[4] نفسه،ص 93،

لقد أحدث الإحتكاك الحدودي بين منطقة توات والممالك السودانية كلواتة وسنغاي تقاربا وإرتباطا وثيقا بين إقليم توات والسودان الغربي في مجالات شتى، إذ كانت القوافل التجارية تسير بإستمرار بين توات ومالي وتمبكتو، وكانت المصنوعات الجزائرية تجد رواجا لها في بلاد السودان في حين تنقل قوافل التجارة الرقيق والذهب للأسواق الجزائرية وتتحدث المصادر التاريخية عن براعة التواتيين في الميدان التجاري خلال القرن الرابع عشر الميلادي، وزاد الموقع الجغرافي وانتقال طريق التجارة إلى توات في جعل المنطقة مركزا هاما في تجارة القوافل الصحراوية مع السودان، فهذا ابن بطوطة الذي زار المنطقة يشيد بمركز توات التجاري، ويذكر أن التواتيين راجت تجارتهم وأصبح لهم وكلاء في كامل مدن السودان الغربي، وأن هناك أحياء خاصة في تمبكتو يسكنها تجار توات ووكلائهم [1]

وتحدث السعدي وكعت وغيرهما عن مراكز وسكنى التواتيين الواقعة في أعلى نهر النيجر [2]وخلال القرن السادس عشر كان خط التجارة تحول من السوس ـ ولاتة إلى المشرق وإحتلت توات المركز الئيسي في وصل تجارة المغرب العربي بالسودان ولم تعد تضاهي مكانتها أية مدينة صحراوية بما في ذلك غدامس ورقلان [3]

ونظرا لأهمية توات التجارية خطط الملوك السعديون لإحتلالها، ووجه المنصور الذهبي جيشا عرمرما قاومه التواتيون ببسالة، وقد سجل المؤرخون بما في ذلك مؤرخو القصر المغربي بشاعة المجازر والفظائع التي ارتكبها الجيش المغربي، فذكر عبد العزيز القشتالي أن الدماء وصلت إلى الركب بعد أن استحل الجيش مدينة تيميمون [4]

[1] ابن بطوطة، تحفة الأنظار، غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، مطبعة وادي النيل، القاهرة، ج2،ص 403.

[2] عبد الرحمان السعدي ، تاريخ السودان، ط 2، نشر هوداس، باريس، 1964، ص20 ومحمود كعت : تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس،ص 179.

[3] الصديق الحاج أحمد، التاريخ الثقافي لإقليم توات،ط1، منشورات مديرية الثقافة لولاية أدرار،2003، ص40.

[4] عبد العزيز القشتالي ،مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفاء،تحقيق عبد الكريم كريم ، مطبوعات وزارة الأوقاف، المغرب،1972،ص74.

وبذلك أصبحت قبائل توات مجبرة على دفع الضرائب لسلاطين المغرب، اللذين كانوا يتدخلون لأخذها عنوة، مما أثار تذمر السكان ودفعهم لمقاومة الإحتلال المغربي، وهكذا يبدوا لنا أن توات حازت مكانة مهمة في طريق التجارة الصحراوية، وارتبطت بعلاقات وثيقة مع ممالك السودان الغربي، ومالبث أن تحولت هذه العلاقات إلى علاقات ثقافية وروحية بفضل هذا الإحتكاك المتبادر [1] لقد لعبت الطرق التجارية العابرة للصحراء الكبرى[2] أدوارا كبيرة ومهمة في تاريخ المنطقتين الواقعتين على طرفيها الشمالي والجنوبي، فقد تم عبرها التبادل التجاري منذ أقدم العصور ومع نشاط الحركة التجارية اتصلت افريقيا جنوبي الصحراء بحضارات العالم القديم المطلة على حوض البحر الأبيض المتوسط، ومنذ الألف الأخير قبل الميلاد خرج نطاق التبادل التجاري من محيطه الداخلي في افريقيا الى حوض البحر الابيض المتوسط الذي ساهم فيه الفينيقيون واليونان والرومان وقد خلف لنا هؤلاء كثيرا من المعلومات التي تعتبر من أقدم المصادر عن مسالك الصحراء والشعوب القاطنة فيها ووراءها، وإلى جانب ذلك فهناك بعض المصادر المحلية الهامة عن الطرق الصحراوية، وهي عبارة عن النقوش والرسومات التي خلفتها الشعوب الصحراوية في فترات تاريخية متتالية [3]

وقد تمت دراسة الكثير من تلك الآثار فساعدت حد كبير في تتبع طرق الصحراء وإرتباطاتها القديمة بالمراكز والشعوب الافريقية على حوض نهري السنغال والنيجر [4]

غير أن العصر الذهبي بمصادر الطرق في إفريقيا جنوب الصحراء يبدأ بدخول الاسلام في شمال إفريقيا، حيث إستقر المسلمون في المغرب العربي منذ القرن الثالث الهجري (التاسع

[1] عبد الله مقلاتي، د،رموم محفوظ: المرجع السابق، ص 58.

[2] ينظر : الملحق رقم (6 و 7)، ص ص 129–130.

[3] أحمد الياس حسين ، طرق القوافل عبر الصحراء والممالك الإفريقية جنوبي الصحراء الكبرى في المصادر العربية في القرن السادس الهجري (العاشر الميلادي) . مجلة دراسات افريقية مركز البحوث والدراسات الافريقية جامعة افريقيا العالمية . العدد الثاني . ص 107.

[4] لوث هنري ، الرسوم الصخرية في الصحراء الكبرى . في كتاب الصحراء الكبرى . مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، عام 1979م، ص107.

الميلادي) وكثفوا اتصالاتهم بجنوبي الصحراء مابين حوض بحيرة تشاد شرقا والمحيط الأطلسي غربا

وقد سجلت كتب التراث العربي معلومات غزيرة عن هذه المنطقة، تعتبر من المصادر الأساسية لدراسة الطرق المؤدية إليها وعلاقاتها بالمغرب العربي وحوض البحر الأبيض المتوسط وقد تضمنت تلك المعلومات الأنشطة الاقتصادية والثقافية والعلاقات الاجتماعية لسكان المنطقة والأنظمة السياسية التي سادت فيها، وقد جاءت هذه المعلومات في المصادر العربية الجغرافية القديمة التي درجت على تقسيم العالم إلى أقاليم، ثم دراسة الإقليم من جوانب متعددة مثل مظاهر السطح والمناخ والنبات والحيوان والسكان بأنشطتهم الاقتصادية والثقافية والنظم السياسية ومن هذه المصادر.

- ✓ **اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن واضح 284هـ/897م:**

استفاد اليعقوبي من تجواله في شمال افريقيا وبخاصة في الدول الرسمية التي كانت تسيطر على أغلب محاط الطرق الواقعة شمالي الصحراء، فجمع بذلك معلومات قيمة ضمنها كتابه (البلدان) الذي انتهى من تأليفه في مصر عام 278م /891م ويعتبر اليعقوبي أول جغرافي عربي مدنا بمعلومات مباشرة عن الطرق الصحراوية، فأشار إلى طريق الذهب من سجلماسة إلى مملكة غانة عبر المنطقة الغربية من الصحراء الكبرى وتناول أيضا الطريق الشرقي من فزان عبر كوار جنوبا إلى حوض بحيرة تشاد، ووضع نشاط الاباضية التجاري على على هذا الطريق من مركزهم الصحراوي (مدينة زويلة) وأشار إلى الأمم الإفريقية التي ارتبطت عبره، وأضاف اليعقوبي في كتابه (التاريخ) معلومات عن الممالك الافريقية جنوبي الصحراء،فتحدث عن غانة واتساعها وجعل مملكة كانم ومملكة مالي ومملكة كوكو من أعظم ممالك السودان في ذلك العهد[1].

[1] اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي بيروت. 1960،ص 193.

✓ **ابن الفقيه: أبوبكر أحمد بن إبراهيم 290هـ / 903م**

انتهى ابن الفقيه من تأليف كتابه (البلدان) عام 290هـ وقد كان الكتاب في خمسة أجزاء وتضمن معلومات عن مملكة غانة الطريق الشرقي الذي يفرج من الواحات المصرية عبر كوار نحو النيجر ثم يتجه غربا نحو غانة، كماأشار أيضا إلى الطريق الغربي من السوس الأقصى إلى غانة. وفي المعلومات التي أوردها ابن الفقيه اضافة حقيقة إلى ماذكره اليعقوبي والخوارزمي [1]

✓ **ابن حوقل النعيمي أبو القاسم 367هـ /977م**

يعتبر ابن حوقل من أشهر مؤلفي القرن الرابع الهجري الذين تناولوا مسالك الصحراء، فترك لنا معلومات غنية في كتابه (صورة الأرض) الذي جمع مادته من افريقيا أثناء تجواله واشتغاله بالتجارة، وقد وقف ابن حوقل على أحوال المنطقة فجاءت معلوماته دقيقة عن الجزء الغربي من الصحراء الكبرى، ويبدو ذلك من خلال وصفه أن النشاط التجاري ربط المنطقة كلها ربطا تماما بين سجلماسة وأودغست غربا حتى زويلة شرقا وبين إرتباط سلع المنطقة بتجارة حوض البحر المتوسط [2]

✓ **البكري: أبو عبد الله بن عبد العزيز 478هـ**

تعرض البكري بتفصيل دقيق للصحراء المغربية وغرب افريقيا فتناول الطرق بمراحلها وأماكن وجود المياه والمخاطر التي تواجه القوافل وأورد تفاصيل وافرة عن دور المراكز التجارية، وأعتمدت معلوماته بالتجار الذين ارتبطوا في عصر المرابطين خاصة في الفترة الأولى من قيام الدولة ارتباطا قويا بين حوض نهر السنغال والأندلس، حيث ألف البكري في ذلك الوقت كتابه، بالإضافة الى الوثائق التي توافرت في الأندلس في ذلك الوقت في غرب إفريقيا [3].

[1] أحمد إلياس حسن، طرق التجارة الجزء الشرقي من الصحراء الكبرى . كتاب الصحراء الكبرى بدون تاريخ،ص 213.

[2] كراتشكوفسكس . أ،ي . تاريخ الأدب الجغرافي . ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، القاهرة 1941م، القسم أ ص 204200.

[3] ياقوت الحموي، معجم البلدان . طبعة الجزائر،1857م،ج7،ص302.

تميزت الطبقات الإباضية أنها تضمنت سير وأخبار الكثيرين من الفقهاء الذين ترددوا على الصحراء الى الممالك الافريقية منذ القرن الثالث الهجري، وقد ربطت أولئك الفقهاء صلات قوية بتلك المناطق وكانت الدعوة الى الاسلام من أقوى أسبابها

وكانت التجارة عاملا هاما في تلك الصلات حيث مثلت التجارة المهمة الرئيسية لمعظم أولئك الذين أرخت لهم كتب طبقات كان أولئك يستقرون لفترات طويلة في مراكز وممالك جنوبي الصحراء ويتجولون في الأماكن الداخلية من افريقيا سيرهم بتلك الأنحاء (الورقاني أبي زكرياء يحي بن أبي بكر) القرن 15هـ[1]

وكتاب (الوسياني أبي ربيع عبد السلام 471هـ) من أقدم طبقات الإباضية التي تضمنت أخبار الصحراء والأنشطة الثقافية والتجارية [2]

- ✓ **ياقوت الحموي: شهاب الدين بن عبد الله 626هـ/1228م**

يعتبر ياقوت الحموي من أبرز كتاب المعاجم الجغرافية في التراث العربي، وتناولت المادة التي تضمنها كتابه (معجم البلدان) معلومات كثيرة عن الطرق الصحراوية ومحطات التجارة والسلع، وشملت المعلومات التي ذكرها عن المراكز التجارية الأوضاع السياسية والثقافية والنشاط التجاري والمسافات بين المدن والمراكز، كما احتوى المعجم على معلومات قيمة عن دولتي كانم وكوكو ومدينتي أودغست والزغاوة،نقلها ياقوت عن المهلبي المتوفى عام 380هـ[3]

- ✓ **القزويني: زكريا بن محمد 672هـ/1373م**

إعتمد القزويني على مصادره الخاصة من التجار والفقهاء الذين ترددوا على غرب إفريقيا،كما استفاد من المصادر السابقة مثل كتب ابن الفقيه وابن حوقل والبكري وابن حامد الغرناطي والمعلومات التي وردت عن غرب إفريقيا لم تتناول كل معابر الصحراء الكبرى والمركز التجارية

[1] السير وأخبار الأئمة، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم 9020، من أحمد الياس الحسين،مرجع سابق ص114.

[2] أبي الربيع، مخطوط بدار الكتب المصري رقم 9113، من أحمد الياس الحسين،مرجع سابق، ص 114.

[3] ور الدين حاطوم وآخرون،المدخل إلى التاريخ،المطبعة العصرية،1964م، ص 260،262.

وتعرض الكتاب فقط إلى مملكة غانة كمركز تجاري يدخل منه التجار إلى بلاد التبر، كما أشار إلى مملكة كانم ولم يتطرق إلى مملكة مالي [1]

✓ **العمري: شهاب الدين بن أحمد بن يحي بن فضل الله 849هـ/ 134م**

سجل العمري معلومات عزيزة ومهمة تناولت تفاصيل دقيقة عن مملكة مالي شملت الأوضاع السياسية الثقافية، العسكرية، العمرانية و الأنشطة التجارية مثل الأسواق والسلع والضرائب، وتحدث العمري عن مملكة كانم وإنتشار الإسلام فيها وإشتغال أهلها بالتجارة والزراعة لكن لم ترقى المعلومات التي وردت عنها إلى مستوى المعلومات عن مملكة مالي، وتناول العمري كذلك ممالك الصحراء شمال انحناءة نهر النيجر،وهي الممالك التي لم تجد عناية كبيرة في المصادر التي سبقته وعزز العمري كتاباته عن غرب إفريقيا في كتابه (التعريف بالمصطلح الشريف حيث تناول فيه أيضا أخبار تلك الممالك مثل تكرور وغانة ومالي وبرنو فأورد تحديد مواقعها في الأقاليم وحدودها والأوضاع السياسية والاقتصادية والثقافية [2]

❖ ابن بطوطة أبو عبد الله محمد بن ابراهيم 770هـ/ 1367م

من أعظم الرحالة في العصور الوسطى وتعد المادة الغزيرة التي سجلها في رحلته من أهم المصادر لدراسة أوضاع المسلمين السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية في المنطقة الواقعة مابين الهند والمغرب الأقصى بما في ذلك غرب افريقيا والصحراء الكبرى.

بدأ ابن بطوطة رحلته الى غرب افريقيا عام 754هـ من مدينة سجلماسة المحطة الشمالية المهمة على الطريق الغربي في الصحراء الكبرى والذي يمر جنوبا غبر تغازا وولاته إلى داخل مملكة مالي، وقد تعرض إلى وصف الطريق الذي سلكه و المراكز والمدن التي مر بها حتى وصل عاصمة المملكة التي دخلها 14جمادي الأولى 853هـ ومكث فيها حتى 22محرم 75هـ فخرج منها متجها نحو الشرق عن طريق نهر النيجر فزار تمبكتو[3].

[1] أحمد الياس حسين، مرجع سابق، ص 65.

[2] العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، مخطوط، دار الكتب المصرية رقم (2567)،تاريخ ورقة 494 ، من أحمد إلياس الحسين، مرجع سابق،ص 69.

[33] محمود كعت، تاريخ الفتاش في أخبار المدن والجيوش وأكابر الناس،طبعة انجي،1912م،ص 178.

ثم اتجه منها الى مدينة كوكو وهي المدينة التي تردد ذكرها في المصادر العربية منذ القرن الثالث الهجري وقد عرفت فيما بعد باسم جاو وأصبحت عاصمة لدولة صنغي في القرن 9هـ (15م) اتجه ابن بطوطة بعد ذلك شمالا الى مدينة تكدا المشهورة بانتاج النحاس وخرج من تكدا في الحادي عشر من شعبان 754هـ في طريق عودته مارا بكاهر وهكار الى سجلماسة فمدينة فاس وتناول الى جانب وصف القوافل والطرق البرية والنهرية التي سلكها . المدن والمراكز التجارية . فوصف النشاط التجاري والأسواق ومافيها من سلع محلية ومستوردة، وتعرض لسبل كسب العيش في تلك المناطق وعاداتهم وثقافاتهم، وعكس حركة التعليم في مالي فذكر مثلا أن أهلها (يجعلون لأولادهم القيود الى ظهر في حقهم التقصير في حفظه . يقصد القرآن فلاتفك عنهم حتى يحفظونه) وقد تعرض أيضا للمدارس والمعلمين والفقهاء ووضح مكانتهم المرموقة في المجتمع ولدى السلطات الحاكمة، كما اتضح اهتمام الأمراء والحكام بالمكتبات وسعيهم للحصول على الكتب [1]

- ✓ **ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد 808هـ /1405م**

تناول ابن خلدون في القسم الجغرافي من مقدمته (العبر وديوان المبتدأوالخبر في أيام العجم والعرب والبربر ومن جاورهم من ذوي السلطان الأكبر) تناول منطقتي الصحراء وغرب إفريقيا في الإقليمين الأول والثاني، فتناول أوليل، غانة، تكرور، مالي،كوكو وكانم وتحدث عن حركة القوافل التجارية عبر الصحراء الكبرى وركز ابن خلدون أيضا على قبائل الملثمين واستقرارهم في الجزء الغربي من الصحراء الكبرى وتحدث عن قبائل هوارة ومواطنهم في الصحراء شرقي الملثمين،ووضح النشاط التجاري لتلك القبائل من مراكزهم الصحراوية مثل ورقلان، وولاته ولوات ومركز فزان [2]

وضح ابن خلدون مساهمة تلك القبائل الكبيرة في خدمة التجارة عبر الصحراء الكبرى كأدلاء أو حراس لها مقابل ما كانوا يأخذونه من ضرائب تدفعها تلك القوافل.

[1] ابن بطوطة، تحفة الأنظار،ص 690.

[2] ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، بيروت، ج6، ص ص 370،284.

وكانت تلك القبائل تخضع في بعض الأحيان الى الدول التي قامت في شمال الصحراء الكبرى أو جنوبها لكي تؤمن تلك الدول سلامة الحركة التجارية، واتضح أن ممالك غرب افريقيا كانت في أغلب الأوقات تبسط سيطرتها على مناطق واسعة داخل الصحراء الكبرى لتحقيق هذا الهدف، أما معلومات ابن خلدون وعن ممالك غرب افريقيا فقد جاءت غزيرة خاصة عن مملكة مالي، بعد أن تعرض لغانة وكوكو وكانم، تضمن الحديث عن مالي وبداية تأسيسها كإمبراطورية واسعة في القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي)وتناول تاريخ الأسرة الحاكمة فتحدث عن ثمانية عشر من ملوكهم حتى انتهى الى (منسا مغا)الذي تولى السلطة عام 792هـ[1]

وقد غطت كتابات ابن خلدون عن غرب افريقيا الى جانب الاوضاع السياسية النواحي الثقافية والاقتصادية، واعتمد في اغلب مادته على مصادره الخاصة المتمثلة في بعض الشخصيات التي عاشت في غرب افريقيا او شخصيات من سكان غرب افريقيا نفسها مما أعطى معلوماته درجة خاصة من الأهمية [2]

هكذا جاءت المعلومات الغزيرة التي أوردتها المصادر العربية التي ذكرت معبرة عن الوصف الدقيق لطرق القوافل عبر الصحراء الكبرى، وأوضحت أثر هذه القوافل انتشار اللغة العربية والإسلام بهذه المناطق، وقد أبانت بوصفها الدقيق أوضاع الحضارة الاسلامية التي كانت سائدة في تلك المناطق وكان تركيزها على ممالك مالي وغانة وصنغي وماكان يدور فيها من مظاهر حضارية في أوضاعها السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية فكانت اللغة العربية واسعة الإنتشار في إفريقيا وتعتبر لغة أم لعدد كبير من الشعوب الإفريقية

كما تعتبر لغة إتصال بين العديد من القبائل الإفريقية التي لازمت تحتفظ بلغتها الخاصة أمــا اللغة العربية فهي لغة التواصل الأساسية بين القبائل الإفريقة في جنوب السودان، حيث لاتستطيع هذه القبائل إستخدام أي لغة مشتركة فيما بينها غير اللغة العربية، وتعتبر اللغة العربية الدارجة هي لغة التخاطب الأساسية لمجموعات كبيرة من القبائل الإفريقية، ففي يوغندا وكينيا

[1] ابن خلدون، مصدر سابق، ج6،ص 415.

[2] نفسه، ،ص177.

وجنوب السودان تسود لغة تعرف ب (عربي جوبا) كل مفرداتها عربية، غير أن طريقة استخدامها لاتلتزم قواعد اللغة العربية، فضلا عن التحريف في طريقة نطق وإستخدام المفردات، وهي اللغة السائدة عند القبائل الإستوائية والنوبية [1]

أمـا صلة اللغة العربية بلغات الفولاني والصومالية والسواحلية والأمهرية وغيرها،فهي صلات وثيقة جدا، فالسواحلية إستعارت مجموعة من المفردات العربية يقدرها العرب السواحيليون بحوالي75% من مفردات السواحيلي. وفي مجال الدين فإن 90%من المصطلحات مستعارة من اللغة العربية [2]

عرفت اللغة العربية طريقها الى إثيوبيا قبل الإسلام حيث اختلط التجار والمهاجرون العرب بالأحباش وصاهروهم، وتحولت اللغة السبئية الى لغة عرفت بإسم(القيز Gee'z).[3]
ظل الحرف العربي هو الأساس الذي كتبت به معظم اللغات الإفريقية فالسواحيلية والصومالية والفولانية والهوسا، ظلت حتى عهد قريب تكتب بالحرف العربي، وهناك مخطوطات عديدة مكتوبة بهذه اللغات محفوظة في عدد من خزانات الكتب في البلاد الإفريقية، وكانت اللغة العربية هي لغة الحكم والإدارة في معظم الدول العربية،ولم تكن معظم الدول الإفريقية ان لم نقل كلها تعرضت الى لغة أوروبية قبل دخول الإستعمار،فما أن رحل الإستعمار حتى اصبحت هذه الدول تتبنى لغة الدولة المستعمرة، فالمكاتبات الرسمية في دول مثل كانم، وداي،سوكوتو، مالي،غانة وغيرها كانت جميعها تكتب باللغة العربية حتى سقوط الدويلات بسبب الحملة الإستعمارية الجائرة على افريقيا [4].

[1] كمال محمد عبيد، آفاق الإستصمار الثقافي في افريقيا،من الأنترنيت، موقع شبكة المشكاة الإسلامية، 1425هـ،ص5.

[2] عبد الرحمن أحمد عثمان، المؤثرات الإسلامية والمسيحية على الثقافة السواحيلية، دار جامعة إفريقيا العالمية للطباعة والنشر، الخرطوم عام 2001م،ص50.

[3] ياسر عبد القادر، التغلغل الصهيوني في افريقيا،دار جامعة إفريقيا العالمية للطباعة والنشر،الخرطوم،عام،1998م،ص19.

[4] كمال محمد عبيد، (آفاق الإستثمار الثقافي في افريقيا)،مرجع سابق،ص ص 4.6.

2- الهجرات:

قبل التحدث عن حركة الهجرات الى قارة افريقيا لابد أن نتطرق ولو بلمحة قليلة عن علاقة العرب بإفريقيا أو العكس لإن العرب أو شبه الجزيرة العربية هي منبع الهجرة لأنها لما بزغ نور الاسلام في شبه جزيرة العرب كانت الحبشة بشرق افريقيا الدولة التي أمر الرسول (ص) أتباعه بالهجرة إليها فهي كانت معروفة للمسلمين [1]أما الوجود العربي بعد الاسلام فيؤرخ له بهجرة الصحابة الأولى للحبشة في السنة الخامسة للبعثة، ويسجل ذلك ابن هشام في السيرة فيقول: فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مايصيب أصحابه من البلاد وماهو فيه من العافية، بمكانه من الله وعمه أبي طالب، وأنه لايقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء قال لهم:**(لوخرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملك لايظلم عنده أحد، وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم مخرجا مما أنتم فيه)**، فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب الرسول (ص) إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة ' وفرارا إلى الله بدينهم فكانت أول هجرة في الإسلام [2]

وتعددت بعد ذلك هجرة المسلمين للسهول المحيطة بالحبشة ولغيرها من المناطق الإفريقية لعبت الهجرة الإسلامية إلى دواخل إفريقيا دورا كبيرا وهاما في نشر الإسلام في هذه المناطق منذ بداية الدعوة لهذا الدين الذي أخذ سيدنا محمد يبثها بين مشركي قريش في مكة وقد تعرض هو وأصحابه الى الاضطهاد والشدة، فصرح الرسول الكريم بهجرة المستضعفين وكانت الحبشة من أقرب البلاد المسيحية التي يربطها بالعرب تاريخ مشترك ويحكمها ملك مسيحي فإلى جانب قربها كان السفر إليها أهون أمرا من إختراق الجزيرة شمالا وجنوبا عبر قبائل معادية، وكان عدد المهاجرين الأوائل أي الهجرة الأولى لايزيد عن احد عشر ومنهم عثمان ابن عفان ومعهم بعض زوجاتهم ثم تتابع المسلمون فيما يطلقون عليه الهجرة الثانية وكان فيها جعفر بن أبي طالب ومنهم من خرج بأهله معهم ومنهم من خرج بنفسه فكان من لحق بأرض الحبشة ثلاثة وثمانين

[1] شوقي عطاالله الجمل، المرجع السابق ،ص 3.

[2] أبو محمد عبد الملك بن هشام، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، السيرة النبوية، المجلد الأول، دار القلم، بيروت، بدون تاريخ، المجلد الأول، ص 344.

رجلا عدا زوجاتهم وأبنائهم وتطورت الهجرة حتى بلغت مايقارب الستمائة مسلم وهؤلاء المهاجرين لم يهاجروا جميعا من مكة بل ان فوجا منهم قد هاجر من اليمن برئاسة ابي موسى الأشعري وقد قدر عددهم ببضع وخمسين رجلا، وهناك من الآراء من يحاول أن يجعل الدفعة الأولى من المهاجرين بعثة اسلامية لقبول المهاجرين وقد أقام هؤلاء بالبلاط الأكسومي فترة قصيرة قدرت بشهرين أوتزيد قليلا وقد أرسل النجاشي وفدا الى الرسول (ص) بمكة ليثبت من حقيقة هؤلاء ويقال إن الوفد الحبشي أسلم ويعتبر هذا أول تأثير مباشر لحركة الهجرة في نشر الاسلام، وعندما تأكد النجاشي عن طريق المعلومات التي وصلته عن طريق هذا الوفد بصحة الأخبار عن النبيء محمد (ص) أذن للمسلمين بالهجرة إلى بلاده فأذن النبيء للمسلمين بالهجرة بعد أن إطمأن إلى حماية النجاشي لهم فتحققت الهجرة الإسلامية إلى الحبشة حيث كانت تسير أقدام العرب منذ زمن بعيد[1]

وحيث إستقر بها إخوان لهم من قبل يشتغلون بالتجارة ولم يمنع الإسلام من اعتنقوه من تجار العرب من مزاولة حرفهم الأولى فالهجرة إلى الحبشة والعلاقات التجارية التي كانت قائمة قبل الإسلام إستمرت من بعده وحمل المهاجرين والتجار الجدد إسلامهم معهم ومن ثم أخذ الإسلام يظهر وينتشر بالحبشة ويتغلغل في المناطق العربية لها حيثما سار التجار،وكان التاجر المسلم بسلوكه وخبرته بالناس وخلقه الإسلامي ماجعله محل ثقة الأفارقة ووفر له ذلك القبول الحسن لديهم وما أن يدخل هذا التاجر قرية وثنية فسرعان ما يلفت الأنظار بكثرة وضوئه وانتظام أوقات صلاته وعبادته التي يبدو فيها وهو خاشع يناجي ربه وخالقه ومنظره في سجوده وسكينته[2] يضفي عليه من المهابة والجلال مايحرك فطرة الإفريقي الوثني فضلا عما يتحلى به من سمو عقلي وسلوك حضاري يفرض الإحترام والثقة به على الوثنيين ويجذبهم إلى الإقتداء به وتقليده [3]

[1] د، عطية مخزوم الفيتوري، دراسات في تاريخ شرق افريقيا وجنوب الصحراء(مرحلة انتشار الإسلام)،ط1، منشورات جامعة قازيونس، بنغازي ،1998م، ص 118

[2] حسن عيسى عبد الظاهر، الدعوة الإسلامية في غرب إفريقيا وقيام دولة الفولاني في مطلع القرن 12 الهجري، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود، 1981، ص 79.

[3] حسن عيسى عبد الظاهر، ، ص 79.

كما كان هؤلاء التجار في هذه الأصقاع يحملون مع بضائعهم العقيدة الإسلامية والمعارف الأساسية لها وكانوا يعملون بمختلف الوسائل على نشر الإسلام وترويجه بين الوثنيين[1] وأصبح التجار المسلمون عبر المراحل المتعددة يمثلون حلقة الوصل بين إفريقيا والدول الإسلامية المجاورة وساعد على إزدياد حركة التجارة وتعميق هذه الصلات الأحداث السياسية التي عصفت بالمجتمع الإسلامي في أعقاب الصراع أو ما يعرف بالفتنة الكبرى حيث زاد عدد المهاجرين المسلمين الفارين من نقمة النظام الأموي والصراع على السلطة إلى شرق إفريقيا [2]

والإسلام الذي وحد بين العرب وحد من خصوماتهم وأوقف غزواتهم التي كانوا يشنونها على بعضهم حرم أيضا أن يسترق مسلم مسلما وبذلك لم يكن هناك مخرجا أمام أفواج الرقيق وسكان الصومال والحبشة وكذلك السودان الذين تعرضوا دائما لغزوات النخاسين إلا الارتماء في أحضان الإسلام الذي يمنع ذل الأسر ويقيهم مهانة الرزق والعبودية فأخذ الإسلام ينتشر بينهم بتزاوجهم مع بعضهم ومع العرب والمسلمين المهاجرين إليهم والنازلين بينهم وهذا هو التأثير الثاني المباشر للهجرة في حركة انتشار الإسلام [3]

وأن هجرتهم لم تكن حرصا على تجارة مهددة بالكساد أو من أجل أسواق جديدة بدلا من التي سدت في وجوههم، ولكنهم تركوا أوطانهم وذويهم بعد أن تحملوا ألوانا من العذاب والاضطهاد وهاجروا خوفا على دينهم الذي حرصوا عليه أكثر من حرصهم على تجارتهم ومكاسبهم وأن الغرض الحقيقي من وجود هؤلاء المهاجرين في الحبشة هو الجانب السياسي والجانب الإعلامي لنشر الدعوة الإسلامية بطريق غير مباشر [4]

وبطريقة ودية، فوجودهم على أرض الحبشة يدفع الأحباش إلى الالتفاف حولهم للوقوف منهم على أسباب مجيئهم ودوافع هجرتهم وفرارهم من بلادهم ومعرفة الدين الجديد الذي يؤمنون به

[1] اسماعيل العربي، حاضر الدول الإسلامية في القارة الإفريقية، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984،ص 34.

[2] عبد المولى الحرير، الإسلام وأثره على التطورات السياسية والفكرية والإقتصادية في إفريقيا جنوب الصحراء : مجلة البحوث التاريخية، العدد الثالث، طرابلس، مركز الجهاد 1989، ص 103.

[3] د، عطية مخزوم الفيتوري، المرجع السابق،ص ص 119 120.

[4] أحمد الشامي ، نظرات في هجرة المسلمين إلى الحبشة،المؤرخ العربي، العدد 16، بغداد،1981، ص ص100 105.

وهذا في حد ذاته مكسبا إعلاميا للإبلاغ عن الدعوة الإسلامية والدليل على ذلك الحديث الذي دار بين النجاشي وجعفر بن أبي طالب في شأن المسيح وبكاء النجاشي حتى ابتلت لحيته حينما سمع آيات الكتاب الكريم ودخوله الإسلام ويتضح ذلك في قوله تعالى: چ سَبَإٍ فَاطِرٍ يسٓ الصَّافَّاتِ صٓ الزُّمَرِ غَافِرٍ فُصِّلَتْ الشُّورَى الزُّخْرُفِ الدُّخَانِ الجَاثِيَةِ الأَحْقَافِ مُحَمَّدٍ الفَتْحِ الحُجُرَاتِ قٓ الذَّارِيَاتِ الطُّورِ النَّجْمِ القَمَرِ الرَّحْمَنِ الوَاقِعَةِ الحَدِيدِ المُجَادَلَةِ الحَشْرِ المُمْتَحَنَةِ الصَّفِّ چ[1]

ثم توالت حملات الفاتحين المسلمين على إفريقية وكان من أسمى غاياتهم نشر الدعوة الإسلامية بين أهلها فأبلوا في سبيل تحقيق ذلك بلاءا حسنا، وسعوا جادين من أجل فتح قلوبهم لتقبل دعوة الإسلام، وفي ها المضمار تم إنشاء بعض المساجد والكتاتيب التي اتخذت كمنابر لنشر الثقافة العربية الإسلامية، وذلك إنسجاما مع طبيعة الفتح الإسلامي، الذي يعد في جوهره فتحا عقديا وعلميا، ويقوم على تعاليم كتاب تضمن كافة مقومات الحياة، إلا أنه لم يتسن لهم تحقيق أغراضهم ولم تكلل مجهوداتهم بالنجاح، إلا بعد عناء طويل، نظرا لتعثر حركة الفتوح الإسلامية أحيانا، بفضل ماوجد في المشرق من أحداث [2] على الدولة الإسلامية وساعدت على الهجرة منها حروب الردة والفتنة الكبرى والخلافات المذهبية، ولم يكن الهدف من الردة بين بعض القبائل العربية هو الخروج عن الإسلام بقدر ماكان الوقوف ضد سيطرة قريش وكانت ثورة القبائل المرتدة مركزة في طيء وغطفان البحرين وعمان واليمن وحضرموت وقد أجبرهم أبو بكرالصديق على الخضوع من جديد للدولة الإسلامية ولكن البعض منهم هاجر إلى شرق افريقيا والحبشة ووصل البعض منهم إلى أقاليم السودان الأوسط حاملين معهم إسلامهم، كما قامت بعض القبائل الباقية ومنها قبيلة بني مخزوم التي أصبحت محط إهتمام عمر بن الخطاب فإضطر معظم أبناؤها الى الهجرة فرارا من سياسته المتشددة معهم فهاجر أحد كبار رجالهم وهو

[1] سورة المائدة 82.

[2] ابن خلدون ، مقدمة (بيروت، دار الكتب العلمية)،ص 356.

ود بن هشام المخزومي على رأس عشيرته إلى الحبشة وإستقر في أخصب مناطقها وهي منطقة شوا وأسس دولة بني مخزوم بها [1]

وكان فتح مصر إيذانا باندفاع التيار الإسلامي إلى شمال القارة وغربها، وكذلك جنوبا إلى بلاد النوبة والسودان، وانتشر الإسلام بهدوء ودون اللجوء للقوة إلى مناطق شاسعة من القارة الإفريقية، وكان للتجارة بين شمال القارة والأقاليم الواقعة جنوب الصحراء الكبرى دورها في نشر الإسلام والثقافة، تماما كما كان لها نفس الدور حينما مارسها التجار العرب في المحيط الهندي [2] بين آسيا والساحل الشرقي للقارة وعند قيام الفتنة الكبرى على أيام عثمان وتلتها حروب الجمل وعبد الله بن الزبير وظهور الخوارج واضطهاد آل البيت على أيام الدولتين الأموية والعباسية كل ذلك دفع الأطراف المغلوبة سياسيا وعسكريا إلى طلب الهجرة إلى الحبشة التي كانت بعيدة عن متناول السلطة الأموية وقد تركزت هذه الهجرة عقب موقعة كربلاء خوفا من بطش بني أمية [3]وفي منتصف القرن الرابع الهجري وصلت هجرة أخرى أكبر من سابقاتها واستقرت الى الجنوب منها ويرجع سببها للهجوم الذي قام به المغول ودخولهم شيراز مما اضطر حاكمها إلى الخروج على رأس ألف ومائتي رجل ركبوا البحر نحو ساحل الزنج وتمكنوا من فرض سيطرتهم على الساحل وأسسوا مملكة الزنج التي أخضعت لسلطانها الكثير من المراكز والجزر [4]

وتعتبر هذه الهجرة الأخيرة من الهجرات التي قام بها مسلمون فرس غير عرب، وفي جنوب إفريقيا انتشر الإسلام عن طريق جماعات مهاجرة من أهل الملايو وأندونيسيا وسيلان وشبه جزيرة وسيلان وشبه القارة الهندية كما استطاع هؤلاء المهاجرون تأسيس مجموعة من الوكالات التجارية في ساحل شرق إفريقيا مثل مقديشو ومالايزي وممبسه وبمبا وزنجبار وموزمبيق [5].

[1] عطية مخزوم الفيتوري، مرجع سابق،ص 121.

[2] شوقي عطاء الله الجمل، تاريخ المسلمين في إ فريقيا ومشكلاتهم، مرجع سابق،ص 3.

[3] عبد المولى الحرير، الاسلام وآثره على التطورات السياسية،ص 106.

[4] أحمد إلياس حسين ، إنتشار الإسلام في شرق إفريقيا، ص 233.

[5] شارل أندري جوليان، تاريخ افريقيا، ت طلعت غوض أباظة، القاهرة، دار النهضة المصرية، 1968، ص77.

كما حدثت هجرات في فترات متأخرة من جزيرة سومطرة والخليج الفارسي حوالي منتصف القرن الثالث عشر الميلادي [1]

أما في غرب إفريقيا فقد لعبت حركة التجارة والهجرة كما رأينا دورا بارزا في نشر الإسلام في مناطق جنوب الصحراء وقد تمركزت هذه الهجرات حول بحيرة تشاد والنيجر ثم مالي والسنغال وغيرها وعندما اضمحلت دولة مالي وغيرها من الإمارات الإسلامية في منتصف القرن 16م حمل لواء الدعوة إلى الإسلام ونشره قبائل إفريقية مثل الفولا والبوهان حيث قامت هذه بهجرات جماعية في حوض السنغال مدفوعة بدوافع دينية وسياسية وفي نفس الوقت بغرض توحيد أرض المسلمين في غرب إفريقيا، وقد توجهت هذه الهجرات نحو الشرق إلى نيجيريا وتشاد وجنوبا الى غينيا وتمركز نشاط هذه الجماعات في إنشاء دور التعليم وإنشاء المدارس بغية نشر التعليم الديني [2] وتمكنت القبائل المهاجرة إلى غينيا من تأسيس دولة إسلامية على مبدأ الشورى استمرت حتى مطلع القرن 19م لقد كانت كل هذه الهجرات وغيرها موردا لا ينصب معينه من الدماء التي تسري في شرايين حركة انتشار الإسلام في افريقيا جنوب الصحراء حيث ساهمت مساهمة فعالة مع غيرها من العوامل في ارساء دعائم هذه الحركة ونجاحها في فترة وجيزة من عمر الزمن [3]

وبرزت مدن تجارية ومراكز حضارية في غرب القارة كما برزت مدن على ساحلها الشرقي وساعدت جماعات ممن اعتنقوا الاسلام من هنود وباكستانيين وغيرهم في نشر الاسلام في افريقيا فقد انتقلوا إليها واستوطنوا مناطق شرقها أوجنوبها، كما ساعدت جماعات كالبربر والطوارق ممن اعتنق الاسلام . رغم أنهم قاوموه في[4] البداية- في نشر الاسلام وحملوا رايته الى

[1] عمر طلعت زاهر ، الاسلام في مدغشقر، مجلة الأزهر، المجلد،ج6.

[2] عطية مخزوم الفيتوري، المرجع السابق،ص 124.

[3] عبد المولى الحرير، المرجع السابق، ص113.

[4] شوقي عطاء الله الجمل، تاريخ المسلمين إفريقيا ومشكلاتهم، المرجع السابق، ص 3.

مناطق بعيدة في القارة الافريقية بل منهم من ساهم في نشر الاسلام في خارج القارة الافريقية وفي غيرها من القارات [1]

ومع الاسلام انتشرت الحضارة الاسلامية واللغة العربية بين الزنوج وغيرهم من سكان القارة الافريقية، فأصبح المسلمون في افريقيا . وقد وصل عددها الى مايقرب من نصف سكان القارة ـ أكثر شعوبها حضارة وتقدما وأصبحوا رسل الحضارة لغيرهم من مواطني القارة، وأصبحت العربية في مقدمة اللغات التي يتحدث بها غالبية عظمى من سكان القارة، وقد اعترفت بذلك منظمة الوحدة الإفريقية حيث قامت 1963م فكانت اللغة العربية في مقدمة اللغات التي كتب بها ميثاقها [2]

وبعد أن توطد الإسلام فيها زارها العديد من الرحالة العرب وساهموا في كشف مجاهل إفريقيا كأبي عبيد الله البكري وابن بطوطة واليعقوبي والحسن الوزان . المسمى بليو الإفريقي وقد وصفوا النفوذ العربي الإسلامي في الإمبراطوريات الإسلامية التي كانت في غانا ومالي والسنغال والكانم والهوسا وقد استمرت هذه الإمبراطوريات مزدهرة حتى أوائل القرن السادس عشر ومن المظاهر التي ظلت تربط إفريقيا بالعرب:[3]

- الحج الى بيت الله الحرام،حيث كانت قوافل التجار هي التي تنقل الحجاج إلى بيت الله الحرام وتعبر القارة من غربها إلى شمالها ومن دواخلها إلى الأراضي المقدسة عبر الأراضي المصرية.
- كانت للعرب العمانيون علاقات مع الساحل الشرقي لإفريقيا حيث كانت السفن الشراعية التي تسير بواسطة الرياح هي الوسيلة التي ارتاد بها العرب إفريقيا[4] الشرقية وكان ارتيادهم لها بسبب التجارة ولكن بعد أن استقر بعض العرب في هذه المناطق أوجدوا نفوذا عربيا فيها وتأثر

[1] نفسه،ص 4.

[2] شوقي عطاء الله الجمل، تاريخ المسلمين في إفريقيا ومشكلاتهم، المرجع السابق، ص 4

[3] عطية مخزوم الفيتوري، المرجع السابق،ص 134.

[4]دكتور فيصل محمد موسي، مراجعة دكتور / ميلاد أ، المقرحي، موجز تاريخ إفريقيا، الجامعة المفتوحة، جامعة قاريونس، بنغازي، منشورات، 1997،ص 40.

بعض الزعماء الأفارقة بالعرب وأكرموا وفادتهم، ثم امتزجت الدماء العربية بالدماء الافريقية وانتشرت اللغة العربية وكان من نتائج هذا النفوذ أن نشأت مدن ذات حضارة راقية على طول الساحل الشرقي مثل كلوة . بمبا . زنجبار . ومقديشيو . وسميت هذه المدن بمدن الطراز الاسلامي لكثرة المساجد فيها وقد أعجب الرحالة البرتغاليون بما شاهدوه من المظاهر الحضارية في هذه المدن بعد سيطرتهم عليها بعد إتمام حركة الكشوف الجغرافية [1]

أما عن معرفة العرب بإفريقيا فإنه كانت توجد علاقات قديمة بين الطرفين وكان للعرب دور فعال ونشاط كبير في شمال إفريقيا ويقال أن إفريقيا لفظ عربي نسبه إلى (أفريقش بن بر) أحد ملوك اليمن وهو أول من وصل إلى أرض إفريقيا ووجد بها قوما لايتكلمون العربية

فقال (ما أكثر بربرتهم) ولذلك أطلق على أهل إفريقيا الشمالية بالبربر، كما كانت للعرب علاقات وطيدة بينهم وبين الحبشة والسودان إذ أنه كان في بعض الأحيان يمتد حكم اليمنين إلى بلاد الحبشة كما حدث في زمن دولة حمير 110ق.م . 305 ق.م حيث امتد نفوذها إلى خارجها حيث هاجر جماعة من اليمنيين إلى أرض كوش لأغراض تجارية وأنشأوا هناك مستعمرات وصارت لهم جالية كبيرة وفي القرن الأول تمكنوا بمساعدة(أكسوم) الحبشي من التوغل في أراض السودان والقضاء على دولة مروى السودانية، كما أن هناك هجرات عربية

وصلت إلى الشاطئ الشرقي من إفريقيا وأنشأت بعض المشيخات فقد التابعة لها وأمتد تفوذها حتى زنجبار[2]

لهذا فإن العلاقات بين العرب والأفارقة قديمة جدا تمتد جذورها إلى أقدم عصور التاريخ [3] فلقد كانت الصلة بين سكان شبه الجزيرة العربية وإفريقيا ميسورة وسهلة عن طريق مضيق باب المندب، وشبه جزيرة سيناء وكانت سواحل المحيط الهندي الإفريقية والعربية تمثل نقاط تواصل

[1] فيصل محمد موسي ، موجز تاريخ افريقيا الحديث والمعاصر، المرجع السابق ،ص 41.

[2] نفسه،ص 40.

[3] شوقي عطا الله الجمل ، تاريخ المسلمين في إفريقيا ومشكلاتهم،1996 المرجع السابق،ص 3.

مهمة بين المنطقتين وفي وسط الصحراء كانت الابل وسيلة التواصل البري مع جنوب الصحراء وشمالها [1]

وقد ساعدت العوامل الجغرافية والظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية على قيام واستمرار هذه العلاقات وافريقيا هي احدى قارات العالم التي شهدت هجرات بشرية،منها واليها وهجرات داخلية بين مختلف اقسامها وأقاليمها،وقد ترتب على هذه الهجرات نتائج بعيدة المدى،ظهرت آثارها على الخريطة البشرية ومواطن الاستقرار ونمط العيش والسلوك وعلى الاختلاط والتمازج العرقي بين الأقوام والجماعات التي احتكت ببعضها سلما او حربا

مثلت افريقيا بحكم موقعها على الساحل المقابل للجزيرة العربية،مجالا حيويا للجماعات التي خرجت من بلاد المغرب في موجات من الهجرات المتتالية،منذ أقدم العصور وخاصة من جنوب شبه الجزيرة العربية،فلم يشكل البحر الاحمر عقبة امام تدفق الهجرات البشرية عند مضيق باب المندب،وهكذا كان هذا المضيق احدى نوافذ الهجرة من الجزيرة العربية وغرب اسيا الى افريقيا،وقد امتدت هذه الهجرات لتشمل مساحات واسعة في شرق افريقيا، وانتقل بعضها شمالا الى السودان ومصر والصحراء،وحتى شمال افريقيا.[2]

وبظهور الاسلام تعمقت الصلات بين بلاد العرب وأفريقيا،إذ أعطى الإسلام العرب قوة جديدة لنشر هذا الدين وتحويل الأفارقة إلى الإسلام،فتدفق العرب بأعداد كبيرة على أفريقيا الشرقية والشمالية،وتوغلوا فيها،وامتزجوا مع سكانها الأصليين،بالإختلاط والمصاهرة،ونشر الإسلام بين المجموعات الوثنية من السكان،وارتبطوا معهم بمصالح مشتركة،وتعربت تلك المناطق بالنمو الدائم في علاقات المصاهرة،والدين الإسلامي وثقافته.[3]

هذا ومن الجدير بالذكر أن أكثر الهجرات الإسلامية فعالية هي تلك التي كانت تتوغل في القارة عن طريق المسالك الصحراوية القادمة من ليبيا،وأهم هذه جميعًا هجرات أولاد سليمان

[1] الشطشاط علي حسين ، الهجرات العربية الى شرق إفريقيا ودورها في نشر الإسلام والعروبة،ص 401.

[2] حبيب وداعة الحسناوي، المصدر السابق، ص153-154.

[3] حبيب وداعة الحسناوي، المصدر السابق، ص ص 158-159

والأداور الفعالة للدعوات الفكرية الإسلامية التي انطلقت من المغرب العربي [1]منذ ان دخل الاسلام الى افريقيا مع القوات الفاتحة بقيادة سيدنا عمر بن العاص (رضي الله عنه)في عام 639م،وتاريخ القارة الافريقية هو تاريخ الصراع بين الاسلام والمسيحية، ولكن طرفا الصراع بين هاتين العقيدتين ظل أساسا بين القوى المسلمة الافريقية والدولة الاسلامية في المدينة حينما بدأت عام 620م كانت المسيحية في افريقيا متمركزة في مناطق محدودة في شمال شرق افريقيا وبالتحديد في مصر وتونس وكوش وإثيوبيا.ومنذ بداية الدعوة الاسلامية اتخذت العلاقة مع مسيحي افريقيا طابعا وديا فريدا (فالمقوقس زعيم القبط المصريين، رد على النبي صلى الله عليه وسلم) ودعوته للاسلام ردا جميلا وأرسل اليه هدايا.

أما نجاشي إثيوبيا فقد آوى أول المهاجرين المسلمين الى مملكته حين اشتد بهم اضطهاد الكفار من قريش في بداية الدعوة، وقد حفظ المسلمون لمسيحي اثيوبيا ومصر هذا الجميل وأوصى بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته خيرا [2]

ولما انتشر الاسلام في شمال افريقيا كان المسيحيون أول من رحب به، خاصة الأقباط الذين اضطهدهم الحكام البيزنطنيون لتمسكهم بوحدانية طبيعة السيد المسيح بعد أن انحاز البيزنطنيون بعد مجلس شالسيدون في 451م إلى المذهب الملكي الرافض لعقيدة الطبيعة الواحدة، وقد أعطاهم المسلمون ذمتهم ومنحوهم حرية الإعتقاد والعبادة الكاملة،وحينما وصلت جيوش المسلمين بقيادة سيدنا عبد الله بن سعد بن أبي السرح (رضي الله عنه)إلى مشارف مملكة كوش في عام 642م وقعوا مع ملك مملكة المقرة المسيحية معاهدة البقط الشهيرة التي كفلت للمسلمين حق الاقامة والعمل في المملكة،وكفلت لها معونة من الاغذية والحصين مقابل قدر محدودمن الرقيق، والسلع كلها كانت تستعمل كنقود سلعية في المملكة في نفس الوقت.

[1] عبد المولى صالح الحرير،الإسلام وأثره على التطورات السياسية والفكرية والإقتصادية في أفريقيا جنوب الصحراء،مجلة البحوث التاريخية،ع م،س،11 يوليو 1919،طرابلس،مركز جها،اليبين، ص 99

[2] محمد هاشم عوض، مراحل وأساليب انتشار الاسلام والمسيحية في افريقيا . مجلة دراسات افريقية . العدد 15. دار جامعة افريقيا ' العالمية للطباعة والنشر، الخرطوم،1994، ص 45–46.

واستمرت العلاقات السلمية بين مصر المسلمة وكوش المسيحية لمدة ستة قرون،دون أي صدمات واعتداءات تذكر وفي أقل من قرن من دخول المسلمين الى مصر كان الفتح الاسلامي قد شمل كل الأراضي الافريقية شمال الصحراء وتوغل الفاتحون في ليبيريا، وفي ذلك الوقت كانت في جنوب الصحراء ممالك مسيحية كإثيوبيا وكوش وفي شرق الحزام السوداني وآخرى وثنية مثل غانة ومالي وصنغي وكانم في غرب وأواسط الحزام، وقد كانت بين شمال افريقيا المسلم وجنوب الصحراء المسيحي والوثني علاقات تجارية نشطة عن طريق القوافل العابرة للصحراء الكبرى، وعن طريق هذه العلاقات التجارية بدأت الدعوة الاسلامية تصل الى شعوب جنوب الصحراء الى ان بدأت الممالك في هذا الجزء من افريقيا تتحول الى الاسلام منذ القرن الثالث الميلادي[1].

وقد وصل الإسلام إلى إفريقيا من جهتين وكان لكل جهة منها مسارها وتكوينها وعمقها شرق إفريقيا، وغرب إفريقيا.

– أما شرق إفريقيا فمرجعه الى اتصال الموانىء الافريقية بالجزيرة العربية، ويمكن القول بأن الاسلام قد دخل إثيوبيا قبل أي بلد إفريقي آخر،وذلك عن طريق الهجرة الأولى في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، ولم تلبث الدعوة الاسلامية أن انتشرت على ايدي القبائل التي هاجرت الى ارتريا، والصومال وإثيوبيا، حتى أصبح الاسلام هو دين الغالبية في هذه المناطق والمعروف أن هذا الساحل شاطىء الصومال وكينيا وتناجانيقا، كان مجال التجارة العربية، فلما جاء الاسلام واعتنقه العرب تحولت تلك المناطق إلى مراكز اسلامية على الشاطئ الشرقي الافريقي تتحكم في طرق التجارة الى داخل تنجانيقا وقلب الكونغو،وتمتد إلى بحيرة فكتوريا، وكان من نتيجة،اتصال العرب بالأهالي أن ظهرت اللهجة السواحلية، وهي مستمدة من اللهجات المحلية الافريقية التي يتحدث بها في أغلب شعوب القارة، وهي بذلك خليط من ألفاظ زنجية وعربية وفارسية وهندية [2]

[1] محمد هاشم عوض ، المصدر السابق،ص 45

[2] محمد عبده مخلوف ، مجلة نهضة افريقيا، عام 1957م

– أما منطقة غرب افريقيا فقد انتشر الاسلام فيها عن طريق قبائل البربر المغربية التي اعتنقت الاسلام، أمـا عن طريق غرب السودان،حيث يوجد خط القوافل التجارية المسافرة الى غرب افريقيا، ومن المغرب انتشر الاسلام في السنغال ومملكة غانة القديمة، وامتد إلى داهومي (توجو حاليا) وكذلك نيجيريا وسائر دول غرب افريقيا التي انتشر فيها الاسلام عن طريق أهل المغرب ولم يلبث النيجيريون أن أثبحوا دعاة للإسلام في ترحالهم على الأقدام للحج سنويا مخترقين قلب افريقيا الى غرب السودان فشرقه، ثم عابرين البحر الاحمر [1].

ومن غرب افريقيا وسع الاسلام آفاقه وسط القارة الافريقية، وتررجع أهمية التوسع الاسلامي في غرب افريقيا الى قيام دولة (المرابطين)في القرن الخامس الهجري،حيث توصف هذه الفترة بأنها فترة انتعاش الاسلام، وكان أبرز مظاهر هذه الحركة الاندفاع نحو الجنوب الى جبال ادرارس، ثم الى بلاد موريتانيا ثم الى نهر السنغال، حتى اذا كان القرن التاسع الهجري (15م) اتسعت حركة انتشار الاسلام واللغة العربية في هذه المناطق، ولم تلبث أن اتسعتفي القرن العاشر الهجري حيث استطاع الاسلام أن ينتشر بين القبائل،ويحل محل الديانات الوثنية في السنغال، حيث اعتنق الاسلام حوالي مليون وثلاثمائة ألف من مليونين هم مجموع السكان آنذاك.

وكان للجاليات الإسلامية التي وفدت من الهند والملايو واستقرت في المناطق الواسعة الممتدة من رأس الرجاء الصالح في جنوب إفريقيا الى كينيا شمالا أثرها في نشر الإسلام وقد بلغت 50 ألف هندي وأربعة ألف ملاوي، حتى لقد اعتنق الإسلام سكان هذه المناطق من السود وكان للتجارة أثرها الواضح في إدخال الناس في الإسلام نتيجة لهجرة العمال من قبائلهم التماسا للرزق

ويرجع الكثير من الباحثين الفضل في انتشار الاسلام بين القبائل الزنجية في إفريقيا منذ القرن 18م الى نشاط الدعاة المسلمين،وقد وجد الزنوج في الإسلام الطمأنينة بفضل نظامه

[1] عبد الرحمن بدوي، مجلة نهضة إفريقيا، من أنور الجندي، العالم الاسلامي والاستعمار السياسي والاجتماعي والثقافي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، عام 1979م،ص 143.

الاجتماعي، وما يتمتعون في ظله من أمن خلال أسفارهم للتجارة ويسر فرائضه، والاسلام دين فطرة، سهل التناول، سهل التكيف والتطبيق على مختلف الظروف ولعل هذا من أهم العوامل التي سهلت اعتناق الوثنيين للإسلام [1]

وقد بدل الاسلام مظاهر الحياة في البقاع التي دخلها، وأسبغ روح النظافة حيث يتميز المسلم عن بقية الناس بلباس فضفاض فضلا عن تحريم لحم الخنزير.

لقد ساهمت حركة كثير من الأفارقة لأداء فريضة الحج وطلب العلم في القيروان وفاس والأزهر وفي مكة المكرمة والمدينة المنورة في نشر الدعوة والعلوم، ونهضت تلك البلاد التي أمنها المسلمون الإفريقيون بشتى الأغراض بما ينبغي عليها من الوفاء الذي سجله التاريخ من تيسير الرحلة وحسن الاستقبال وتيسير سبل العلم، بجانب تبادل المنافع التجارية، بل اختلطت دماء الافريقين السود بغيرهم من المسلمين مما زاد الرابطة ووثق العلاقة فأدى هذا كله الى تجاوز شهرة المدن الإفريقية الزاهرة حدود القارة الإفريقية.

ومن أمثلة ذلك فقد ازهردت مد ينة تمبكتو في مجال التعليم ونشر الثقافة الإسلامية إذ انتشر المرابطون في القرى يعلمون القرآن الكريم والكتابة العربية، وكان أبناء المشايخ يأتون إلى تمبكتو لتحصيل العلم، فلم تكن تمبكتو سوقا للتجارة وسط إفريقيا فحسب، بل كانت دار علم إنتشر ذكرها حتى سواحل البحر الأبيض المتوسط، وصارت هذه المدينة التي اختطت منذ عام 1088م، مركزا للدعوة الاسلامية تشع منها الى كل الجهات، ومنذ القرن الثاني عشر كان الاسلام قد انتشر في بلاد النيجر والسنغال الأعلى وصل الى بحيرة تشاد في القرن الثالث عشر [2]

كانت لرحلات الحج فوائد كثيرة تركت علاقات مميزة في إستمرار العلاقة بين غرب افريقيا خاصة ومركز العالم الاسلامي في مكة والمدينة المنورة، وقد ساهمت هذه الرحلة في تصحيح عقائد القبائل، فقد كان الحجيج يعود بعد أداء الفريضة، وهم أكثر وعيا،وحماسة لدينهم بسبب

[1] عبد الرحمن بدوي، مجلة نهضة إفريقيا، من أنور الجندي، العالم الاسلامي والاستعمار السياسي والاجتماعي والثقافي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، عام 1979م،ص 144.

[2] محمد الأمين السنقيطي الجكي، رحلة الحج الى بيت الله الحرام،دار الشروق،جدة، 1983م،ص 254،255.

ماكان يتم للدعاة المسلمين والعلماء والوعاظ في مكة والمدينة، كما أن هذه الرحلة أصبحت وسيلة من وسائل الإتصال، فقد كانوا يتصلون بالعلماء والمهند سين يأخذونهم إلى بلادهم لتطوير الإدارة بها، ولرفع المستوى الثقافي والعمراني، ومن أمثلة ذلك فقد سافرالساحلي المعماري الأندلسي مع متاموس حيث شيد له مسجدين وقصرا في جاوة وتمبكتو على الطراز الأندلسي مما جعل هذا الطراز هو الغالب في تلك البلاد[1]

لعلى أقوى الروابط التي تدعو إلى الدعم والتكافل هي رابطة الدين، ويمكن الإشارة إجمالا إلى أن انتقال الاسلام عبر الصحراء الكبرى إلى الجزء الجنوبي من إفريقيا الغربية لم يتم إلا بعد أن أمنت الطرق الصحراوية بإسلام الملثمين وحفر الآبار للري كما فعل عبد الرحمن بن حبيب الفهري (127. 132هـ)، أما الفتح الكبير فقد جاء للإسلام على أيدي قبائل الملثمين نتيجة للإتصلات التي قام بها يحي بن ابراهيم بالجدالي بعبد الله بن ياسين الذي أنشأ له رباطا في جزيرة عند مصب نهر السنغال واستولى أتباعه منها على إمبراطورية غانة فوجدوا أن بها أحياء للمسلمين، وتعتبر مملكة مالي الإسلامية هي ثالثة الممالك الاسلامية في غرب إفريقيا تأريخا ولكنها أوسعها شهرة وأسلم أول ملوكها (ماري جاطه) المشهور عند العرب ب(برماندە) حوالي عام 210هـ/1214م، أما أعظم سلاطينها على الإطلاق فهو (منسا موسى كنكن 1312م /1331م) إذ بلغت دولة مالي الإسلامية في عهده ذروة مجدها وقوة اتساعها فملأت شهرته الآفاق بموكب حجه المهيب 1324م، وتذكر المصادر أنه كان بصحبته خمسمائة عبد في يد كل عبد عصا من ذهب في كل منها خمسمائة مثقال [2]

وعلى هذا النسق أوقريب منه نشأت العديد من الدويلات الإسلامية على طول الساحل الصحراوي جنوب المنطقة العربية فمنها مملكة صنغاي، سكتو،برنو، وداي، تقلي، سنار، المهدية ودول الطراز الإسلامي، وفي هذه المنطقة أيضا نشأت العديد من المراكز الثقافية التي طبقت

[1] حسن ابراهيم حسين ، انتشار الاسلام في القارة الافريقية،مكتبة النهضة المصرية،القاهرة،1984م.ص 225.

[2] علي عبد الله الخاتم، المصدر السابق،ص 189.

سمعتها الآفاق مثل تمبكتو،جنى،سكتو،كانم،وداي، الفاشر،سنار، إيفات، عدل، هادية، وبالي [1] واشتهر بها علماء حسبوا أنفسهم على العلم من أمثال أحمد بابا التمبكتي والسعدي ومحمود كات [2]وآخرين عملوا فأسسوا دولا إسلامية قائمة على مبادئ إصلاحية مثل عثمان دان فودي وعمر بن سعيد تال الفوتي ومحمد الأمين الكانمي ومحمد أحمد المهدي، وقد أثرى هؤلاء وأولئك المكتبة بالعديد من المؤلفات التي تعد من أصول العلوم الإسلامية، كما أثرى العاملون منهم التجربة الإسلامية في الأحكام السلطانية والحسبة والإدارة ويرى جمال حمدان أن عدد المسلمين في افريقيا اليوم يعادل عدد العرب في مجموعهم وأن افريقيا أكبر القارات في نسبة الإسلام، وقد تمددت أطرف الاسلام منها الى كل ركن وصقع في القارة، ويصف حركة الاسلام في افريقيا (بالثورة الصامتة التي تكتسح القارة تحت ناظرينا) وعنده أن الاسلام في حدود إنتشاره في افريقيا يرتبط بكل أنواع البيئات المختلفة وأن هذا النمو على كافة المستويات يكذب ما ذهب إليه البعض من أن الاسلام دين الرعاة أو دين الصحاري أو دين السهول، فهو دين الرعاة والصحاري والسهول جميعا، والاسلام يمثل اليوم كل وحدة سياسية في افريقيا وعنده أن الاسلام قوة لاحمة سياسية، فهو جسر امتد بين افريقيا العربية وافريقيا الزنجية ويمثل قاسما مشتركا أصغر بينهما برد خرافة (زنوج وعرب)ويؤكد الباحثون أن الاسلام في افريقيا يتحرك في فراغ ديني وأنه يعمل دون صراع، مع المسيحية ولايصادمها، وإنما يتخذ مجال عمله بين الوثنيين، والظاهرة الواضحة أن التبشير قد ارتبط بالنفوذ الأجنبي والاستعمار الأوربي وأن تناقضات المذاهب وصراعها قد قلل من أهمية التبشير نفسه، بينما يبد و الاسلام بسيطا وسمحا.

وقد أصبح الإفريقيون يقرنون بين المسيحية والاستعمار، ويرون أن المسيحية دين البيض ومن هنا فإن الاسلام يكاد يكون محتوما كدين للمستقبل، ويشير الدكتور حمدان حين يقول زيما (قد تصبح افريقيا قارة الاسلام بالضرورة)[3]

[1] الأمين عبد الكريم، الصراع بين القوى الإسلامية والمسيحية في اثيوبيا، مجلة دراسات إفريقية، العددالأول، ص49

[2] علي عبد الله الخاتم، مرجع سابق،ص 191.

[3] جمال حمدان ، الاسلام في افريقيا، مجلة نوفمبر 1963.،ص 86.

يعترف (هوبرونشان) مؤلف كتاب (الديانات في افريقيا السوداء) وهو أحد حكام المستعمرات الفرنسية (بأن انتشار الدعوة الاسلامية لم يقم على القهر والتسلط بل قام على الاقناع لأن الذين قاموا به كانوا مشايخ متفرقين لا تحوطهم قوة، أوتحميهم دولة، إنما كان الاخلاص دافعهم الى اظهار محاسن الاسلام وسماحته، وقد يسر انتشار الاسلام، أنه دين فطرة سهل التناول، خال من التعقيد لايفرض على مسلم طقوسا ما . بل لا يتطلب سوى النطق بالشهادتين، ولذلك كان التجار والمسلمون من الديولا والهوسا يحملون بذور الدعوة الاسلامية في سماحة ويسر، بل ان الاسلام خالف ظن المبشرين والمراقبين الغربين الذين كانوا يظنون أنه لايستطيع الانتشار إلا في مناطق الشمال حيث تكثر الفياضي والقفار، دون أن يستطيع اجتياز حاجز الغابات الحادة في الجنوب والتوسع في أوساط سكانها، فإن تقدم الاسلام في سيراليون وساحل العاج وغانا وتوجو أثبت بما فيه الكفاية كم كان ذلك الاعتقاد بعيد الصواب [1]

وقد شهد بورورت سمث في كتابه Mohamed and Morpmmedons الذي أوضح كيف انتشر الاسلام سريعا في افريقيا وكيف اجتاح أغلب دول افريقيا دون مقاومة تذكر وكيف امتدت موجة الاسلام جنوبا الى الشمال الغربي من مراكش حيث بلغت في زمن الفتح (النور ماندي) تخوم(تمبكتو) ووطت شرقا وجنوبا حتى بلغت في القرن الثالث عشر هجري (19م) بحيرة تشاد التي تصافح صنفا فيه العرب القادمين من الشرق مع اخوانهم القادمين من الغرب، وقال (انا لنسمع عن قبائل بأسرها،تطرح جانبا الوثنية والشعوذة وعبادة الشيطان لترقى الى أعلى المستويات العقيدة الدينية).

وقد لاحظ المسافرون الغربيون،رغم كل رغبة من جانبهم في عكس ملاحظاتهم، أن الزنجي الذي يعتنق الاسلام لايلبث أن يجتلي شعورا بالعزة والكرامة الإنسانية لاتلمس مثلها عادة بين هؤلاء الذين ينضمون إلى غيره، ونقول نحن متأكدون من جميع النواحي أن للسكان المسلمين رغبة عاطفية في التعليم وحيثما يوجد عدد من المسلمين يسرعون الى انشاء مدارسهم الخاصة،ومنهم غير قليل يقطعون المسافات الشاسعة للحصول على افضل تعليم

[1] هوبر ونشان ، الديانات في افريقيا السوداء، من أنور الجندي، مرجع سابق، ص 148.

ويلاحظ مراسل صحيفة (ذي واشنطون) بوست أنه في خلال هذا القرن قد تحولت قرى بأكملها الى الاسلام في بحر سنوات قليلة، ففي بوكينا فاسو (فولتا العليا) سابقا اعتنق (موغا نايا) ملك الموسي الاسلام مع مئات من رعاياه، ومنذ الحرب العالمية الثانية تقدم الإسلام تقدما مماثلا في ليبيريا وساحل العاج والكنغو،ويوجد الآن في السنغال وغامبيا وغينيا ومالي وموريتانيا والنيجر وتشاد أكثر من 80 % مسلمون ونفس الشيء نجده في بقية دول شرق افريقيا ويعلل أسباب تفوق الاسلام إلى أنه أكثر بساطة، إذ ليس فيه أسرار مذهبية أو تعذيب للضمير فالإعتقاد بالله الواحد وتمجيد نبيه هما الشرطان الأساسيان في الاسلام.

وقد لاحظ جنتلر في تطوافه في افريقيا حسبما سجله في كتابه (داخل افريقيا أن أهم عوامل انتشار الاسلام أنه ليس فيه تميز عنصري، ومن ثم لايقوم حاجز يمنع تحول البانتو أو الزنوج الى رحابه،وقد انتشر انتشارا شاملا عميما بين عباد الأوثان والحيوان لأن شعائره مبسطة للغاية،وترجع أهمية الإسلام في نظر الإفريقيين إلى أنه نظام اجتماعي كما هو دين يمنح المؤمن اعتقاده بالمساواة بين جميع المؤمنين، ولقد أشار (ولفرهامبتون) في بحث له نشرته جريدة التايمز عام (1887م) نتائج انتشار الإسلام فقال(:أنه عندما تدين به أمة من الأمم الإفريقية تختفي من بينها في الحال عبادة الأوثان، وتحرم أكل لحم الإنسان ووأد البنات، وتضرب عن الكهانة وتأخذ أهلها في أسباب الإصلاح وحب الطهارة، ويصبح عندهم إكرام الضيف من الواجبات الدينية وشرب الخمور من الأمور الممنوعة، ولعب الميسر، والأزلام محرمة، والرقص القبيح ومخالطة النساء اختلاطا دون تمييز منعدمة، ويرون عفة المرأة من الفضائل، أما الغلو في الحرية والتهتك وراء الشهوات البالية فلا تجيزه الشريعة الإسلامية[1].

[1] نفسه، ص 149–150.

والإسلام هو الذي يعمم النظافات ويقمع النفس عن الهوى ويحرم إراقة الدماء والقسوة في معاملة الحيوان والإنسان ويحضى على الخيرات، وزيادة على ذلك فالإسلام عفيف بالكلية عن الشركات الدينية والتجارية وفي غنى عنها والتجارة الأوربية تمهد وسائل المسكرات، وتسوم الشعوب خسفا وإذلالا، والإسلام ينشر لواء المدنية القائلة بالاحتشام في الملبس والنظافة والاستقامة وعزة النفس. [1]

فالدين الإسلامي في جوهره يحمل الكثير من الخصائص والسمات المتميزة التي تتعلق بحياة الإنسان أيا كان وتخاطب مباشرة عقله ووجدانه كما أنها تتعلق بسلوكه وحياته اليومية، لذا فإن كل ماجاء به الإسلام من خلال النصوص القرآنية الواضحة أومن خلال السنة النبوية أو سلوكيات الرسول عليه الصلاة والسلام والصحابة والمسلمون الأوائل كل ذلك كان له تأثيره المباشر في عملية انتشار الإسلام لقد اشتمل الإسلام على مجموعة من المبادئ التي تتعلق بالعقيدة والإيمان فقد بنى الإسلام على الوحدانية وأن لا اله الا الله وان محمد رسول الله هذا هو جوهر الإسلام الذي يعطي لأيا كان حق مشاركة الله في هذه الوحدانية، كما أقر الإسلام المبدأ المميز والواضح وهو (لا إكراه في الدين) (ومن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر)[2]

وفي نفس العام يكتب جوزيف تومسيون في التايمز عن انطباعاته بعد رحلة استكشافية في قلب إفريقيا (إذ بلغنا غربي إفريقيا والسودان الأوسط نجد الإسلام كجسم قوي تدب فيه روح الحياة والنشاط،وتتحرك فيه عوامل الحماسة والإقدام،وكما كان في أيامه الأولى فترى الناس تدخل أفواجا أفواجا، وتقبل عليه بإقبال عجيب يشبه أيامه السالفة، ترى أشعة نوره منبعثة من شوارع سيراليون، وآخذة في إنارة بصائر القبائل المنحطة في وهاد الجهالة الآكلة للحوم البشر عند منبع النيجر، رأيت أن أعظم فتوحات الإسلام في أوساط السودان وغربه كانت على يد جماعة سليمي الطوية منخفضي الجناح، وكان قائما بنشره وإتساع دائرته رجل يدعي (فولاني) وكان يفترش الأرض ويلتحف السماء) وفي الأزمان الحاضرة كان القائم بأمره تاجرا ذا همة

[1] أنور الجندي ، العالم الإسلامي والإستعمار السياسي والإجتماعي والثقافي، مرجع سابق، ص 150

[2] عطية مخزوم الفيتوري، المرجع السابق، ص 94.

وإقدام يقال: (هوذا أو نوبية) وفي أوائل القرن الثاني عشر هجري (18م) كان ذاك الراعي يجهد نفسه في نشر لواء ديانته من بحيرة تشاد الى المحيط الأطلنطي، فحصل من ذلك أن أشرقت شمس الإسلام في سماء هذه الجهة بأجمعها. وظهرت في أواخر القرن الماضي عدة فئات من المسلمين لم يكن يعوزهم الا رئيس يحمي ديارهم، ويدفع عن هذه البلاد غائلة الوثنية، فلما قبض لهم في هذا الجيل رجل يسمونه(فوديو) لم يمض غير قليل زمن حتى ساد الإسلام، وامتد جناح سلطانه بسرعة غريبة في بلاد شاسعة واسعة، وانتشرت سلطته على القبائل المتبربرة فأصاب فوزا عظيما [1]هذه صور توسعات الإسلام الذاتية في العصر الحديث كما يصورها عدد من المراقبين الغربيين، ترسم طبيعة هذا الدين وقدرته على الانتشار في مواجهة التحديات التي تعرض من خلال جائحة الإستعمار التي واجهت القارة الإفريقية في العقدين الأخيرين من القرن التاسع عشر الميلادي [2].

في الوقت الذي كانت فيه أوربا المسيحية تستنزف غرب إفريقيا من قواها البشرية كان الحزام السوداني يعيش عصره الذهبي في ظل نهضة إسلامية نشأت في ظلها أعظم الممالك التي عرفتها إفريقيا، ففي أواخر القرن 14م وبداية القرن الخامس عشر تحول ملوك سنغاي ومالي إلى الإسلام وحدثت نهضة عظيمة في كل منهما تحت ملوك مثل نمركيا محمد في سنغاي ومنسا موسى في مالي، وقد حج كلاهما إلى مكة ولفتا الأنظار بثرائهما وعظمة ملكهما. وفي أواسط القرن السابع عشر بدأت قبائل الفلاني الرعوية التي اعتنقت الإسلام وانتشرت في أواسط الحزام السوداني تعلن الجهاد ضد الملوك الوثنين الذين فرضوا عليهم الأتاوات والضرائب الباهضة، وسرعان ما استولوا على السلطة وأقاموا إماراتهم ثم ممالكهم محل دويلات الهوسا، وكان من أبرزهم الشيخ عثمان دانفوديو وإبنه محمد بيلووهما زعيمان مشهود لهما بالعلم والتقوى والكفاءة وفي السودان اعتلى أول مسلم العرش في مملكة المقرة في عام 1251م، وفي عام 1504م حل تحالف الفونج والعبدلاب المسلمين محل الهمج المسيحيين ملوك علوة وأقاموا دولة

[1] أنور الجندي ، المرجع السابق، ص151.

[2] دراسات دعوية، العدد9 ، فبراير 2005،ص90.

الفونج الإسلامية التي انتشرت فيها مدارس العلم ومساجد القرآن، وإزدهرت الحرف والصنائع وسجلت إنتصارات عظيمة ضد حكام إثيوبيا المسيحين.

وفي شرق إفريقيا وعلى طول الساحل، فيما يعرف الآن بالصومال وكينيا وتنزانيا، أقام الخليجيون المسلمون عربا وفرسا مستوطنات كانت بدايتها في القرن التاسع ولكنها في القرن الثالث عشر أصبحت مجتمعات مزدهرة تقوم على تجمع المنتجات الإفريقية خاصة العاج وخام الحديد وتصديرها الى البلاد الإسلامية والهند، وفي أواخر القرن الخامس عشر سيطر البرتغاليون على هذه المنطقة الإستراتيجية على الطريق الى الشرق الأقصى حتى[1]

أجلاهم العثمانيون منها في نهاية القرن السابع عشر، وبعدها أقام بنو سعيد سلطنة زنزبار التي أصبحت المركز الرئيسي للتجارة في غرب المحيط الهندي وأقامت شبكة تجارية داخل إفريقيا إمتدت الى أواسطها [2]

دخل الإسلام في إفريقيا منذ أوائل الدعوة وكانت إرهاصاته قبل الهجرة حين إحتمى بعض مسلمي مكة بنجاشي الحبشة كما هو معلوم عن الهجرة الأولى، ودخل الإسلام مصر منذ حوالي عام 27هـ، ورأينا آثاره في السودان منذ عام 31هـ في مسجد دنقلا الذي ورد ذكره في معاهدة البقط بين عبد الله بن أبي السرح وملك دنقلا النوبي، وقد أدى انتشار الإسلام إلى سقوط مملكة المقرة بعد حوالي خمسة قرون، وبعد حوالي القرنين والنصف من ذلك سقطت مملكة علوه وقامت للإسلام دولة في وسط إفريقيا بعد حوالي الثلاثة عشر عاما من سقوط الأندلس في أيدي الفرنجة.

وكان الإسلام قد عم شمال افريقيا منذ منتصف القرن الهجري الأول، وبدأ زحفه من العمق الإفريقي وانتهى بقيام الدول الإسلامية في غانا (القرن الرابع حتى السابع الهجري) ومالي (من القرن السابع حتى العاشر)، السنغاي (القرن العاشر الهجري)

[1] محمد هاشم عوض، المصدر السابق، ص 49.

[2] نفسه، ص ص 49 – 50.

وامتد أثر الإسلام الى معظم دول غرب ووسط إفريقيا لما بما يعرف الآن بنجيريا، النيجر، الكمرون، إفريقيا الوسطى، تشاد وما إليها،إلى جانب المناطق القديمة في غانا، مالي، السنغال وما إليها.[1]

وكان للإسلام انتشاره الواسع في القرن الإفريقي [2] في إثيوبيا وإرتريا والصومال وموزنبيق، وما جاورها في الجنوب الإفريقي، بحيث جري القول في منتصف القرن العشرين بأننا نكاد نجد بين كل ثلاثة أفارقة اثنين من المسلمين وصح في وجدان المسلمين وحسابهم أن إفريقيا قارة الإسلام،وكان الإسلام في الواقع ينتشر في إفريقيا انتشار النار في الهشيم كما عبر عنه كثير من المراقبين [3]

وهكذا،بعد استعراض الملامح الأساسية لإنتشار الإسلام في أفريقيا على نحو شمولي يمكن لنا أن نتناول المراكز الإسلامية في أفريقيا،ودورها في نشر التعليم والثقافة العربية الإسلامية.

يعد بروز المراكز الإسلامية في القارة الإفريقية من الظواهر الإيجابية لإنتشار الإسلام هناك،لقد وجه الإسلام منذ إنتشاره المبكر دعوته القوية إلى تفويض الأوضاع والأفكار الفاسدة مبتدئا بالوثنية ومايتبعها من ضلالات الشرك وحارب العصبية والقبلية التي كانت تحول دائما دون توحد الناس وإجتماع شملهم وكانت تؤدي إلى إثارة الضغائن واستمرار الأحقاد والحروب، ولقد وجدت العصبية القبلية نفسها بظهور الإسلام أمام خصم قوي هو هذه العقيدة الجديدة التي تدعو العرب كافة إلى التآخي والتآزر ونبذ العداوة بينهم والتخلي عن الروح القبلية [4]

قال تعالى: ﭽ الأنعام الأعراف الأنفال التوبة يونس هود يوسف الرعد إبراهيم الحجر النحل

[1] انظر ارنولود، الدعوة الى الاسلام (طبعة لاهور الإنجليزية) الصفحات (312،362)، من عون الشريف قاسم، الصراع المسيحي في افريقيا، مجلة دراسات إفريقية بجامعة إفريقيا العالمية، الخرطوم، العدد العشرون، ص 94.

[2] زنجهام ، الإسلام في شرق إفريقيا وكتابات حسن مكي عن القرن الإفريقي.

[3] عون الشريف قاسم، الإسلام والبعث القومي، الصفحات 100-88.

[4] صلاح الدين الأيوبي، الإسلام والتمييز العنصري، ط2، سوريا، دار الأندلس،1981، ص116.

الإسراء الكهف مريم طه الأنبياء الحج المؤمنون النور الفرقان الشعراء النمل القصص العنكبوت الروم لقمان السجدة الأحزاب سبإ چ[1] فالإسلام أقر حرية الفرد في تفكيره، ومعتقده لأن الله ميز هذا الإنسان بنعمة وخاصية عن سائر الكائنات وهي العقل الذي به يستطيع أن يميز بين الخير والشر والحق والباطل وبين الغث والسمين فجاء الإنخراط في الإسلام سهلا ودون إكراه كما يدعي أعداءه ومنذ انتشار الإسلام المبكر تجسد هذا المبدأ وكانت أوامر وتعاليم الله الى نبيه حيث قال تعالى: چ آل عمران النساء المائدة الأنعام الأعراف الأنفال التوبة يونس هود يوسف الرعد إبراهيم الحجر النحل چ[2]

لذا فإن الأفارقة عندما تعاملوا مع الإسلام أدركوا هذا الجانب جيدا واقتنعوا بأنه دين سلم وقناعة وحرية [3]

ولايعتبر الإسلام الفرد مسؤولا عن عمله ولا يبني أية مسؤولية على عوامل أخرى خارجة عن قدرته كاللون مثلا، ولم يرجح القرآن لون على لون، والألوان في الكتاب المبين مظهر من مظاهر قدرة المولى عز وجل، كما يعتبر الإسلام الإنسانية أسرة كبيرة خلقها الله من نفس واحدة وإن اختلاف الألسنة والألوان فيها مظهر قدرة الله وحكمته وما جاء به القرآن من تفاضل بين الناس كما يعد توفير فرص متكافئة ولا يرضى الإسلام بتحول مواهب الأفراد أو مواقعهم الإجتماعية إلى مراكز قوة يجتمعون فيه على أساس اللون أو أي مظهر فيضطهدون بقية فئات المجتمع وينقلون هذا السلوك إلى الأجيال التالية فروقا وأحقادا [4]

إن الإخاء الذي أشار إليه القرآن وأكده الرسول في مواضيع كثيرة يفرض على المسلم إلتزامات متعددة فهو مبدأ يفرض احترام آدمية الإنسان وتكريمه وأن تكون العلاقة بين البشر

[1] سورة الفتح، الأية 26.

[2] سورة القصص ، الآية 56.

[3] عطية مخزوم الفيتوري، مرحلة انتشار الإسلام، مرجع سابق، ص 95.

[4] عبد العزيز كامل، الرسول والتفرقة العنصرية، المؤرخ العربي، العدد 16، بغداد 1981،ص 116.

قائمة على الإحترام المتبادل الذي يقوم على التعاون ومراعاة المصالح المشتركة ويوجب الإعتراف بحق جميع الناس في الحياة الحرة الكريمة [1]

وقد أسهمت هذه المراكز بفعالية بالغة في إرساء الحضارة العربية الإسلامية فيربوع القارة.

لقد حمل الإسلام إلى أفريقيا عاملين يعتبران من أهم العوامل الحضارية التي ساعدت أبناء القارة على إستيعاب المفاهيم الحضارية بشكل جيد،و هما:اللغة العربية،وإن كانت موجودة من قبل،ولكن إتسع إنتشارها بإنتشار الإسلام،والكتابة العربية، ذلك أنه من المعروف أن ثقافة أفريقيا،قبل الإسلام،كانت ثقافة شفهية غير مدونة،[2]ويعنى وبعض الباحثين إنتشار اللغة العربية في أفريقيا إلى عدم جواز ترجمة القرآن الكريم،وكتباته بغير اللغة العربية،التي نزل بها،فضلا عن عدم جواز القراءة بغير اللغة العربية في الصلاة ومن ثم كان على كل أفريقيا دخل الإسلام أن يتعلم ويحفظ من القرآن ما يمكنه من أداء طقوسه الدينية.[3]وهكذا مع انتشار الإسلام في أفريقيا،انتشرت في ركابه اللغة العربية والكتابة العربية،فلولا دخول هذين العاملين إلى القارة لما برزت المراكز العلمية الإسلامية،ولما ظهر العلماء والفقهاء والمعلمون الذين آثروا بعلمهم الحياة العلمية والثقافية في أفريقيا،نشأت العديد من الإمارات والممالك والإمبراطوريات منذ القدم إذ يقول الإدريسي في حديثه عن السودان الغربي " إن الذي يضمه هذا الجزء الثاني من الإقليم الأول من المدن مدينة ملل وغانة ومداسة وسغمارة وغيارة وغربيل وسمقندة،أما ملل فهي مدينة صغيرة كالقرية الجامعة لاسور لها وأهل ملل متحصنون، ثم غانة الكبرى وهي أكبر بلاد السودان قطرا وأكثرها خلقا وأوسعها منجزا، ثم ونقارة وهي بلاد التبر وهي جزيرة طولها 300 ميل وعرضها 50 ميلا والنيل يحيط بها (يقصد نهر النيجر)، أما تيرقي فبينها وبين غانة ستة أيام وطريقها مع النيل (يقصد النيجر) ومن يترقي إلى مداسة ستة أيام وهذه الأخيرة هي مدينة

[1] محمد فتح الله الزيادي، إنتشار الإسلام وموفق المستشرقين منه، دمشق، دار قتيبة 1990، ص 91.

[2] الهادي المبروك الدالي، الإسلام و اللغة العربية في مواجهة التحديات الإستعمارية بغرب أفريقيا،بيروت،دار صنين،1996،ص175

[3] نفسه ، ص28

متوسطة كثيرة العمارة صالحة العمالات، ومن مداسة إلى سغمارة ستة مراحل، ثم سمقندة بعدها بثمانية أيام وهي موجودة على ضفة النيل [1]

لقد عرفت السودان الغربي عدة إمبراطوريات فظهرت غانة وبعدها مالي أما ستغاي فكانت من أقوى وأعظم الإمبراطوريات سيطرة وهذه الأخيرة الدولة التي عاصرها الشيخ المغيلي في عهد الأسقيين (1492 .1592) قال أحمد التمبكتي في تقييده المسمى بمعراج الصعود عن ستغاي ما سمعنا قط أن أحد استولى عليهم قبل إسلامهم ومنهم من قدماء الإسلام كأهل مالي وأسلموا في القرن 5هـ / 11م أوقرية وكأهل بورنو وسنغاي [2]

ويذكر فيج ج يدي حسب اليعقوبي أن سنغاي كانت أعظم مملكة في السودان حيث كان يتبعها عدد كبير من الدول [3]

اما عن المراكز الإسلامية فهي القاهرة وجامعها الأزهر وأروقته،مثل الرواق السناوي والفوراوي والتكروري،كذلك طرابلس الغرب والقيروان وفاس والزيتونة بتونس،وتمبكتو وجنى وكانوا وجاوو أودغست وكانم وبنو،... وغيرها.وسنكتفي هنا،بإعطاء بعض الأمثلة لهذه المراكز ونشاطها العلمي والثقافي كمدينة تمبكتو وجنى وكانم –برونو وكانو.

كانت الممالك التي اعتنقت الإسلام (غانة، مالي، سنغاي) قد أخذت اللغة العربية كلغة دينية وإدارية وثقافية وهذا ماجعلها تتذوق قسما مما أنتجته قرائح العلماء من الثقافة العربية،غير أن حداثة السودانين بالإسلام جعل الطابع القديم (عهد الوثنية) من الفنون هو المسيطر على الحياة الثقافية لقد طغت على الإنتاج الفكري بالسودان الغربي الصبغة الإسلامية نتيجة تمكن العلماء السودانين من الدين الإسلامي وبالتالي من اللغة العربية [4]

[1] محمد الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002، م1،د ط، ص ص 23،25.

[2] عبد الله حمادي الإدريسي، ج2،المرجع السابق، ص 123.

[3] فيج .جي دي، تاريخ غرب إفريقيا : تر، يوسف نصر، دار المعارف، القاهرة، 1982، ط1، ص 19.

[4] نعيم قداح، افريقيا الغربية في ظل الإسلام، كوناكري، 1960، ص 156.

✓ **مدينة تمبكتو:**

حملت تمبكتو أسماء عديدة،كالمدينة الفاضلة،المدينة الثرية،المدينة الممنوعة،جوهرة الصحراء،مدينة الشعاع الإسلامي،وغير ذلك من الأسماء الأخرى التي عكست خصائصها على مدى ثلاثة قرون كاملة،أشعت فيها،بفضل علمائها وأئمتها وشيوخها ومرابطيها،على كامل السودان الغربي والأوسط،وإلى أبعد من ذلك،وعلى أرضها أقيمت إمبراطوريات وممالك إسلامية عظيمة،ساهمت في نشر الإسلام،الذي بفضله ارتقت تلك الممالك والإمبراطوريات الإسلامية،وسجل ملوك وأباطرة تلك الدول الإسلامية أسماءهم في سجل المجد لهذه الأمة العظيمة،وبهذا الدين حمل أولئك الرجال لواء الإسلام إلى كافة أنحاء المنطقة.[1]

سواء أصح ماقيل في تحليل اسمها من أنه يعني (بئر بكتو) (وهي إمرأة طارقية فيما تقول الرواية) أم لم يصح،فإن الثابت أن تمبكتو مدينة بناها طوارق مغشرن في مكان توجد فيه بئر،وقد اتخذوه منتجا لمواشيهم،وذلك في نهاية القرن الخامس الهجري وقد استعملت المدينة الجديدة في بداية حياتها مستودعا للحبوب ولممتلكات الطوارق الرحل، ثم تحولت سريعا بفضل موقعها إلى سوق تجارية يقصدها الناس من مختلف أطراف المنطقة، كانت المنازل التي بنيت في تمبكتو عبارة عن اكواخ وعشش مسقوفة بحشائش الصحراء،ولما اتسع عمران المدينة منازلها التي أصبحت تحاط بأسوار، وفي مرحلة تالية بنى بها مسجد جامع، وذلك قبل أن يشيد مسجد ستكور الجامع [2]

كانت تمبكتو مركزًا تجاريًا مهمًا،إذ كانت التجارة عماد تكوينها من استيعاب الوافدين إليها،بعد أن برزت كمركز إسلامي حضاري،فتمبكتو بحكم موقعها على حافة الصحراء الكبرى الجنوبية،وعلى ضفاف نهر النيجر،تنطلق منها،وتأتي التجارة من الشمال والجنوب على حد سواء،حيث انها كانت مركزًا للتبادل التجاري ومنطقة رئيسية لمختلف أنواع البضائع،وكان التجار يستخدمون الإبل في نقل أو إستجلاب التجارة من الشمال،بينما يستخدمون القوارب

[1] على محمد عبد اللطيف، تمبكتو أسطورة التاريخ،ط1، ليبيا،جمعية الدعوة الإسلامية العالمية،2001، ص 2

[2] سماعيل العربي، الصحراء الكبرى وشواطئها،سلسلة الدراسات الكبرى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،ص 311.

لنقلها أو جلبها بإتجاه أرض الجنوب عبر نهر النيجر،وكان الإتفاق والتعاقد على تبادل التجارة يتم داخل المدينة بين التجار القادمين من الشمال،اولئك القادمين من بقية مناطق السودان الغربي أو الأوسط عن طريق وسطاء التجارة من أهل المدينة نفسها.[1]

وهكذا بدأت تمبكتو تأخذ مكانتها كمدينة تجارية بالدرجة الأولى،قبل أن تصبح في وقت لاحق منارة علمية ودينية،وقدر لمدينة تمبكتو أن تكون من أهم المراكز الإسلامية في قلب القارة الأفريقية،طيلة القرنين 15،14،نظرًا لإستعابها للحضارة المشتركة مع رعب الشمال،فقد إندمجت الشعوب السودانية في غرب أفريقيا في عالم الحضارة الإسلامية،وشاركت مسلمي الشمال في نظمهم السياسية والدينية والآداب والعلوم.[2]

هذا وقد شهدت تمبكتو إزدهارًا علميًا ودينيًا،عندما توافد العلماء ورجال الدين للتدريس في مساجدها [3] فحثيما حل الإسلام،وتكونت جماعة إسلامية كانت هناك مدرسة لتعليم الأطفال،ممثلة في المساجد[4] والكتاتيب التي كانت تمثل المدراس الأولية الإبتدائية.[5]

ومن أبرز علمائها ووعظها في مجال الدعوة والإرشاد وهو الشيخ سيدي يحي،و الذي شيد في القرن الخامس عشر،واستمر كإمام وواعظ ومدرس لعلوم القرآن والحديث إلى أن توفي،فالإضافة إلى هذه المساجد الشهيرة،كانت هناك عشرات المساجد الأخرى الصغيرة،كما أقام السكان أيضًا المدارس لحفظ القرآن الكريم،وتفسير معانيه وتعليم اللغة العربية،فكان طلاب العلم يتوافدون إليها من مختلف مناطق السودان الغربي.[6]

توسع العلماء تمبكتو في إقامة ندوات الوعظ والإرشاد التوعية الناس بأصول دينهم وتثقيفهم بمختلف العلوم الإسلامية،وشتى المعارف الأخرى حيث شهدت تلك الفترة تنامي وغزارة

---

[1] المصدر نفسه ، ص 30-87

[2] عبد الرحمن زكي، مصدر سابق،ص 216.

[3] على محمد عبد اللطيف، مصدر سابق ص100

[4] ينظر: الملحق رقم(08)، ص131

[5] علي محمد كريدرغ، التعليم في أفريقيا أداة للإستعمار ووسيلة للتحرر،أعمال مؤتمر التعليم،سبها،مركز البحوث والدراسات الإفريقية،1967، ص 289

[6] علي محمد عبد اللطيف، مصدر سابق، ص 100،101

علوم ومعارف علماء تمبكتو،الذين نشطوا في تدوين المخطوطات المتضمنة شتى العلوم الإسلامية،من تأليفهم وإبداعهم،إضافة إلى المخطوطات التاريخية التي تسجل تاريخ المنطقة ومن فيها وما مر عليها من عهود وملوك وسلاطين.

كانت تمبكتو مركز الثقافة العربية الإسلامية الأول في لاد السودان الغربي خلال القرن السادس عشر الميلادي، وقد تكاثر علماؤها وقصدها طالبوا العلم من أصقاع عديدة، وحتى ابناء الوجهاء الوثنيين من بلاد (الموسي) كان يبعث بهم أبائهم ليتعلموا في تمبكتو لأن اللغة العربية كانت هي لغة الثقافة الوحيدة في السوادين آنذاك [1]

- ✓ **امبراطورية صنغاي**

كانت ولاية تابعة إلى امبراطورية مالي وبعد وفاة الملك سليمان امبراطور مالي استقلت سنة 1336م، وفي عهد الملك محمد اسكيا توسعت السنغال في أراضي إمبراطورية مالي التي بدأت تضعف، وفي بداية القـرن السادس عشر كانت مملكة السنغال تضم معظم غرب إفريقيا إفريقيا إذ كانت تحد شمالا بمناجم الملح الهامة على تخوم الجزائر في الصحراء،وشرقا حتى أغاديس الموصلة إلى تونس وطرابلس، وغربا وجنوبا حتى بلاد الهوسا وقد امتازت السنغال بحسن الإدارة والتجارة وكان للعلماء فيها وضع مميز، وقد وردت اخبارية في كتاب وصف افريقيا للحسن الوزان* وفي رحلة ابن بطوطة،حيث وصفا مكانتها التجارية وعاصمتها جاو كما أشاروا الى مكانة تمبكتو العلمية التي كانت بمثابة جامعة عامة تدرس فيها العلوم الدينية والشرعية واللغة العربية والأدب العربي ويقوم بالتدريس فيها أساتذة زائرين من القاهرة أومن فاس بالإضافة إلى علمائها المحلين [2]

---

[1] عبد القادر زبادية، دراسة عن افريقيا جنوب الصحراء في مآثر ومؤلفات العرب والمسلمين،ديوان المطبوعات الجامعية، ص 76.

*هو الحسن بن محمد الوزان الزناتي، نشأته فاس وكان يعمل في بلاد سلطان مراكش،قبض عليه قراصنة البحر في صقلية وسلمون للبابا ليو العاشر وعمد واعتنق المسيحية وعرف بليون إفريقيا .
شجعه البابا بكتابة مؤلف عن إفريقيا وسمح له بزيارتها وكتب مؤلف وصف افريقيا زار السنغال واعجب بها.

[2] فيصل محمد موسي، موجز تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر،منشورات جامعة المفتوحة،1997،ص ص، 56 57.

كذلك مملكة الصنغاي هي مجموعة من القبائل الزنجية كانت تعيش في غربي نهر النيجر الأسفل،في المنطقة الواقعة اليوم شمالي بنين (الداهومي) وغربي نيجيرية إلى الغرب من نهر النيجر، ثم أخذت هذه القبائل تنتقل نحو الشمال مع نهر النيجر، ثم استقرت حوالي القرن السابع الميلادي أو الأول الهجري، وهم اليوم في مالي في منطقة (غاو) على نهر النيجر وفي دولة النيجر عيد مجرى النهر وحول مدينة (أغاديس) في الداخل [1]

وفي القرن السادس عشر وصف الحسن بن محمد الوزان (اليوم الإفريقي)،مدينة جاو ومملكتها وصفا دقيقا وممتعا في نفس الوقت، وهو أمر لا غرابة فيه إذا عرفنا أن الرجل تجول في هذه المناطق وعرف أهلها يقول الرحالة في كتابه (وصف إفريقيا) طبعة إيبولار، مدينة كبيرة جدا وهي تشبه المدينة السابقة (تمبكتو) أي أنها بدون أسوار، وهذه المدينة تبعد بنحو 400 ميل عن تمبكتو، وتقع في جنوبها الشرقي، توجد بها منازل جميلة للغاية يسكنها الملك وحاشيته، وسكانها من التجار الأثرياء الذين يتجولون بإستمرار ببضائعهم، ويقصدها عدد كبير من السود الذين يحملون معهم كميات كبيرة من الذهب ليشتروا به البضائع المستوردة من بلاد البربر ومن أوربا، ومدينة جاو متحضرة جدا بالقياس إلى تمبكتو، وأسرة دياهي أول أسرة ملكية في جاو تعتنق الإسلام، ومنذ هذه الفترة (منتصف القرن الثالث عشر) سوف ينتشر الإسلام انتشارا واسعا في المملكة[2]، بفضل نفوذ المرابطين في الصحراء عموما، وبفضل توغل التجار المسلمين في المملكة كانت مملكة جاو تتمتع بمستوى من الثراء والحضارة بحيث كانت تنافس مملكة غانة، ولكن ثروة جاو، هي التي لفتت نظر جيرانها اليها وأغرت أطماع مالي [3]

[1] محمود شاكر، مالي، مواطن الشعوب الإسلامية في افريقية، المكتب الإسلامي،ط2، 1986م،ص 45.

[2] ينظر: الملحق رقم(09)، ص 132

[3] سماعيل العربي، الصحراء الكبرى وشواطئها،سلسلة الدراسات الكبرى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،ص 320.

3-الائمة والدعاة والفقهاء :

وتوضح لنا مختلف الأدبيات أن هجرة علماء توات إلى السودان الغربي كانت مبكرة،حيث تجند بعضهم للدعوة في سبيل الله وأسهموا في نشر الإسلام والثقافة العربية، لكن لم يكتب لهم النجاح الذي حققه المغيلي هناك،والذي غطت سمعته على من سبقوه في الدعوى قبل القرن الخامس عشر الميلادي،ويرجع شيخ المغيلي الفضل الأكبر في ربط التواصل ونشر الإسلام بممالك السودان الغربي، ولم ينقطع الإتصال بعده بهذه الممالك حيث دأب علماء التوات للقيام بزيارات علمية الهدف منها الدعوى في سبيل الله ونشر العلم والثقافة الإسلامية ونذكر من العلماء الذين نبغوا في بلاد بورنو وأثرو في الحياة الإجتماعية والسياسية الشيخ محمد الطاهر الفلاني التواتي الذي ألف عدة كتب في فقه وعلم الكلام والسياسة وقد ذكر صاحب إنفاق الميسور أن سلطان برنو حمله إلى حصن برنو وأسكنه فيه وبنى له دار و ولاه خطه.[1]

واشتهر في هذه المملكة العالم الشيخ العاقب بن عبد الله الأنضمي المسوفي،وكان من علماء تكدة التابعين الذين إشتغلوا بالعلم والتأليف،وقد تعلم على يد الشيخ محمد ابن عبد الكريم المغيلي.[2]

واستقطبت مدينة تمبكتو علماء توات فاستقر الكثير منهم فيها للدعوة والتدريس، ومنهم الشيخ ابو القاسم التواتي المتوفي عام 1516م الذي كان له دور بارز في الحياة العلمية بتمبكتو،اذ يذكر مؤرخ السودان عبد الرحمان السعدي انه حضي باحترام الجميع حتى ان السلطان اسكيا الحاج موسى كان يحرص بعد كل صلاة على الملاقاة به للتسليم عليه والتبرك به [3]

[1] نفسه،ص 22

[2] أحمد حسن محمود، الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا،ط1،دار المعارف،مصر (د ت)،ص 121.

[3] السعدي عبد الرحمان، تاريخ السودان، مكتبة هوداس، باريس، 1964،ص 236.

وحضي العالم عبدالله البلبالي بمكانة علمية مرموقة وهو خطيب ومدرس الجامع الكبير بتمبكتو،حيث قال عنه صاحب كتاب "الفتح المشكور "كان عليه رحمة الله تعالى من عباد الله الصالحين زاهدا وورعا لايأكل إلا من عمل يديه، وظهرت له كرامات وبركات،وهو من أهل القرن التاسع عشر الهجري ومن علماء توات وأوليائها[1]

وعرفت هجرة العلماء إلى حواضر افريقيا الغربية حركية أنشط خلال القرن الثامن عشر[2] اذ نذكر كتب التراجم أن الشيخ عمر ابن محمد بن المصطفى بن احمد الرقادي الكنتي،كان كثير التردد على بلاد التكرور لوجود عشيرته هناك،وكذلك أبي زيد عبد الرحمان بن عمر الورتلاني الذي زارها مرتين وصف لنا رحلته في فهرسته،فذكر أنه تنقل بين عدة مناطق منها تاودني وقرية لمبروك ومدينة أروان[3]

ومن العلماء الذين زاروا التكرور للعلم وللتجارة الشيخ أبي الأنوار بن عبد الكريم التينيلاني الذي يعود له فضل تأسيس حاضرة لمبروك بشمال مالي،وقد خلفه على الزاوية حفيده مولاي هيبة بن مولاي محمد الذي أسس مسجدا وقصبة بمنطقة والن،ويذكر أن الشيخ مولاي الزيدان بن محمد زار بلاد التكرور أربع مرات بصفته خليفة لمولاي عبد المالك الرقاني بتلك المناطق،وأنه نشر طريقته هناك [4]

[1] ابن عبدالله الطالب محمد البرتلي ،الفتح الشكور في معرفة علماء التكرور، تحقيق الكتاني ومحمد حجي، دار الغرب الاسلامي،بيروت، 1981، ص 37 ومابعدها.

[2] انظر في هذا الشأن دراسة مبارك جعفري : الحياة العلمية في اقليم توات وانعكاساتها جنوب الصحراء.

[3] عبد الرحمان بن عمر التينيلاني، فهرست التنلاني (تراجم بعض علماء ومشايخ، الشيخ عبد الرحمان بن عمر التنلاني)،خزانة 'تنلان،ادرار،ص . ص36 . 37.

[4]أبو عبدالله محمد البرتلي الولاني، المصدر السابق، ص100.

وانتقل الى بلاد السودان محمد بن أبي المزمري الذي زار تمبكتو وأران،والشيخ الحاج بن محمد المصطفى أحد شيوخ الزاوية الكنتية الذي زار التكرور سنة 1203م،والشيخ علي بن أحمد بن علي بن أحمد الرقادي،الذي ذكر فضله البرتلي وقال عنه انه كان كثير التنقل بين زاوية أجداده في توات وبلاد السودان،ولم يقتصر دور التجانية على الجانب الديني والاجتماعي بل تعداهما الى الجانب السياسي،اذ ظهرت العديد من الدويلات التي استندت الى دعوتها مثل دولة الحاج عمر (1798-1865م)،ودولة الشيخ أحمد (1815-1852م)، وأسهمت بذلك الطريقة التجانية في نشر الاسلام والثقافة العربية على نطاق أوسع في غرب ووسط افريقيا.

وان التواتيين لم يكتفوا بنشر الطرق الصوفية كما وردت اليهم بل عملوا على اعطائها الخصوصيات الصحراوية والافريقية التي تسهم ف انتشار الطريقة من جهة وادخال الافارقة في الاسلام بيسر من جهة أخرى،وعليه انتشرت في بلاد السودان الغربي القادرية على الطريقة الكنتية التي الشيخ المختار الكنتي الكبير،ومثلها الطريقة الحمالية التي أسسها الشيخ حمى الله مستمدا تعاليمها من التجانية،وطريقة الشيخ مولاي عبد المالك الرقاني المتوفي عام 1793م،والتي تجمع بين طرق مختلفة،وقد انتشرت في منطقة ولاتة خصوصا وذلك بفضل الشيخ مولاي الزيدان التواتي المتوفي عام 1788م،وكان من مريدي الطريقة الرقانية المشهورة ابي عبدالله محمد البرتلي الولاتي، الذي اشاد بالطريقة وبشيخها وتحدث مطولا عن زاوية رقان في كتابته "فتح الشكور"[1].

وبذلك يكون اسهام التواتيين في نشر الطرق الصوفية في افريقيا الغربية متميزا،سواء من خلال الجهود الجبارة المبذولة أو الحركية النشطة لعلمائهم،أو التجديد والحيوية اللتان أضافتا طابع الخصوصية التواتية على التصوف الافريقي.

التعريف ببعض العلماء الذين خلفوا تراثا مخطوطا بالسودان الغربي:

[1] البرتلي الولاتي، المصدر السابق، ص- ص،200-201.

- ✓ **أبو القاسم التواتي(922هـ/1516م)**

فقيه وعالم،اشتهر بمنطقة توات بتبحره في العلوم،ولأنه رحل الى تمبكتو واستقر بها غفلت عنه المصادر التواتية رغم انه ترك أولاده بتوات في حين خصته التراجم السودانية بالتبجيل، حيث يذكر عبد الرحمان السعدي أنه كان محل احترام وتقدير الجميع،سكن في تمبكتو بجوار المسجد الجامع لجبهة القبلة، كان يدرس الاطفال بالجامع، وهو من أحدث ختم القرآن من المصحف،بعد صلاة الجمعة وقدم لأجل ذلك الأسقيا الحاج محمد تابوتا فيه ستون مصحفا وفقا للمسجد، كما ان السلطان أسكيا الحاج موسى كان يحرص بعد كل صلاة على الالتقاء به للتسليم عليه والتبرك به .[1]

- ✓ **أبو عبدالله الفلاني (المتوفي 1194هـ/1780م)**

عالم ذاع صيته في بلاد التكرور،قدم من بلاد التكرور للدراسة واستقر بتوات،درس على يد عبد الرحمان التنلاني،وكتب رحلة الى الديار التواتية،صور فيها بعضا من الأحوال الثقافية والاقتصادية في توات،كما يتحدث عن اجازته التي أجازه بها الشيخ عبد الرحمان التواتي [2]

- ✓ **أحمد البكاي بودمعة (ت 909هـ /1504):**

هو الشيخ أحمد البكاي ابن الشيخ سيدي محمد الكنتي،سمي الشيخ بالبكاي بو دمعة لانه حسب بعض الروايات ظل لشدة تقواه وعبادته مدة أربعين سنة يبكي لم تجف عينه من الدمع لانه نافلة،انتسب الشيخ البكاي للطريقة القادرية،مما منحه سلطة روحية وزعامة على الكنتيين،كانت السبب في تزعمهم على القبائل الصحراوية، وجعلت من كنته ينتشرون في ربوع افريقيا،ينشرون الاسلام ويجاهدون في سبيل الله،وفيه يقول المستشرق بول مارتي "... فقد كان هذا أرومة كنته ومنشأ سموهم،والاساس الذي قامت فوقه قوتهم،والسبب الاول لرفعة مكانتهم..."

[1] أحمد بن بابير الأرواني، السعادة الابدية في التعريف بعلماء تمبكتو البهية،مخطوط، المكتبة الزيدانية،نيامي، النيجر، ص 86،عبد الرحمان بن عبدالله السعدي،تاريخ السودان،طبع هوداس،بارريسي،1981م،ص-ص 58،59، مبارك بن الصافي جعفري،العلاقات القافية بين توات والسودان الغربي خلال القرن 12هـ،دار السبيل للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009،ص 290.

[2] أحمد بالصافي جعفري،محمد بن اب المزمري 1160هـ حياته وأثاره،ط1،دار الكتاب العربي، القبة الجزائر، 2004م، ص 38.

وتشير المصادر الكنتية ان سيدي عمر الشيخ جد كنته أزواد هو أول من نشر الطريقة القادرية بينهم بعد ان اخذها عن الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي عقب التقائه به في بلاد التكرور،ومنذ ذلك الوقت أصبح الكنتيون شيوخا للطريقة القادرية تغدوا عليهم وفود الطلبة والمريدين لاخذ الادوار والانخراط في الطريقة [1].

- ✓ **أحمد التواتي بن محمد بن عمر (ت1158هـ/1726م):**

من بني علي بن عبدالله،كان أحد الأولياء العارفين،عرف بالتصوف وكانت له خزانة مليئة بكتبه،رحل الى منطقة ولاتة واستغربها للتعليم،توفي عام 1138هـ/1726م وقيل عام 1188هـ/1774م.[2]

- ✓ **أحمد بن الحاج الأمين القلاوي الملقب بالتواتي،(ت 1157هـ/1744م):**

نسب الى توات لانه كان كثير التردد عليها أصله من التكرور،كان من كبار العلماء والصالحين،درس على يد الشيخ سيدي مصطفى الفلاوي،ولعب دورا مهما في ربط الصلة بين توات والسودان،حج مرات عديدة وتولى مشيخة الركب من السودان الغربي الى توات،ليخلفه أبو نعامة من توات الى الحج،عرف بكرمه وزهده وهمته،وصفه تلميذه عبد الرحمان التنلاني بالقول:"كان رحمه الله عالما،عاملا،فاضلا،جوادا،شجاعا،مهابا،متواضعا،حسن الخلق،ذامعرفة وحفظ لفروع الفقه مستحضرا لها لاسيما ماشتمل عليه المختصر ومتاخر وشروحه،مشاركا في غيره جماعا للكتب...وكان له صيت وذكر في بلاد القبلة وبلاد التكرور ورحل اليه الناس للاخذ عنه وتاب على يده من الاعراب كثير وظهرت على يديه الكرامات من اجابة الدعاء وغيره "،ذكرت له العديد من المصنفات منها:شرح على نظم بن سعيد أسماه "كشف الغمة في

---

[1] انظر محمد الخليفة، اللطائف والتلائد في كرامات الشيخين الوالدة والوالد،مخطوط خزانة الشيخ سيدي عبد القادر المغيلي،ادرار ص 100، بول مارتي ، كنته الشرقيون،تعريب محمد محمود ودادي،مطبعة زيد بن ثابت،دمشق،سوريا،1985 م،ص29،مبارك بن الصافي جعفري المرجع السابق،ص 268.

[2] البرتلي الولاني ، (ابو عبدالله الطالب محمد بن ابي بكر الصديق):فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور،تحقيق محمد ابراهيم الكتاني ومحمد حجي،دار الغرب الاسلامي،بيروت،1981م ص 43،بكري عبد الحميد :المرجع السابق،ص 204 – 205.

نفع الأمة "، وشرح على المقنع اختصار نظم أبي مقرع في علم الهيئة،وتاليف في المنطق توفي عام 1157هـ/1744م بفزان في ليبيا أثناء عودته من الحج،ودفن هناك [1]

من علماء توات،ساهم في نشر العلم في بلاد السودان،حيث استوطن أكثر بشمال النيجر،وقد ترفي بها مقتولا يوم السابع والعشرون ذي القعدة عام (1008هـ/1600م)،ولانذكره التراجم التواتية بحكم خروجه من توات.[2]

✓ **عمر الشيخ (ت 960هـ/1553م):**

هو ابن الزعيم البكاي الملق ب بالشيخ، عرف بكثرة حفظه وبكرامه،طلب العلم في بقاع مختلفة فسافر الى الشام والى المغرب،ورجع الى توات ومنها ذهب الى بلاد السودان والتقى هناك بالمغيلي،أخذ الطريقة القادرية على يد الشيخ ابن عبد الكريم المغيلي،الرئيس الاعلى للطريقة في افريقيا الغربية،وكان خليفته على رئاستها،ثم اختط فرعا جديدا من فروعها،يعرف بالطريقة البكائية القادرية نسبتا الى أبيه وقد ودع عمر الشيخ المغيلي في توات وأتجه نحو بلاد السودان الغربي،متفرغا للتعليم،وكلما مر بقرية أوحي دعاهم الى عبادة الله،واستمر على هذا الحال لغاية وفاته، ليواصل رسالته من بعده أبنائه وأحفاده ومنهم حفيده والد الشيخ أحمد(ت1062هـ /1652م) الرقادي الذي عاد لتوات وبنى بها الزاوية الكنته الرقادية [3]

4-الطرق الصوفية:

نهضت في القرن الخامس عشر والسادس عشر حركة للدعوة، إنبثقت من منطقة الساقية الحمراء (الصحراء الإسبانية) وغيرت تماما من موقف البربر الى الاسلام، وكانت تهدف هذه الحركة إلى تأليف مجموعات من القبائل، تعتمد على التنظيم الديني، مما جعلها تعتبر نفسها طبقة ارستقراطية تعويضا عن فقدانها الحرية السياسية، وأكثر من ذلك، نادت هذه القبائل

[1] التنلاني، أنظر البرتلي الولاني :المصدر السابق،ص 48ومابعدها،وأحمد جعفري :محمد بن اب،المرجع السابق،ص 34. عبد المهيمن بن أبي محمد بن أحمد بن ميمون التمنطيطي (ت 1008هـ/1600م).

[2] محمد العالم بكراوي، الدرة البهية في الشجرة البكرية،المخطوط السابق،ص 32 مبارك جعفري،المرجع السابق ص 291.

[3] باحمد عمر دمه، المرجع السابق،ص 18 ومابعدها.

بتجنب، استخدام الأسلحة، واعترف بعم كفروع من القبائل العربية، على أنه كانت هناك قبيلة عربية واحدة كان لها أثر عظيم في منطقة جنوب الصحراء ومنطقة النيجر الوسطى على إسلام الزنوج، وتلك هي قبيلة كونتا التي هاجرت في القرن 15م من موطنها في توات إلى أطراف تمبكتو، ومع مرور الزمن انصهرت هذه القبيلة العربية الأصل وأصبحت قبيلة مغربية تدين إليها الطريقة القادرية بإنتشارها في غرب افريقيا، ضمنت كثيرا من الصالحين الذين أحرزوا شهرة واسعة، وأصبح لزعمائها مهمة الوساطة بين القوى المتصارعة: الطوارق والفولة والزنوج في منطقة تمبكتو الإسلامية.[1]

هذا هوالعنصر الأول، عنصر القبائل المغربية في نهضة الروح الإسلامية في غرب إفريقيا، أضف إليه العنصر الثاني وهو الدور الذي اضطلعت به الطرق الدينية وفي طليعتها، القادرية والتيجانية، فقد كان انتشار هاتين الطريقتين ولا سيما التيجانية عظيما جدا في مسهل القرن 19م، ومع أن القادرية كانت قد دخلت إلى غرب إفريقيا في القرن 15م، فقد تدفق نشاطها في القرن 19م، ولم يمض عليها زمن طويل حتى برز فقهاؤها وتلاميذهم ينشرون في أنحاء السودان الغربي من السنغال الى مصب نهر النيجر يؤدون واجباتهم على خير وجه ويكسبون المريدين الكثيرين، ثم قامت الطريقة التيجانية منذ القرن 18م تناهض الطرق الأخرى ولاسيما القادرية وتميزت بإيجابيتها واستخدام القوة في دعم الدعوة ولم تكتف بوسائل القادرية الهادئة، وعلى العموم فقد أصبح الإنتساب الى إحدى الطريقتين ضرورة عند كل مسلم ولاغنى عن إحداهما، ومادمنا في صدد الكلام عن أثر الطرق الدينية في النهضة الإسلامية في القرن 19م، فلا نستطيع أن ننسى فضل أحمد بن إدريس (توفى 1837م) الذي نشطت حركته المباركة في السودان الشرقي واتجهت غربا إلى وادى وباجرمى وبورنو،ولمامات واصل تلميذه محمد بن علي

[1] عبد الرحمن زكي، حركة الإصلاح الديني في غرب إفريقية، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية مدريد، االعدد 13،مدريد (إسبانيا) 1965.1966،ص 4-6.

السنوسي (1787.1859م) دعوته التي أثرت تأثيرا مباشرا في منطقة الصحراء الوسطى ومنطقة النيجر الوسطى حتى دمر الفرنسيون زوايا أتباعه.[1]

ولقد استمدت القادرية نشاطا غير عادي بفضل الشيخ سيد الكبير (1780.1828م) وحفيده الشيخ سيد الصغير (1862.1924م) وأحمد بامبا (توفي 1927م) الذي أنشأ طريقة المريدية المتفرعة من القادرية وهي تعتبر طريقة إفريقة بحتة، ضمت إليها في سنوات قلائل أكثر من نصف مليون من المسلمين، غالبيتهم من قبائل الوولوف الوثنية أما العنصر الثالث في نجاح الحركات الإصلاحية، فهو ظهور عدد من الزعماء المسلمين حملوا رايات الجهاد الواحد بعد الآخر [2].

حيث كان للطرق الصوفية دورا كبيرا في نشر الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء وقد نشط دعاة هذه الطرق في الدعوة إلى الإسلام ساعدها في ذلك خصائص الإسلام الذاتية من سهولة ويسر فهو دين الفطرة وماينعم به الداخل فيه من مساواة وعدالة واحترام ذاتي كما ساعدها ما قام به التجار والدعاة واستمرارهم في آداء دورهم وقد تميز التصوف بدور إيجابي خاصة في غرب إفريقيا [3]

يرتبط معظم السودانيين في غرب إفريقيا برجال الدين بواسطة إحدى الطريقتين القادرية أو التجانية، ولقد كان انتشار هاتين الطريقتين، ولاسيما التجانية عظيما في أثناء القرن التاسع عشر ولايمكن تفهم إنتشار الدعوة الإسلامية على حقيقتها تماما، كذلك المنافسات الداخلية ضمن المجموعات الإسلامية دون النظر الى إرتباط الزعماء المسلمين بإحدى الطرق الدينية لأن النفوذ السياسي لإحداهما كان يرتبط الى حد كبيربمدى الزعامة الدينية التي يتمتعون بها.

[1] شوقي عطا الله الجمل، تاريخ المسلمين ومشكلاتهم، المرجع السابق،ص 23.

[2] عبد الرحمن زكي، حركة الإصلاح الديني في غرب إفريقية، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية مدريد، االعدد 13،مدريد (إسبانيا) 1965.1966،ص 4،5،6،

[3] عمر أحمد سعيد، دور حركات التجديد الإسلامي في إفريقيا، مجلة بحوث نصف شهرية، العدد السادس، فبراير 1990، الخرطوم المركز الإسلامي الإفريقي، ص121.

ويقول بعض الباحثين لم تكن الطرق الدينية وحدها قبل القرن 19م العامل الأوحد في نشر الإسلام بغربي إفريقيا، ولكن سرعان ماكان الإلتحاق بإحدى الطريقتين القادرية أو التيجانية سببا لإعتناق الإسلام وأصبح كل مسلم يتبع واحدة من الطريقتين.[1]وقد اعتنق الزعماء الأفارقة إحدى الطريقتين، فعثمان دان فوديو اعتنق القادرية،بينما الحاج عمر اعتنق التيجانية، وأصبح زعيمها الرسمي في إفريقيا كما لعب السنوسيون دورا هاما في المنطقة وقد انتشرت كل من القادرية والتجانية والسنوسية في غرب إفريقيا انتشارا كبيرا، وقد ارتيط بالطريقة القادرية عدد كبير من السكان ومؤسسها هو الشيخ عبد القادر الجيلاني [2]

وقد انتشرت هذه الطريقة في افريقيا الغربية في القرن الخامس عشر بواسطة المهاجرين الذين قدموا من توات وهي واحة في النصف الغربي من الصحراء، ثم انتقلوا الى ولاته، ثم تمبكتو التي أصبحت مركزا رئيسيا لهم، كما انتشرت القادرية في أرجاء السودان الغربي من السنغال حتى مصب النيجر، ونهضت مراكز رئيسية لتنظيم دعوة القادرية في كل من تمبو وكنكان وفوتا جالون، وموسرودو، وفي بلاد الماندنجو، وكانت هذه المدن تؤلف مراكز دينية وسط شعب وثني رحب بالقادرية.

واذ كان الدخول في الإسلام حالات فردية في البداية ولكن سرعان ماأصبح حالات جماعية واستعادت القادرية قوتها في فوتا جالون على يد السيد الكبير التارازي الذي عمل على نشرها في غمبيا، وغينيا الفرنسية، وليبيريا، وغانا.

ومن أشهر دعاة القادرية محمد بن عبد الكريم التلمساني، الذي اتجه بجهوده الى الجزء الأوسط من الصحراء، وبلاد الهوسا، وقد تسلم لواء القادرية فيما بعد عثمان دان فوديو.

[1] عبد الرحمن زكي، مرجع السابق (الإسلام)،ص 09.08.

[2] هو الشيخ عبد القادر الجيلاني من أشهر رجال الصوفية ويعرف بالقطب الجيلاني وهو أحد الأقطاب الأربعة الرفاعي، الجيلاني، البدوي، الدسوقي، ولد بجيلان عام 471هـ / 1077م، ثم انتقل الى بغداد 1905م واشتغل بالوعظ والتعليم ثم مال إلى التصوف واتجه الى الصحراء وقد عرف عنه التسامح الديني وقد توفي ببغداد عام 1144م للمزيد ينظر: عبد الرحمن زكي.

أمـا الطريقة التجانية فتنسب إلى أبي العباس أحمد بن محمد مختار بن سالم التيجاني [1] الذي استقر في فاس، وقد علا شأن هذه الطريقة بعد وفاة التيجاني، فقام أولاده محمد الكبير ومحمد الصغير بنقل مركز الدعوة من فاس الى مسقط رأسه قرية عين ماضي، وتتلخص مبادئ التيجانية في ضرورة استخدام القوة والسيف في محاربة الوثنين ولهذا اختلفت عن القادرية التي عرفت بالتسامح [2]

كما تميزت التيجانية بمناهضتها للطرق الصوفية الأخرى، وقد انتشرت في القرن 19م انتشارا واسعا بفضل اعتناق الحاج عمر لها.

أمــا السنوسية فلم تقترن بأعمال العنف والحرب ولم تستخدم في خدمة الدين الا كل وسائل السلام والترغيب، ففي عام 1837م أسس سيد محمد بن علي السنوسي * الفقيه الجزائري فرقة دينية تهدف الى اصلاح شأن السلام ونشر العقيدة ولم يمت السنوسي عام 1859م الا وكان قد نجح في تأسيس دولة دينية بقوة عبقرية دون أن يريق الدماء.

ويدين أتباع السنوسية بالطاعة والولاء لمؤسس الدولة ولخلفائه الذين وسعوا حدودها، وقد حرم، اتباع هذه الطريقة التضرع بالأولياء وزيارة قبورهم تحريما تماما، كذلك أوجبوا على أنفسهم الإمتناع عن شرب القهوة والتدخين، وتجنبوا كل اتصال باليهود والمسيحين والإسهام بنصيب معين من دخلهم يضاف إلى أموال الجماعة، كما أوجبوا على أنفسهم أن يقفوا كل نشاطهم على تقدم الاسلام، وتنتشر هذه الطريقة في غرب الدلتا من مصر الى مراكش كما تعتمد الى الواحات والصحراء الكبرى والسودان، ولم يقتصر امتدادها على افريقيا الشمالية من مصر الى مراكش وانما امتدت الى السودان وسنغمبيا والصومال كما انتشرت زوايا السنوسي في الطريق المؤدي الى تشاد، ووادى، وباجرمى، وبورجو وامتدت هذه الزوايا حتى نهر بنوى، كذلك في جات، وتوات، وزندر [3].

[1] ولد الشيخ التيجاني في قرية عين ماضي عام 1737م وتلقى علومه الدينية في مسقط رأسه ثم انتقل الى تلمسان وفي عام 1768 م وصل الى مكة ثم أمضى فترة في القاهرة وإستقر في فاس للمزيد ينظر: عبد الرحمن زكي.

[2] أحمد شلبي، المرجع السابق ، ج6، ص 214.

[3] لوثروب، ستودارد :حاضر العالم الإسلامي، دار الفكر،1971م،ج2،ص402.

بالإضافة الى الطرق الثلاث السابقة توجد بعض الطرق الأخرى وان كانت أقل انتشارا، وإقتصرت على مناطق معينة مثل الطريقة الفضلية[1] التي تعتبر فرع من فروع الطريقة القادرية، اتباعها موزعون في الصحراء الإسبانية حيث اتباع الشيخ ماء العينين، وكذلك في شرق موريتانيا وقبل أن نختم الحديث عن الطرق الصوفية وأثرها في غرب أفريقيا، ينبغي لنا ان نشير الى ظهور بعض الآراء التي أيدت تأثر بعض جهات غرب أفريقيا بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ولعلى اهم من تأثر بها من الزعماء الأفارقة عثمان دان فوديو زعيم الفولاني، وقد انتقلت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب عن طريق الحج الى افريقيا فقد كان لإلتقاء حملة الدعوة بإخوانهم الحجاج من مختلف الأقطار الإسلامية، دوره الرئيسي في انتشار الدعوة كذلك دخول الحجاز تحت لواء الدولة السعودية الأولى في العقدين الثاني والثالث من القرن الثالث عشر الهجري أعطى الفرصة لسائر الحجاج من جميع البلاد الإسلامية للتعرف على حقيقة الدعوة فإنتقلت هذه المبادئ الى السودان في افريقيا وكان هدف الدعاة محاربة البدع والخرافات والفساد وإقامة حكومات اسلامية على اساس ديني.

وقد دلل البعض على مدى تأثر عثمان دان فوديو بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، على اساس أنه أكثر الزعماء الأفارقة تأثرا بهذه الدعوة، وأولهم تأثرا بها، ونظرا لأهميته في المنطقة فقد حذوه الكثير من الزعماء، على اعتبار انه أول من حاول تطبيقها في غرب أفريقيا [2]

وقد ساق مؤيدو هذا الرأي عدة أدلة على ذلك:

أ). محاولة عثمان دان فوديو تثبيت التوحيد الخالص بمحاربة كل مايؤدي الى الشرك كالاعتقاد في قدسية بعض الأرواح، أو الأشجار، او الأحجار، وتقديم القرابين الى الجن، والتبرك بالقبور.

ب). رجوعه الى القرآن والسنة ومحاربته للبدع المعروف عن الوهابيين تشددهم ضد البدع.

[1] تنتسب هذه الطريقة الى الشيخ محمد الفضل (1780،1869) وكان زعيما لأهل طالب ومختار وهم من الصنهاجة الذين يعيشون في منطقة الحوض وهم أصلا من البربر.

[2] نفسه.

ج). اتخاذ الجهاد وسيلة لنشر دعوته بين الوثنيين وبين المسلمين، الذين حاد إسلامهم عن الطريق الصحيح مما أدى الى قيام دولة كبيرة في غرب إفريقيا.

د). عمل عثمان على وضع الأساس الإسلامي للإدارة في دولته الكبيرة، وهو الأساس الذي استمر حتى نهاية الدولة على الإنجليز، ونعني به إحياء نظام الحسبة والقضاء الإسلامي وغيرها[1].

وفي الواقع إختلف الباحثون في مدى تأثر عثمان دان فوديو بمبادئ الدعوة الوهابية فأكد لوثروب ستودارد في كتابه حاضر العالم الإسلامي التقاء عثمان بالوهابين في موسم الحج، وأوضح مدى تأثره بهم وكذلك توماس أرنولد في كتابه الدعوة الى الإسلام، أكد تأثر عثمان بالوهابين أثناء زيارته في مكة كما أكد هذا التأثر حسن ابراهيم حسن، في كتابه انتشار الاسلام والعروبة فيما يلي الصحراء ولكن هذا لايمنع من وجود آراء معارضة [2]

[1] محمد كمال جمعة، انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب خارج الجزيرة العربية، دارة الملك عبد العزيز، الرياض 1981م، ص 114.

[2] الدكتورة الهام محمد علي ذهني، جهاد الممالك الإسلامية في غرب افريقيا ضد الإستعمار الفرنسي، 1852.1914،ص 30 .35.

المبحث الثاني: مظاهر التواصل الحضاري والحركة العلمية وأعلامها والإفريقية

لقد رافقت الحركية التجارية حركية علمية نشطة، وكان طبيعيا أن يسهم التاجر التواتي في الدعوة للإسلام من جهة ونشر الإسلام والثقافة العربية من جهة أخرى، فقد نقل التواتيون إلى السودان الغربي سلعتهم ومعارفهم ومخطوطاتهم وثقافتهم، وقد تمكن علماء توات من إرساء حركة ثقافية وعلمية جمعت بين علوم المشرق والمغرب، واصطبغت بالثقافات والأعراف الإفريقية وبحكم الجوار الجغرافي والإزدهار العلمي ساهم التواتيون في نشر الإسلام وثقافته بواسطة الرحلات العلمية وتبادل الوفود، ولقاءات مواكب الحج والإجتماع حول الطريقة الصوفية [1]

1- الجزائرية:

أولا: الشيخ محمد عبد الكريم المغيلي وأثره الفكري والإصلاحي في غرب إفريقيا

الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي هو أحد علماء القرن الـ15م المرموقين، اشتهر بعلمه الواسع، ومواقفه السياسية الصارمة، ونشاطه الإصلاحي المجدد، اضطر في عام 1452م لترك تلمسان واللجوء إلى توات، وذلك هروبا من مفاسدها ورغبة منه في نشر العلم والدعوة في سبيل الله، وهناك جلس للتدريس وبنى زاويته القادرية، وذاع صيته في كامل الصحراء وبلاد السودان حارب اليهود الذين استبدوا واستكبروا في توات،ورأى بعدها أن ينتقل إلى السودان لنشر الإسلام والقضاء على البدع والوثنية، وقضى وقتا طويلا هناك في الدعوة والإصلاح، حيث خلق هناك تلاميذه وأتباعا اقتفوا منهجه وقتبلوا فكره، وهكذا أصبح له حضور رقوي في أقطار السودان الغربي يدل على المكانة التي حازها علماء توات والجزائر في تلك البقاع [2]

[1] عبد الله عباس، الدور الحضاري لإقليم توات وتأثيراته في بلاد السودان المغربي : رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الجزائر،2001،ص 76.

[2] مقلاتي عبد الله ، موقف الشيخ المغيلي من يهود توات، مجلة الحقيقة، تصدرها جامعة، أدرار، العدد 6، (ماي 2005)، ص ص، 253،266.

✓ **النسب:**

هو محمد بن عبد الكريم بن محمد بن عمر بن مخلوف بن علي بن الحسن بن يحي بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد القوي بن العباس بن عطية بن مناد بن السري بن قيس ابن قيس ابن غالب ابن أبي بكر بن عبد الله بن إدريس بن عبد الله الكامل ابن الحسن المثنى السبط بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم.

كما أن هناك شجرة أخرى بخزانة الشيخ عبد القادر سيدي سالم المغيلي ونصها (العلامة شيخ المشايخ سيدي محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني الشريف الحساني، فلا شك ولا ريب أنه شريف وأبناءه شرفاء، وهذا النسب زاد فيه الجد الثامن للشيخ وهو أسنا دور [1]

في حين نجد أن أغلب من كتب عن المغيلي بنسبه إلى موطنه، يذكر عبد الله حمادى الإدريسي أنه: " محمد بن عبد الكريم بن محمد بن عمر بن يخلف الأشعري معتقدا،المالكي مذهبا، المغربي إقليما،التلمساني منشأ، المغيلي نسبا.

أما عن نسبته إلى تلمسان نظرا لأنها دار أسلافه ومسقط رأسه.

وأما المغربي فلأن تلمسان تتموقع بالمغرب العربي.

وأما المغيلي فنسبه لقبيلة من قبائل بربر المغرب العربي.[2]

✓ **المولد والنشأة:**

ولد محمد بن عبد الكريم المغيلي في أحضان قبيلة مغيلة، بتلمسان عاش في فترة من الإضطرابات الداخلية والخارجية، حيث كانت فيها البلدان المغاربية عامة تعاني اعتداءات من

[1] نور الدين حاج أحمد، المنهج الدعوي للإمام المغيلي من خلال الرسائل التي بعثها للملوك والأمراء والعلماء، رسالة ماجستير في الشريعة الإسلامية، قسم أصول الدين، جامعة باتنة، 1431هـ/ 2010م، ص 26.

[2] عبد الله حمادى الإدريسي، الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني وتصديه للخطر اليهودي بصحراء توات والصقع السوداني، ج2، وزارة الثقافة، د،ب،ن، 2011، ج1، ط1، ص، 128.

طرف القراصنة الأوربيين خاصة من الإسبان والبرتغال كما عاصر سقوط غرناطة آخر معقل للمسلمين في الأندلس عام 1492م [1]

ومن جهة أخرى كانت تلمسان تتخبط في مشاكل خطيرة من التعف السياسي داخل العرش الزياني إلى التفسح والإنحلال اللذان يعمان مجتمع المدينة الزيانية [2].

إلا أنه لايخفي علينا أن عصره من الناحية الثقافية شهد تدفقا علميا كبيرا، فالمغرب العربي نبغ فيه عدد كبيرمن الفقهاء والكتاب وغيرهم وأشهرهم على الإطلاق الحافظ التنسي والونشريسي..... ولايمكن أن لا يكون قد تجرع المغيلي من نفس كأس هؤلاء العلماء [3]

نشأ المغيلي في وسط عائلة محافظة مشهورة بالعلم والتقوى، تلقى دروسه الأولى على يد الشيخ محمد بن أحمد بن عيسى المغيلي المشهور بالجلاب فحفظ منه القرآن الكريم وأخذ عنه مبادئ العلوم الشرعية [4]

ودرس على يديه أمهات الكتب الفقهية للمذهب المالكي كالرسالة ومختصر خليل وابن الحاجب وابن يونس [5]

وانتقل الى بجاية والجزائر حيث تلقى العلم عن شيوخها، ثم قدم إلى تمنطيط لأسباب غير واضحة، ولعلها استجابة منه لنداء شيخه عبد الرحمن الثعالبي عندما نصحه " بأن لايعاشر أهل سفاهة، وأن لا يستوطن مكان اهانة "، اذ وجد المغيلي الأحوال مضطربة بتلمسان بسبب جور الحكام ومفاسد اليهود، وألمه سكوت العلماء عن تغيير المنكر، ونظرا لنشأته الصوفية ورغبته في نشر العلم والدعوة الإسلامية اختار بلاد توات، فنزل أولا بقرية أولاد سعيد نواحي تمنطيط في

[1] عبد القادر زبادية، دراسة عن إفريقيا جنوبي الصحراء في مآثر ومؤلفات العرب والمسلمين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د س، ن،د ط، ص 103.

[2] يحي بوعزيز: أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ج2، دار البصائر، 2009، ج2، ص 143.

[3] محمد بن عبد الكريم المغيلي، مصباح الأرواح في أصول الفلاح، تج : رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 2007، د،ط،ص 9.

[4] الصديق الحاج أحمد آل المغيلي، شخصية محمد بن عبد الكريم المغيلي، رسالة أدرار، مجلة دورية، ع1، 2011، أدرار،ص 30.

[5] نور الدين حاج أحمد، المرجع السابق، ص 27.

حدود سنة 1452م ومنها انتقل الى تمنطيط وتفرغ للعلم والتدريس وبنى زاويته القادرية فذاع صيته واشتهر بالمنطقة، وقضى المغيلي هناك حياته معلما مرشدا، وداعية،مصلحا وخاض العديد من المجابهات الفكرية، وظل الإمام المغيلي مهتما بقضية يهود توات يستفتي العلماء ويحاجج المعارضين له، وانتقل من اجل ذلك إلى تلمسان وفاس إلى أن انتصر لقضيته بعد سنوات الصبر وتمكن من طرد اليهود وإصلاح الأوضاع بتمنطيط [1] بواحة توات فتتلمذ على يد الشيخ يحي بن يدير التادلسي [2]وفيها قال المغيلي دخلنا توات فوجدناها دار علم وأكابر فانتفعنا بهم وانتفعوا بنا ولما بلغ المغيلي بسطة في العلم والمعرفة اشتغل التدريس بتلمسان وتوات..... فأخذ عنه جماعة كالفقيه آيد أحمد والشيخ العاقب الأنصمني ومحمد بن عبد الجبار الفجيجي والشيخ عمر الملقب بالشيخ بن سيد أحمد البكاي [3]،ثم انتقل إلى أقاليم السودان الغربي لنشر الإسلام والقضاء على البدع والوثنية [4]

قضى الشيخ المغيلي أزيد من عشرين سنة في الدعوة إلى الاسلام ونشر أحكامه وأفكاره بين شعوب السودان الغربي، ولاشك أن مساهمته كانت كبيرة في نشر تعاليم الإسلام، والأخذ بيد الحكام،وإدخال شعوب وقبائل عديدة في الإسلام، ويعترف رواد الإصلاح الأفارقة في العصر الحديث بمرجعية المغيلي في مختلف أحكامهم الدينية والسياسية، مما يؤكد على الدور الهام شيخ المغيلي، فكيف نقرأ مساهمته المغيلي ونقييم جهوده الإصلاحية على ضوء مواقفه وآثاره ؟

يعد الشيخ المغيلي مصلحا دينيا وسياسيا وإجتماعيا،ساهم في نشر أفكاره الإجتهادية في مرحلة حاسمة من انتشار الاسلام في السودان الغربي وقد أهلته شخصيته بأبعادها المختلفة

[1] د، عبد الله مقلاتي، د، رحوم محفوظ، دور منطقة توات الجزائرية في نشر الإسلام والثقافة العربية بإفريقيا الغربية،ط1،2009،ص ص 72 73.

[2] حاج أحمد آل المغيلي، المرجع السابق،ص 30.

[3] أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج،ج2،نق، عبد الحميد عبد الله، منشورات كلية الدعوة الاسلامية، طرابلس، 1398هـ /1989م،ج2،ط1،ص 578، محمد بن مريم التلمساني : البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، منشورات السهل، الجزائر، 2009، د ط،ص 272، محمد بن محمد مخلوف :شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، 1349هـ، ج1، د ط، ص 274.

[4] د، عبد الله مقلاتي، د، رحوم محفوظ، المرجع السابق، ص 73.

للقيام بهذا الدور الريادي، فهو كان مدرس وإماما ومفتيا وقاضيا، نهل الشيخ المغيلي معارفه على يد عماء تلمسان ومنهم الشبخ الثعالبي، وعاش حركة علمية مزدهرة في تلمسان والمغرب، وقد نبغ في مختلف العلوم الشرعية واللغوية، وأهل لتولي مهمة التدريس بإجازة كثير من العلماء،فجلس للتدريس بالمسجد الكبير بتلمسان، ولما انتقل إلى توات وأسس زاويته القادرية اهتم بالتدريس ونشر المعرفة، وقد غدت زاويته قطبا علميا يؤمه الطلاب من الصحراء والسودان، وفي السودان ركز في مهمته الإصلاحية على التدريس والإمامة [1] وكذلك أصدر الكثير من الفتاوي وهو ببلاد السودان، لقد أورد له عثمان ابن فودى مجموعة من الفتاوي الشرعية والسياسية، وبدأ تأثره بها واضحا في حركته الإصلاحية التي عمت نيجيريا، وخاصة في مؤلفه " حصن الإفهام "[2]اهتم بعلوم الدين والدنيا، وكان مؤمنا أشد الإيمان بضرورة الإشتغال بشؤون السياسة الشرعية وخدمة الإسلام والمسلمين، كما أسهم في نصح الأمراء والحكام وألف في شؤون الإمام والسلطة [3]

الدعوة الى الله ونشر الإسلام من المهام الأساسية التي نهض بها الشيخ المغيلي في السودان الغربي، وقد اظهر المغيلي اهتماما ملحوظا بالدعوة والإرشاد بين سكان توات، وبذل جهودا معتبرة في تنقية الإسلام مماعلق به من شوائب، وكان الهدف الأساسي من انتقاله الى السودان هو نشر الدعوة الإسلامية، وقد دعاء الحكام صراحة أن ينهضوا بمحاربة البدع والخرفات، وإلى عدم الإحتكام إلى الشرائع والعادات المنافية للإسلام، فضلا عن تنقل المغيلي إلى السودان من أجل الدعوة فقد تجند لدعوة الوثنيين لدخول الإسلام، وتضمنت رسائله ووصاياه للأمراء والسلاطين دعوة صريحة لإصلاح أوضاع المجتمع وطبعه بالطابع الإسلامي، إذ أوصى سلطان كانو قائلا " وامنع جميع أهل بلدك عن جميع أنواع الشرك وكشف العورات "[4]

[1] مقدم مبروك مقدم، الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي، ط1، مؤسسة الجزائر كتاب،تلمسان،2002، ص ص، 93،94.

[2] عبد الله الألوري، الإمام المغيلي وأثره في الحكومة الإسلامية في نيجيريا، القاهرة،(د ن)، ص ص 33 34.

[3] بوعزيز يحي، تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن السادس عشر إلى مطلع القرن العشرين، دار هومة، الجزائر،2001، ص ص 83،84.

[4] محمد ابن عبد الكريم المغيلي، مصباح الأروح، مصدر سابق، ص ص، 74 75.

وبعد سنوات من التدريس والدعوة انتقل المغيلي إلى بلاد التكرور غرب بلاد غانة القديمة، وبذل جهودا جبارة في نشر الإسلام ودعوة الوثنيين لدين الله، ومنها انتقل إلى مدينة قاو عاصمة مملكة سنغاي، والتقى بأميرها الأسقيا محمد الكبير (1493_ 1528م) الذي اعتمده مستشارا له، وأعانه في نشر الإسلام وتعليم مبادئه في بلاد الكبي الوثنية [1]

وقد تعرف المغيلي على الأحوال السياسية والاجتماعية والاقتصادية لسكان السودان الغربي، وتقرب من الأمراء من أجل تفعيل دعوته ونشرها على نطاق أوسع، يعد المغيلي واحد من أقطاب الفقه المالكي، نبغ فيه وتبحر، فألف وإجتهد وكان لمذهبه انتشار واسع في السودان الغربي مما يؤكد على دوره الإصلاحي البارز [2]

عاصر المغيلي انتشار ظواهر كثيرة ألبست العقيدة الإسلامية الصافية كادعاء الولاية والكشق،وادعاء العلم بالغيب، وتعاطي السحر والشعوذة وانتشار الفرق المظللة، وفي البيئة الصحراوية انسابت هذه الأفكار والبدع فتصدى لها المغيلي ونبه إلى مخاطرها، وقد ألف عدة مصنفات انتقد فيها هذه الظواهر واجتهد في محاربة البدع والشبهات ومن تصانيفه المهمة في هذا الباب، رسالته تنبيه الغافلين عن مكر الملبسين بدعوى مقامات العارفين، عرض فيها لموضوع لولاية، وانتقد إدعاءات المبطلين وأدعياء العلم والتصوف، ويظهر التحرر الفكري للمغيلي جليا وهو يبين أحكامه من الكتاب والسنة [3] والف المغيلي رسالة شهيرة في الرد على المعتزلة وتشنيع معتقداتهم الفاسدة، وجاءت على شكل مناظرة علمية اعتمد فيها المغيلي أسلوب الجدل ليحاجج وينتقد آراء المعتزلة وادعاءاتهم وكتب المغيلي رسالة التوحيد أرسلها إلى الإمام محمد بن يوسف السنوسي ولا يعثر لها اليوم على أثر [4]

[1] يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص ص 80 81.

[2] حدة عبد القادر نويجم، المرجع السابق، ص 66.

[3] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي،بيروت، 1999، ج1، ص144.

[4] د. عبد الله مقلاتي، د. رحوم محفوظ، المرجع السابق، ص 109.

ثانيا:علماء توات

ومن أجل التعرف على مختلف الإسهامات الحضارية للتواتيين في هذه المجالات نحاول استعراض شكلين من أشكال التواصل الحضاري هما رحلة العلماء واستقرار الجالية التواتية بالسودان الغربي.

لقد اشتهر علماء توات برحلاتهم العلمية إلى المراكز الحضارية الكبرى في العالم الإسلامي، وذاع صيت الكثير منهم في العواصم الثقافية خاصة في بلاد السودان،ولقد أطلق العرب اسم السودان على تلك الأقوام المتمركزة جنوب الصحراء الكبرى وسميت رقعتهم ببلاد السودان، ويرجع أصل هذه التسمية إلى لون البشرة (السواد) الذي يمتاز بها سكانها [1]

كما يطلق عليها بعض المؤرخين العرب اسم التكرور و أصبحت كلمة تكرور مرادف لكلمة سوداني [2]

تنقسم السودان إلى ثلاثة أقاليم هي:

السودان الشرقي: نعني بها المنطقة الواقعة جنوب مصر والصحراء الكبرى وتمتد من البحر الأحمر شرقا إلى غاية إقليم دارفور غربا.

السودان الأوسط: هي تلك المناطق الداخلية جنوب الصحراء الكبرى وتشمل المناطق المحيطة ببحيرة التشاد [3].

أما السودان الغربي فتقع في غرب إفريقيا وتطل على المحيط الأطلسي من الغرب والجنوب وتحدها الصحراء الكبرى شمالا والحدود الشرقية لنيجيريا شرقا [4]

وقد ذكر أصحاب التراجم جمهرة من علماء توات ذاع صيتهم في الحواضر الإسلامية منهم الفقهاء والأساتذة في جامع القرويين والزيتونة والمدرسون ورجال الدعوة في غرب إفريقيا،

[1] نور الدين حاج أحمد، ص 14.

[2] إلهام محمد علي الذهني، جهاد الممالك الإسلامية في غرب افريقيا ضد الإستعمار الفرنسي 1850 م . 1914 م، دار المريخ، الرياض، 1988، د ط، ص 19.

[3] نور الدين حاج أحمد، ص 14.

[4] إلهام محمد علي الذهني، مرجع سابق، ص19.

وكان لعلماء توات حضور قوي في مدينة تمبكتو التي استقطبت اليها رجال العلم والدعاة والتجار منذ القرن الرابع عشر ميلادي، وكان لعلماء توات دور متميز في نقل الإشعاع الثقافي الإسلامي إلى الشعوب الإفريقية، وفي تشيد صروح التمدن والحضارة اذ يؤكد أغلب المؤرخين على دورهم الفاعل في نضج وقوة الممالك الإسلامية التي عرفتها إفريقيا الغربية بدء من القرن الخامس عشر،وفي عهد ازدهار الحضارة الإسلامية انتشرت المدارس والمعاهد الإسلامية بفضل جهود علماء توات اللذين تميزوا عن أقرانهم بحركيتهم النشطة وصبرهم الجيد وتأقلمهم وتعايشهم مع السكان الأصليين[1] وقد انتظمت الزيارات العلمية لعلماء توات، وتطورت بشكل ملفت لأسباب عديدة منها الرغبة في الدعوة الإسلامية وتشيجيع حكام ممالك السودان، اذ يورد "بول مارتي " رسالة عثر عليها بتوات وجهها سلطان بورنو (كاندي ولد جامشاش) عام 1440م يستجدي التواتيين إلى بلاده، ويؤكدلهم أنه سيسهر على أمنهم وراحتهم وإنه لن يأخذ منهم أي ضرائب، خاتما رسالته بالقولأن البلد بلدهم، مثلما كان لآبائكم من قبل [2]

كما بعث يطلب من علماء توات إرسال بعثات علمية إلى برنو وتوضح لنا مختلف الأدبيات أن هجرة علماء توات إلى السودان الغربي كانت مبكرة، حيث تجند بعضهم للدعوة في سبيل الله وأسهموا في نشر الإسلام والثقافة العربية،لكن لم يكتب لهم النجاح الذي حققه الشيخ المغيلي هناك،والذي غطت سمعته على من سبقوه في الدعوة قبل القرن الـ15م ويرجع للشيخ المغيلي الفضل الأكبرفي ربط التواصل ونشر الإسلام بممالك السودان الغربي، ولم ينقطع الإتصال بعده بهذه الممالك، حيث دأب علماء توات للقيام بزيارات علمية الهدف منها الدعوة في سبيل الله ونشر العلم والثقافة الإسلامية، ونذكر من العلماء اللذين نبغوا في بلاد برنو واثروا في الحياة الإجتماعية والسياسية الشيخ محمد الطاهر الفلاني التواتي، الذي ألف عدة كتب في الفقه

[1] يحي بوعزيز، تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية، دار هومة، الجزائر، 2001، ص 195،

[2] بول مارتي، كتنة الشرقيون : ترجمة محمد محمود ودادي، مطبعة زيد ابن ثابت، دمشق،1985،ص34.

وعلم الكلام والسياسية، وقد ذكر صاحب "إنفاق الميسور" أن سلطان برنو حمله إلى حصن برنو واسكنه فيه وبنى له دارا ووالاه خطه [1]

واشتهر في هذه المملكة العالم الشيخ العاقب بن عبد الله الأنصمني المسوفي، وكان من علماء تكدة النابهين اللذين اشتغلوا بالعلم والتأليف، وقد تعلم على يد الشيخ محمد ابن عبد الكريم المغيلي[2].

واستقطبت مدينة تمبكتو علماء توات فإستقر الكثير منهم فيها للدعوة والتدريس، ومنهم الشيخ أبو القاسم التواتي المتوفى عام 1516م الذي كان له دور بارز في الحياة العلمية بتمبكتو، إذ يذكر مؤرخ السودان عبد الرحمان السعدي أنه حضي بإحترام الجميع حتى أن السلطان أسكيا الحاج موسى كان يحرص بعد كل صلاة على الملاقاة به للتسليم عليه والتبرك به[3]

وحضي العالم عبد الله البلبالي بمكانة مرموقة وهو خطيب ومدرس الجامع الكبير بتمبكتو، حيث قال عنه صاحب كتاب "الفتح الشكور" كان رحمة الله تعالى من عباد الله الصالحين زاهدا ورعا لا يأكل إلا من عمل يديه، وظهرت له كرامات وبركات، وهو من أهل القرن التاسع عشر الهجري ومن علماء توات وأوليائها[4]، وعرفت هجرة العلماء إلى حواضر إفريقيا الغربية حركية أنشط خلال القرن الثامن عشر الميلادي [5]

إذ تذكر كتب التراجم أن الشيخ عمر ابن محمد بن المصطفى بن أحمد الرقادي الكنتي كان كثير التردد على بلاد التكرور لوجود عشيرته هناك وكذلك أبي زيد عبد الرحمان بن عمر

[1] أحمد محمد كاني، الجهاد الإسلامي في غرب إفريقيا،مطبعة الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، 1987، ص21.

[2] أحمد حسن محمود، الإسلام والثقافة العربية في افريقيا، ط1، دار المعارف، مصر (د،ت)،ص 121.

[3] السعدي عبد الرحمان، تاريخ السودان، مكتبة هوداس، باريس،1964،ص 236.

[4] ابن عبد الله الطالب محمد البرتلي، الفتح الشكور في معرفة علماء التكرور، تحقيق الكتاني ومحمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981،ص ص 37 38

[5] مبارك جعفري، الحياة العلمية في إقليم توات وانعكاساتها جنوب الصحراء خلال القرن 12هـ / 18م، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2009، ص ص، 189 190.

التنيلاني الذي زارها مرتين ووصف لنا رحلته في فهرسته، فذكر أنه تنقل بين عدة مناطق منها تاودني وقرية لمبروك ومدينة أروان [1].

ومن العلماء الذين زاروا تكرور للعلم وللتجارة الشيخ ابي الأموار بن عبد الكريم التينيلاني الذي يعود له فضل تأسيس حاضرة لمبروك بشمال مالي،وقد خلفه على الزاوية حفيده مولاي هيبة بن مولاي محمد الذي أسس مسجدا وقصبة بمنطقة والن ويذكر أن الشيخ مولاي الزيدان بن محمد زار بلاد التكرور أربع مرات بصفته خليفة لمولاي عبد المالك الرقاني بتلك المناطق، وأنه نشر طريقته هناك [2]

وانتقل إلى بلاد السودان محمد بن أب المزمري الذي زار تمبكتو وأروان، والشيخ الحاج بن محمد المصطفى أحد شيوخ الزاوية الكنتية الذي زار التكرور سنة 1203 م، والشيخ علي بن أحمد بن علي بن أحمد الرقادي، الذي ذكر فضله البرتلي وقال عنه أنه كان كثير التنقل بين زاوية أجداده في توات وبلاد السودان [3]

وهكذا يبدوا لنا أن الإحتكاك الجغرافي والعلاقات التجارية والثقافية عوامل أساسية لعبت دورا مهما في توطيد العلاقات بين إقليم توات وحواضر السودان الغربي، وان هذه العلاقات أخذت أشكالا متعددة وازدهرت وكان من نتائجها إمتداد التأثير الواضح لإقليم توات على ازدهار الحياة السياسية والتجارية والثقافية لحواضر السودان الغربي[4]

[1] عبد الرحمان بن عمر التينيلاني، فهرست التنيلاني (تراجم بعض علماء ومشايخ الشيخ عبد الرحمان بن عمر التينيلاني) خزانة تنلان، أدرار ، ص ص 36 37.

[2] ابن عبد الله محمد البرتلي الولاتي، المصدر السابق، ص 100،

[3] نفسه،ص ص 200 201،

[4] عبد الله مقلاتي، د،رموم محفوظ، المرجع السابق، ص 65.

2- الإفريقية:

أولا:طريقة التيجانية الجزائرية ودورها في إفريقيا

كما نقل بعض علماء توات الطريقة التيجانية (الجزائرية المنشأ) التي ذاع انتشارها في السودان كذلك، وقد تأسست الطريقة في عين ماضي بالأغواط، وانتشرت في الصحراء وتوات ثم امتد نفوذهاإلى المغرب الأقصى وإلى السودان الغربي حيث لقيت الرواج الواسع ومازالت إلى اليوم، وتذكر بعض المصادر أن مؤسس الطريقة أحمد التيجاني كانت له علاقة وطيدة مع عالم قورارة سيدي محمد بن الفضيل، وأن كل منهما أخذ الطريقة عن الآخر، ولم يقتصر دور التيجانية على الجانب الديني والإجتماعي بل تعداها الى الجانب السياسي اذ ظهرت العديد من الدويلات التي أسندت إلى دعوتها مثل دولة الحاج عمر (1798ـ 1865م) ودولة الشيخو أحمد وأسهمت هاتين الطريقتين وغيرها في نشر الإسلام والثقافة العربية على نطاق أوسع [1]

إحتلت الطريقة التيجانية المكانة المرموقة في الوسط التواتي والأزاواي وهذا مايتوجب التعريف بها لكونها من الطرق الصوفية المنتشرة في القارة الإفريقية خاصة في الجزء الغربي منها.

وتنتسب إلى الشيخ أبي العباس بن أحمد بن محمد بن مختار التيجاني الذي ولد في قرية عين ماضي بالأغواط بجنوب الجزائر عام 1150 هـ/ 1737م وفي عام 1171هـ/ 1757م سافر التيجاني إلى فاس للبحث عن شيوخ الصوفية في هذا المركز الديني، وهناك درس الطرق الصوفية ثم ذهب إلى قرية البيض على مشارف الصحراء، حيث استقر في زاوية سيدي عبد القادر بن محمد، ومكث بها خمس سنوات، استغل بعضا منها في التدريس، وفي عام 1186هـ/ 1773م بدأ الشيخ التيجاني رحلته الى الحج التي واصل فيها متابعته للطرق الصوفية[2]

حيث توقف، ودرس بقرية أيت اسماعيل في بلاد القبائل زار فيها الشيخ أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمان الأزهري وأخذ عنه الطريقة الرحمانية الخلواتية، ثم قضى عاما في تونس

[1] الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني، المرجع السابق،ص ص، 4، 5.

[2] د، حوتية محمد، الطرق الصوفية بإقليم توات وغرب افريقيا خلال القرنيين 18.19، مجلة المؤرخ العربي، العدد 17، المجلد الأول، اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة، مصر، مارس، 2009، ص 217.

حيث درس كتاب ابن عطاء السكندري (كتاب الحكم)، وحقق نجاحا في تدريسه لدرجة أن القائم على حكم تونس (1171هـ/1757م/ 1197هـ/1782م) طلب منه البقاء في تونس للتدريس في مسجد الزيتونة وأغره بالمال والسكن الفاخر لكن الشيخ التيجاني رفض وقرر مواصلة رحلة الحج... ووصل الى القاهرة وبد أ البحث عن شيخ الطريقة الخلواتية، والتقى به، وتعلم منه الكثير من مبادئ الطريقة، وأخيرا وصل الى مكة في يناير 1188هـ/1774م واتصل هناك بشيخ هندي يدعى أحمد بن عبد الله بواسطة خادمه وبعد شهرين من هذا البقاء مات الشيخ وورث التيجاني عنه تعاليم الطريقة الصوقية وفي طريق العودة الى بلاده توقف الشيخ التيجاني في القاهرة حيث فوضه الشيخ محمد الخيضري في نشر تعاليم الخلواتية في شمال افريقيا واتجه احمد التيجاني الى فاس بدلا من مدينة عين ماضي، وفي عام 1191هـ/1777ماتجه الى تلمسان بالجزائر مرة اخرى بسبب عودة الحاكم العثماني بالاغواط ثم انتقل الى جبال قصور بقرية بوسمغون جنوب غرب البيض سنة 1199هـ/1781م حيث استقر بها مدة ثلاث سنوات زار خلالها اقليم عين ماضي وبوجوده في بوسمغون كثير مريدوه وقدته الوفود من جميع انحاء الصحراء حيث واصل نشر تعاليم الطريقة الصوفية حتى وافته المنية عام 1231هـ/1815م.

لقد ظهرت مبادئ الطريقة التيجانية من خلال مؤلفات بعض الأتباع وعلى رأسهم ابن عربي في كتاب جواهر المعاني وبلوغ الآماني في فيض سيدي أبي العباس التيجاني وانتشرت الطريقة التيجانية في غرب افريقيا بفضل جهود الحاج عمر الفوتي التكروري (1210هـ/1795م 1281هـ/1864م) والذي يلقى وردها على أيدي الشيخ عبد الكريم بن أحمد النفيل الفوتا جالوني[1].

[1] د، حوتية محمد، الطرق الصوفية بإقليم توات وغرب افريقيا خلال القرنيين 19.18، المرجع السابق، ص 218.

وقد وضع الحاج عمر أسس هذه الطريقة في كتابه الرماح (رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم)الذي يتكون من 55 فصلا الى جانب المقدمة والخاتمة ويتناول الكتاب عدة أمور مثل التشيج على سلوك الطريقة التيجانية والحديث عن معنى الزهد عند الصوفية ويعتبر التيجانيون هذا الكتاب المرجع الأساسي للطريقة التيجانية [1]

هذا وقد صارت بلاد غرب إفريقيا مهدا لممالك إسلامية عظمي كمملكتي مالي والصنغاي ودولة عمر الفوتي، والشيخ أحمد لوبو وفي الجزء الغربي الشرقي في بلاد غرب إفريقيا قامت مملكة صكتو الإسلامية بقيادة الشيخ المجاهد العلامة عثمان بن فودي.

استطاعت الطريقة التجانية أن تلعب دورا مهما في المجالين الروحي والسياسي في بلاد غرب إفريقيا، واكتسبت مكانة في نفوس الناس شعبا وحكاما، وانضوت تحت لوائها دويلات، وحكومات قامت علي اسس دينية، وقد كان مريدوها جنودا في المقاومة ضد الاستعمار في المرحلة الاولى[2]

[1] نفسه،ص 219.

[2] د،.غانمي عمرو سعيد /جامعة واغادووغو للغات المتعددة بوركينافاسو، الطريقة التيجانية ودورها في نشر الإسلام في غرب إفريقيا،ص 10.

الفصل الثالث

التحديات والسبل الممكنة لإنعاش التواصل الحضاري

المبحث الأول: معيقات التواصل الحضاري

1-المعيقات الطبيعية

2-المعيقات البشرية

المبحث الثاني: الحلول والسبل الممكنة لإنعاش التواصل الحضاري بين الجزائر وإفريقيا جنوب الصحراء

التواصل الحضاري بين الحواضر الجزائرية وإفريقيا جنوب الصحراء فأعرفه بأنه استمرار الإبداع النافع للمنطقتين أي الحواضر الجزائرية وإفريقيا جنوب الصحراء داخل القارة الإفريقية هذا هو التواصل وهو بمعنى التكامل الحضاري فاستمراريته تعنى استمرار انتقاله بين المنطقتين لباقي القارة إلا أن القارة شهدت فترات عصيبة من أشكال السيطرة والاستعمار والقمع سواء كان ذلك من الخارج والمتمثل في تنافس القوى الكبرى حول خيرات هذه القارة، أو من الداخل ممثلا في الأنظمة السياسية الحاكمة، والتي يغلب الاستبداد والدكتاتورية على معظمها، فمنذ القرن الخامس عشر جاء المستعمر الأوربي إلى القارة لاستغلال خيراتها فنشطت تجارة العاج والذهب والعبيد والمحاصيل الزراعية الاستوائية والمدارية، وخير دليل على ذلك الحصون التي بنوها لتجميع هذه المنتجات والعبيد على سواحل غرب إفريقيا لممارسة تجارتهم الرائجة في تلك الفترة، وقد نقل العبيد الأفارقة عبر المحيط الأطلسي في سفن شحن البضائع بأعداد كبيرة، وقد استخدموا العبيد لتعمير العالم الجديد منذ ذلك الوقت، كما تم نقل المنتجات الزراعية المدارية والاستوائية إلى أوربا، وبعد قيام الثورة الصناعية في أوربا بدأت تتكالب الدول الكبرى وخاصة في أواخر القرن التاسع عشر، وذلك للسيطرة وتقسيم القارة فيما بينها، بهدف نشر التقدم ونبذ التخلف وتنمية مناطق ودول القارة المتخلفة، إلا أن ذلك كان من أهم الأسباب التي ساهمت في زيادة تخلف القارة الإفريقية، وبالتالي شعرت شعوب القارة بالهيمنة والإستغلال والإستعمار والسيطرة على مواردها، وبدأت منذ منتصف القرن العشرين في التحرر والإستقلال من هذه الهيمنة والإستعمار، وبعد الحرب العالمية الثانية وبداية الحرب الباردة في ظل وجود قطبين، بدأ التنافس لزيادة نفوذ كلا منهما في القارة السمراء محل القوى الأوربية السابقة، حيث بدأت المنافسة بتكبيل الدول الإفريقية بالديون والقروض لتصبح تابعة لهذا أو ذاك، بينما شركات هذه الدول تنخر في ثروات القارة الإفريقية،[1]

[1] د،الصادق محمود عبد الصادق : مقومات ومعيقات التنمية الإقتصادية في إفريقيا نظرة جغرافية، مجلة الجامعة الأسمرية، العدد 21،ص 355.

وبعد نهاية الحرب الباردة بدأت الدول الكبرى في تهميش القارة الإفريقية، وضعفت نسبة المعونات والمساعدات والقروض الموجهة إلى القارة بقصد دعم التنمية في القارة حتى منتصف التسعينيات، حيث ظهرت قوى جديدة إضافة إلى الولايات المتحدة وفرنسا متمثلة في الصين واليابان وغيرها بعد انهيار الإتحاد السوفيتي السابق، وبدأت مرة أخرى في التسابق بواسطة شركاتها واستثماراتها في هذه القارة، كما أن هناك أشكالا أخرى للسيطرة والقمع والتسلط داخل دول القارة نفسها متمثلة في الأنظمة السياسية التي تحكم في القارة، والتي يغلب عليها الاستبداد والدكتاتورية والتسلط على شعوب القارة الفقيرة،والتي ترزح تحت نير الفقر والأمراض والتخلف، الأمر الذي جعل من القارة ودولها من أفقر القارات في العالم أو أقلها نموا وتقدما.[1]

بالرغم من كل هذه إلا أن للقارة مقومات وعوامل تساهم في مساندة الخطط التنموية بصفة عامة،ومن هذه الظروف والعوامل الموقع والمساحة والمناخ والثروات الطبيعية النباتية والحيوانية والمعدنية، فكل هذه المقومات تعتبر عوامل مساعدة لعمليات التنمية المختلفة في أي مكان، إذا تم التعامل معها واستغلالها الإستغلال الأمثل،حيث ان القارة تحتل موقعا استراتيجيا بين قارات العالم، وهي بهذا تطل على أهم المسطحات المائية التي توجد فيها أهم الطرق الملاحية التي تربط بين مناطق العالم كما أن القارة تشرف على أهم الممرات العالمية مثل مضيق باب المندب وأخدود البحر الأحمر وبرزخ السويس، بينها وبين القارة الأسيوية، والبحر المتوسط ومضيق تونس صقلية ومضيق جبل طارق بينها وبين أوربا، كما تشرف القارة على المحيط الأطلسي من ناحية الغرب، والذي يفصلهاعلى الأمريكتين، وبحر العرب والمحيط الهندي من ناحية الشرق، بينها وبين أستراليا، ولايعد البحر المتوسط والبحر الأحمر فواصل طبيعية كبيرة بقدر ماهي وسائل إتصال داخلية بينها وبين هذه القارات [2]

كما تتوسط القارة نصفي الكرة الأرضية، حيث أن خط الا ستواء والمدارين يمران بها، وبالتالي فهي تمتد شمالا إلى دائرة عرض 37° شمالا،و35°جنوبا، أي أنها تمتد في نصفي الكرة

[1] د،الصادق محمود عبد الصادق، المرجع السابق، ص 366.

[2] صلاح الدين الشامي ، التنمية الجغرافية دعامة التخطيط، منشأة المعارف، الاسكندرية،2000م،ط2،ص 198.210.

الأرضية الشمالي والجنوبي بمسافة متقاربة، كما أنها تمتد من خط طول 20غربا إلى خط طول 60° شرقا تقريبا، ولذلك فإن خط الطول الأساسي يمر بجزئها الغربي، وعليه فإن معظم خطوط الشبكة الجغرافية الأساسية تمر بها، وبالتالي فإن هذا الموقع الإستراتيجي للقارة من شأنه التأثير ايجابا على النهوض بالتنمية الإقتصادية المتوازنة في مختلف المجالات بين أقاليم القارة، وذلك نظرا للعلاقة المكانية بينها وبين مراكز الثقل الحضارية والإقتصادية العظمى في القارات الأخرى، وكذلك بينها وبين المسطحات المائية والمنافذ المهمة في التجارة الدولية بين مختلف المناطق في العالم،الأمر الذي يكسب القارة الإفريقية بهذا الموقع أهمية كبيرة، ويسهل اتصالها ببقية قارات العالم، وهذا مايشجع على قيام الأنشطة الإقتصادية المهمة داخل هذه القارة، وبالتالي تستطيع الوقوف والمنافسة والإحتكاك ومجاراة العالم الآخر لكي تنمي قدراتها الإقتصادية والإجتماعية والحضارية [1]

أما عن مساحة القارة فإنها تصل إلى 30مليون كم2، وتتجسد أهمية هذه المساحة في كونها حاوية للكثير من الثروات الطبيعية التي وهبها الله لهذه القارة والمتمثلة في المساحات الصالحة للزراعة والغابات الطبيعية المنتشرة فيها، إضافة إلى الثروات الحيوانية البرية والبحرية والثروات المعدنية ومصادر الطاقة..... الخ، وكل هذه الخصائص الطبيعية التي تتميز بها القارة لا تشكل أي عائق أمام تنمية القارة وتطويرها لابل على العكس من ذلك فهي مؤشرات وعوامل داعمة، كما أنه لاتوجد فواصل طبيعية بين أجزاء القارة بالشكل الذي يمنع اتصالها بعضها مع البعض باستثناء الحدود المصطنعة بين دولها، والذي وضعها الإستعمار الخارجي وفقا لرغباته وأطماعه [2]

كما تتنوع الثروات الطبيعية في القارة الإفريقية بإختلاف أشكالها، بالرغم من أن معظم هذه الثروات غير مكتشف، فهي تملك 97%من احتياطي العالم من معدن الكروم، و85%من

[1] صلاح الدين الشامي ، المرجع السابق، ص 200، 210.

[2] منظمة الوحدة الإفريقية، خطة عمل لاجوس من أجل التنمية الإقتصادية لإفريقيا، 1980-2000م،ص2.عن الموقع الإلكتروني www.moqatel.com، توفيق المسطر، المستقبل البيئي للقارة الإفريقية، الهيئة العامة للبيئة، مجلة البيئة، العدد 23، 2004م، طرابلس، ص10.

الاحتياطي العالمي من البلاتين، و74%من احتياطي العالم من الذهب، و50 % من احتياطي المنجنيز، و25%من احتياطي العالم من اليورانيوم، إضافة الى 14%من النحاس، و20 %من الطاقة الكربائية، وكذلك 70%من احتياطي العالم من الكاكاو، وثلث الإنتاج العالمي من البن،و50 %من النخيل [1]

ناهيك عن احتياطي البوكسايت والنيكل والرصاص، وماتتمتع به القارة من وفرة في المياه، إضافة الى امكانية استغلال الطاقة الشمسية على نطاق واسع في القارة، فالدول النامية التي تعتمد إعتمادا كليا على تصدير هذه الموارد المحدودة أو استغلالها المفرط سواء كان في قطع الغابات أوو أنهاك التربة الزراعية والمرعي دون اتباع الأساليب العلمية التي تحافظ على هذه الثروات، وبالتالي زيادة التخلف والفقر والجهل والمرض في هذه الدول، والسماح للقوى الكبرى من التسلط عليها وابقائها تحت طائلة الديون بشكل دائم إضافة للمقومات الطبيعية التي من شأنها أن تساهم في عمليات التنمية الإقتصادية بالقارة الإفريقية، هناك أيضا مقومات بشرية يمكن أن نتطرق اليها بشيء من الايجاز فهم الركيزة التي يتم بها ومن أجلها تحقيق التنمية والنمو الاقتصادي والاجتماعي، فالقارة الإفريقية تمتلك اضافة للموارد الطبيعية احتياطا ضخما من الموارد البشرية، حيث يبلغ عدد سكانها أكثر من 700مليون نسمة [2] إلا ان هذا الحتياطي يمثل الآن ثقلا على عمليات التنمية، نظرا لمعدل النمو المرتفع، والمعدل المتزايد للبطالة المقنعة وارتفاع نسبة الإعالة، ونقص فئات القوى العاملة المدربة، وكذلك المعدل المرتفع لأمية الكبار، وكذلك قصور النظام التعليمي، والإفتقار إلى التنسيق بين السياسات وبرامج تدريب القوى العاملة وتمويل التدريب على المستوى الوطني في معظم دول القارة [3]

[1] منظمة الوحدة الإفريقية، المرجع السابق، ص11.

[2] محمود أبو العينين، الإتحاد الإفريقي ومستقبل القارة الإفريقية، القاهرة، 2001، ص29.

[3] د،الصادق محمود عبد الصادق، المرجع السابق، ص 372.

كما أن التكامل الإقتصادي بين الدول والأقاليم في القارة الإفريقية وتبادل المهارات العلمية والخبرات الفنية بين أبناء القارة أفضل من استرادها من الخارج، بحيث لابد ان يشكل التعاون والاعتماد الجماعي على النفس بين دول القارة تنمية للموارد البشرية بهدف رفع مستوى المعيشة لجميع سكان القارة، وتوفير الخدمات الأساسية لهم، للقضاء على الجهل والفقر والمرض المتفشي في هذه القارة الإفريقية من الفقر والجهل والتخلف والمرض والصراعات الداخلية والتباين في الديانات والقوميات والأجناس، إن إثارة المنازعات وإحيائها وتهويل الصراعات داخل القارة من الأمور التي تتذرع بها الدول الإستعمارية، كما في السودان والصومال وأثيوبيا وإرتريا وموريتانيا ومشكلة الصحراء الغربية..... إلخ، وذلك للتدخل في القارة واعتبارها غير قادرة على حل مشاكلها بدون تدخل هذه القوى الكبرى، كل ذلك من شأنه الإبقاء على القارة رهينة لإرادة هذه القوى واستغلال ثرواتها بأكبر قدر ممكن [1]

وفي هذا الفصل الثالث سنلقي الضوء على المعيقات والصعوبات التي أدت إلى عرقلة سير التواصل الحضاري بين حواضر الجزائرية وإفريقيا جنوب الصحراء وماهي التحديات والسبل الممكنة لإنعاش التواصل الحضاري.

[1] د،الصادق محمود عبد الصادق، المرجع السابق، ص ص، 373،374.

المبحث الأول: معيقات التواصل الحضاري

بالرغم من امتلاك القارة الإفريقية لمقومات النمو والتنمية الإقتصادية والتطور كما أسلفنا، إلا أن هناك الكثير من المعيقات التي تعترض طريق التنمية والنمو الاقتصادي وتمنعها من اللحاق بركب التطور والنجاح، وتتعدد هذه المعيقات فمنها ماهي طبيعية ليس للإنسان يد في حدوثها، ومنها ماهي اقتصادية، متمثلة في الأوضاع المختلفة والمعتمدة في أغلبها على تصدير المواد الخام الطبيعية بأشكالها المختلفة، وهذا ما يجعلها عرضة لعدم الاستقرار[1]

ورهينة للتقلبات في الأسعار العالمية، وتحكم الدول الصناعية الكبرى، ومنها ماهي إجتماعية أشكالها تتضح في انتشار الأمية والفقر والمرض والجهل وإنتشار الفساد، ومنها السياسية، وتتضح في أنظمة الحكم الدكتاتورية وحكم الحزب الواحد أو الفرد الواحد وتهميش البقية وبنظرة جغرافية نستطيع تقسيم معيقات القارة الإفريقية إلى مايلي:

1-المعيقات الطبيعية

تتمثل هذه المعيقات في العديد من الظروف الطبيعية التي ليس للإنسان يد في تكوينها أو فعلها، ولكن يمكنه التعامل مع الطبيعة في ظلها، ومن بين هذه العوامل التضاريس حيث أن المرتفعات الإلتوائية في جنوب القارة بإقليم الكاب، كما تشكل المرتفعات الإنكسارية في شمال شرق القارة حول الأخدود الإفريقي العظيم، كما تنتشر وسط الصحراء الكبرى التي تغطي معظم النصف الشمالي من القارة العديد من المرتفعات القديمة مثل تيبستي والأحجار ودارفور وتاسيلي، أما عن السهول بأنواعها فإنها قليلة وتتصف بالضيق بالإضافة إلى أن سواحل القارة تكاد تخلو من التعاريج والتسنن وأشباه الجزر، كما أن الرف القاري حول القارة يتصف بالضيق نسبيا أيضا[2].

[1] جودة حسنين جودة، جغرافية إفريقيا الإقليمية، دار النهضة العربية، بيروت، 1981م، ص، 57.

[2] نفسه، ص، 58.

وكل هذه العوامل لسطح القارة لا نعرضها لغرض العرض فقط، وإنما لكي نبين علاقتها بالتنمية الإقتصادية، وأثرها كعوائق طبيعية لعمليات التنمية، فلا يستطيع أحد اغفال ما للتكوينات الجبلية والانحدارات الفجائية لهضاب القارة والمساحات الصحراوية الجافة من أثر على عمليات ربط المناطق بعضها البعض، وانشاء الطرق والجسور والكباري والسدود، وخاصة في دول فقيرة ومتخلفة مثل الدول الإفريقية ومن الخصائص التضاريسية التي تتصف بها سواحل القارة أيضا ضيق الرف القاري حولها وعليه فإن مصادر الغذاء للأحياء البحرية محددة، وبالتالي فإن المصائد تقل نسبيا على معظم سواحل القارة، نتيجة لقلة مصادر الغذاء للأسماك، ويتراوح بعد الرف القاري على معظم سواحل القارة بين 24-32كم [1]

إضافة الى عوامل التعرية المختلفة، وكل تلك العوامل الطبيعية لها دور كعائق لعمليات التنمية، خاصة وأن معظم دول القارة فقيرة، ولا تمتلك رأس مال لمكافحة هذه العوائق بمفردها دون تدخل الدول الأجنبية التي تستغل خيراتها، حيث تتعرض بعض أقاليم شمال غرب القارة مثلا الى التعرية المائية والهوائية لتزيل الطبقة السطحية من التربة، فتجرف حوالي 900هكتار يوميا، مما يزيد من الجفاف الفسيولوجي وانخفاض أهمية التربة وصلاحيتها للزراعة واشاعة التصحر، ومن الأمثلة على التدهور البيئي والتغير المناخي، انتشار التصحر في العديد من البلدان الافريقية ففي السودان مثلا تبين أن متوسط تقدم الصحراء الى الجنوب يبلغ حوالي 9كم سنويا [2] حيث يشكل التدهور البيئي وفقدان التوازن الايكولوجي تحديا كبيرا أمام عمليات التنمية في افريقيا، فالتغير المناخي من سنة الى اخرى ادى الى قلة الأمطار وتذبذبها في كثير من اقاليم القارة، مما زاد من توسع الصحراء، فهناك أكثر من 80%من الأراضي الجافة تواجه موجة التصحر الحاد والمتوسط بشكل كبير [3]

[1] جودة حسنين جودة، المرجع السابق، ص 58.

[2] نجاح قدور، إفريقيا واستراتيجية مكافحة التصحر في ظل الاتحاد الافريقي، مجلة دراسات، طرابلس، العدد 12، 2003، ص، 86.

[3] نوزاد عبد الرحمن الهيتي، التنمية في افريقيا وتحدياتها في القرن الحادي والعشرين، مجلة دراسات، طرابلس، العدد10، 2002، ص، 180.

2-المعيقات البشرية

ويمكن تقسيم هذه المعيقات إلى قسمين داخلية وخارجية كما يلي:

✓ **المعيقات الداخلية:**

وهي عوائق من داخل القارة الإفريقية، حيث تتمثل في النمو الديموغرافي السريع، والصراعات السياسية والحروب الأهلية، والجهل والفقر والمرض والفساد، ان الكثافة السكانية المتزايدة في القارة الإفريقية دون أي برامج فاعلة لتنظيمها والسيطرة عليها هي من أهم هذه العوائق البشرية التي تعيق التنمية بصفة عامة، وهذا شأن معظم الدول المتخلفة والنامية، علما بأن هذه الزيادة السكانية الكبيرة يرافقها في كثير من الدول الإفريقية تدني في الرعاية والخدمات الصحية والخدمات التعليمية، مما ترتب عليه انتشار الأمراض والأوبئة في العديد من أقاليم القارة وعجز هذه الدول على مقاومتها، وتفادي شرورها وأخطارها، كما أن انتشار الجهل وتزايد نسبة الأمية، وخاصة في معظم دول جنوب الصحراء، زاد من عرقلة عمليات التنمية في القارة، فالإستغلال المفرط في قطع الغابات مثلا واتباع أسلوب الزراعة الدائمة غير المنتظمة والرعي الجائر والحرائق، كل ذلك ساهم بشكل ملحوظ في ازدياد نسبة التصحر وانخفاض انتاجية التربة، نتيجة لزيادة ملوحتها بسبب انهاكها، وارتفاع التلوث، وكل هذه العوامل هي من صنع البشر أدت إلى تدهور البيئة الإفريقية، وهناك دول تعرضت مساحات منها الى ذلك مثل جنوب افريقيا وبتسوانا وزيمبابوي وكينيا... الخ[1]

[1] عبد القادر المحيشي وآخرون، جغرافية القارة الافريقية وجزرها، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان، مصراته، 2000م، ص،95.

وتعد القارة الافريقية من أفقر قارات العالم وأقلها تطورا والجدول التالي يوضح بعض المؤشرات الديموغرافية التي توكد ذلك[1].

القارة	النمو%	مواليد %	وفيات%	أمدالحياة (سنة)	وفيات الأطفال أقل من 5 سنوات	صغار السن أقل من 15سنة %	كبار السن أكثر من 60% سنة	نسبة التحضر
افريقيا	3.2	37	14	51	138	43	4	38
آسيا	1.3	21	8	67	71	30	9	37
أوربا	0.2 -	9	12	74	12	17	20	75
أستراليا	1.2	17	8	74	33	25	13	70
أمريكا ش	0.9	13	8	78	8	21	16	77
أمريكا ج	1.4	21	6	40	40	32	8	75
العالم	1.2	21	9	66	79	30	10	47

من خلال المؤشرات السكانية السابقة يتضح لنا أن قارة افريقيا هي من القارات الأقل تطورات، حيث تمتاز بارتفاع معدلات المواليد والوفيات، وكذلك معدل النمو السكاني، والأمر الأكثر وضوحا هو معدل وفيات الأطفال الأقل من 5 سنوات،حيث يموت في القارة 138طفلا أقل من 5سنوات من كل الف طفل افريقي، وعلى العكس من ذلك فإن أمد الحياة في افريقيا ينخفض مقارنة بالقارات الأخرى الذي يزيد فيها أمد الحياة بإستثناء أمريكا الجنوبية،وهذا مؤشر واضح نستطيع التفريق بواسطته بين البلدان المتطورة والبلدان المتخلفة أو الأقل تطورا، وهذه

[1] منصور محمد الكيخيا، المتغيرات السكانية والتنمية، وقائع المؤتمر الوطني حول السكان والتنمية، الهيئة الوطنية للمعلومات والتوثيق 21-2004/11/22م، مجلة الدراسات العليا، أكاديمية الدراسات العليا، مجموعة النيل العربية، القاهرة، تحرير سالم أبو عائشة، ميلاد سعيد ميلاد، ص 296.

المؤشرات تنعكس بصورة واضحة على حركة التنمية الاقتصادية والاجتماعية ودرجة التطور ومستوى المعيشة لسكان القارة، وبهذا نرى أن افريقيا لاتزال الاقل تطورا بين قارات العالم، لان هذه الزيادة السكانية الكبيرة يرافقها زيادة وضغط على الموارد الطبيعية للقارة، إضافة الى قلة الرعاية الصحية وتدني التعليم، مماترتب عليه انتشار الأمراض والأوبئة والجهل والفقر والبطالة ومايترتب عن ذلك من عنف وصراعات بين القبائل والدول فالحروب الأهلية والتأخر في مجال التعليم والصحة، إضافة الى ضعف الميزانيات في كثير من دول القارة باتت من العوائق التنموية، كما أن الفساد يعتبر من المعيقات الخطيرة التي تعاني منها القارة ومعظم الدول النامية، ومن أمثلة الصراعات الداخلية سواء كانت داخل الدولة الواحدة أو بين الدول الافريقية مايحدث داخل الصومال وفي موريتانيا واثيوبيا وارتريا والسودان وتشاد، وداخل السودان وكذلك توجد خلافات بين القبائل في شرق ووسط القارة على مصادر المياه والكلأ، وكل هذه الصراعات تقفحجرة عثرة في طريق التنمية الاقتصادية بالقارة وتزيد من امكانية التدخلات الاجنبية بحجة حل هذه الصراعات، وامتصاص خيرات القارة والبقاء فيها بأشكال جديدة تختلف على شكل الاستعمار السابق، ولقد شهدت القارة في منتصف التسعينيات مايقارب من 50%من عدد الصراعات الموجودة في العالم وفي عامي 1998ـ 1999م وصل عدد الصراعات الداخلية في القارة الى 25صراعا كان من نتائجها وفاة مابين 2_4ملايين قتيل [1] وفي عام 1993نزح نحو 5.2 مليون لاجئ و13مليون مشرد في القارة الافريقية [2]

✓ **المعيقات الخارجية:**

وهي تتمثل بعدة أشكال منها التدخلات الخارجية والديون والشركات المتعددة الجنسية، وهروب رؤوس الأموال وهجرة الأدمغة، إضافة إلى تهميش القارة، وعندما مانتحدث عن التدخلات الخارجية لا نقصد بذلك الاحتلال العسكري السابق، بل أشكال الاحتلال الحديث

[1] هالة جمال ثابت، الفقر في افريقيا خصوصيته واستراتجيته واختزاله، مجلة قراءات افريقية، العدد 02،2005م، عن الموقع الالكتروني، .www.albaya.magazine.com.

[2] نفسه.

بواسطة الغزو الثقافي وبناءا عليه الغزو الاقتصادي للقارة، فالتدخلات الخارجية من الدول الكبرى والصناعية داخل الدول الإفريقية أو بينها، وإثارة المشاكل والنزاعات بحجة تطبيق الديمقراطية أو حقوق الانسان أو مكافحة الإرهاب، كل ذلك يزيد من الأحقاد بين الدول الإفريقية وبالتالي زيادة المشاكل والصراعات وتغذيتها، لتستطيع لهذه الدول الدخول الى القارة بأشكال مختلفة، والهدف الأساسي من دخولها هو توفير المواد الخام لصناعتها، وتهيئة السوق لسلعها ومنتجاتها،بقصد بقاء دول القارة مستهلكة لإنتاج الشركات الغربية، كما ان أطماع هذه الدول سواء كانت الأوربية او الأسيوية أو أمريكا تزداد مع ازدياد المشاكل والجهل والفقر في هذه القارة كما تكبيل هذه القارة بالديون وفوائدها المتزايدة من الأمور التي تزيد من اعاقة التنمية الاقتصادية والاجتماعية، ففي إفريقيا جنوب الصحراء ذات المديونية العالية تصل الديون حوالي 90%[1]

من الايرادات العامة لهذه الدول، ولقد تزايدت الديون الخارجية للدول الافريقية من حوالي 110 مليار دولار سنة 1980م الى 350مليار دولار عام 1998م، اضافة الى فوائد قيمتها وصلت الى 86مليار دولار، وهذا يمثل حوالي 65%من الناتج المحلي الاجمالي للقارة وخلال الفترة من 1982_1992بلغ متوسط نسبة الدين الى الناتج المحلي الاجمالي من 51% الى نحو 100% في دول حنوب الصحراء [2]

ومن ذلك فإن هه الديون تجهد عوائد الدخل القومي ومخصصات التنمية التي ينبغي أن توجه إلى الاهتمام بالتعليم والرعاية الصحية والبنية التحتية، مما يزيد من فقر شعوب القارة وتعثر خطط التنمية الأمر الذي يجعل من الصعوبة بمكان تدارك هذه الاشكالية والضغط على موارد القارة وبالتالي تتباعد المسافة بين الدول النامية والدول المتقدة، ممايزيد من عبودية شعوب القارة الافريقية للشعوب الأخرى، كما ان المساعدات التي تأتي للقارة عن طرق المنظمات الدولية

[1] نوازد عبد الرحمن الهتيي، المرجع السابق، ص 181.

[2] خالد المحجوبي، العوائق التنموية في القارة الافريقية تشخيص وعلاج، عن الموقع الالكتروني www.greenbookstudies.com،

تتبدد نتيجة لانتشار الفساد وسوء الادارات وضعف الرقابة في الكثير من الدول الافريقية وبالتالي فإن افريقيا برغم هذه المساعدات وتدفقاتها، الا انها لاتزال تضم البلدان الاقل نموا في العالم، اضافة الى انه مابين 250_300مليون مواطن افريقي تحت خط الفقر، كما ذكلات التقارير الدولية ان مايقارب من 61 مليون انسان افريقي مهدد بالموت جوعا في القرن الافريقي بالرغم من وجود الثروات المختلفة التي تزخر بها القارة [1]

كما ان هناك عائقيين يستنزفان قوة القارة الإفريقية ويزيدان من فقدانها الثقة بالنفس: يتمثلان في _ خروج رؤوس الأموال وكذلك هجرة الأدمغة الإفريقية إلى الخارج [2].

وهناك عقبات وعراقيل وصعوبات تحول دون إعمال الحق في التنمية سواء في المجتمع الدولي أو في الدول الأفريقية، إذ أنّ النظام الدولي ما زال يستخدم المؤسسات الدولية ويتحكم بالعلاقات الاقتصادية الدولية وترتيب المصالح والنفوذ والقوة، أي علاقات الهيمنة التي يعاني منها ملايين البشر وعدد كبير من الشعوب التي ترزح تحت نير التبعية والهيمنة. أما أهم معوقات التنمية على المستوى الأفريقي، فهي: الفقر والفساد الإداري، وغياب الحريات الديمقراطية، وتهميش دور المرأة، وانخفاض مستوى التعليم والثقافة بما في ذلك استمرار تفشي ظاهرة الأمية، وتجاهل حقوق الأقليات وعدم الاعتراف بها،إنّ أهم معوّق ستواجهه أفريقيا، خلال الأعوام القادمة، [3]

هو تأثير التغيّرات المناخية، خاصة ازدياد حدة موجات الجفاف والفيضانات والكوارث الطبيعية وشح المياه. ومن الأخطار أيضاً تزايد عدد اللاجئين في أفريقيا والذين يقدر عددهم بين سبعة وعشرة ملايين لاجئ، إضافة إلى أخطار المجاعات والكوارث الطبيعية والأوبئة. كما يتم الحديث في هذا السياق عن الديون الخارجية التي تثقل كاهل أفريقيا، والتي تصل خدمتها إلى ما يعادل 30 إلى 40 في المائة من إجمالي الدخل القومي،ويبدو أنّ صعوبة التفاوض

[1] نوزاد عبد الرحمن الهيتي، المرجع السابق، ص 182.

[2] مايكل هولمان، افريقيا..... معيقات التنمية في قارة ينخرها الفساد، عن الموقع الالكتروني،.www.Iraqcp.org.

[3] عبد الله تركماني، التنمية في افريقيا، المعوقات و'فاق المستقبل، العدد2818، 2009/11/2.

السياسي بين القوى المتصارعة، لإعادة توزيع الاستحقاقات الاجتماعية على وجه الخصوص والمكانة السياسية في المجتمع بوجه عام، يعتبر أحد أهم العوائق أمام التنمية في أفريقيا. وثمة إجماع في الرأي، من جانب عدد من الخبراء المعنيين بالشؤون الأفريقية، أنّ أبرز أسباب إهدار إفريقيا لفرص التقدم هي: غياب النظم الديمقراطية، وغياب نظم الحكم الرشيدة في العديد من الدول الأفريقية، مما أدى إلى تفشّي: الفساد، والقبلية، والنزاعات العرقية التي عبرت عن نفسها في سلسلة جهنمية من الصراعات العرقية والحروب الأهلية التي دمرت إمكانيات التقدم. وفي ظل هذه الأوضاع المتردية، لم تجد النخب الأفريقية سبيلا للحياة سوى بالهجرة إلى الخارج، وهو ما يعرف باسم هجرة العقول، ولا جدال في أنّ مثل هذه الهجرة تقلص عدد الكوادر المتعلمة القادرة على المشاركة الفعالة في تنمية الأقطار الأفريقية[1].

[1] عبد الله تركماني، التنمية في افريقيا، المعوقات و'فاق المستقبل، المرجع السابق.

المبحث الثاني: الحلول والسبل الممكنة لإنعاش التواصل الحضاري بين الجزائر وإفريقيا جنوب الصحراء

إن المشكلات التي تواجه التواصل الإفريقي الجزائري في حاجة إلى حلول سريعة، ولكن إيجاد هذه الحلول ليس بالأمر السهل الذي يمكن تطبيقه خاصة بعد الاستعمار الأوروبي الذي حاول طمس الدين والهوية ونشر الأمية في الأوساط الإفريقية والقضاء على اللغة المحلية.. وغيرها من أساليب الاستعمار الأوروبي الحديث.

ومن هنا نقترح بعض الحلول:

✓ **السياسية :**

– حركة عدم الانحياز ومنظمة الوحدة الافريقية وسعيها في ايجاد الحلول.

– حل النزاعات والصراعات الداخلية التي بين الدول الافريقية ومحاولة الاصلاح بينها ومايترتب عليه من اتحاد وتوحيد الجهود لحل مشاكل الإقليم المشترك.

– الاستعمار المشترك للجزائر وبلاد غرب السودان (مالي– السنغال..) وتعرف بالدول الناطقة باللغة الفرنسية وجهود هذه الدول في التخلص من الاستعمار الفرنسي.

المد التحرري وأثاره الايجابية على افريقيا خاصة بعد الحرب العالمية 2

– طرد كل اشكال الاستعمار المختلفة والتدخلات الخارجية وشركات متعددة الجنسيات والغزو الثقافي .

– تشكل منظمة الوحدة الإفريقية كحل لطرد الاستعمار بكل أشكاله سواء السياسية أو الاقتصادية.

– انشاء نظم حكم ديمقراطية عادلة للحد من الفساد والقبيلة والنزاعات العرقية والحروب الأهلية[1]

– فرض الرقابة والديمقراطية للحد من الفساد الاداري

[1] نوازد عبد الرحمان الهتيي، ص 190

– تشكيل تجمعات وجمعيات للتخلص من التبعية مثل المنظمات الحكومية وغير الحكومية [1].

– ظهور الأنظمة السياسية الجديدة ذات الطابع الاسلامي مثل الشورى

– النظام القبلي السائد في الحواضر الافريقية واستمداد النماذج الجيدة بالمدن الأخرى

– اكتشاف المدن الجديدة وبناءها في مفترق الطرق مثل رحلة عبد الكريم المغيلي الى توات.

✓ **الاقتصادية :**

– اكتشاف الأسواق الجديدة

– اكتشاف السلع المتنوعة وتجارة المقايضة

– اكتشاف طرق جديدة مختصرة على الطرق القديمة

– اكتشاف وسائل جديدة للنقل مثل النقل النهري والبحري

– اثر الاستعمار في تطور بعض الشعوب خاصة المكننة في وسائل النقل

– اتباع أسلوب الزراعة المنتظمة والرعي للتخفيض منسبة التصحر وتحسين من نوعية جودة التربة والقضاء على التلوث

– انشاء الطرق والجسور والكباري والسدود

– تعقيل عمليات الصيد خاصة في المناطق الساحلية

– انشاء شركات لتأميم المواد الخام وخاصة مما تتعرض اليه من نهب واستغلال

– التخلص من الديون التي تعد عائق في وجة التنمية الاقتصادية والاجتماعية للقارة [2].

– كسب الأفارقة خبرة حواضر الجزائر من خلال التبادلات التجارية والمقايضة خاصة السلع [3].

---

[1] هاجر قرح، الاستعمار الفرنسي في غرب افرقيا وآثاره السياسية والاجتماعية خلال القرنين (19 – 20)، مذكرة لنيل شهادة الماستر تخصص تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر، جتمعة الشهيد حمة لخضر الوادي، 2016/2015، ص ص 133 134.

[2] [2] مايكل هولمان، افريقيا ..... معيقات التنمية في قارة ينخرها الفساد ، عن الموقع الالكتروني ،.www.lraqcp.org.

[3] الهادي مبروك الدالي، التاريخ السياسي والاقتصادي لافريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر الى بداية القرن الثامن عشر، ط1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1999، ص 319.

– الاتحاد والتكامل الاقتصادي الإفريقي الجزائري واعتماد برامج التعاون الزراعي والصناعي وتوسيع قاعدة الإنتاج على مستوى إقليم غرب إفريقيا.

– تلبية الحاجيات الإفريقية خاصة في إعادة هيكلة البنى التحتية للمنطقة بعدما خلفه الاستعمار من خراب ودمار للإقليم [1].

✓ **الاجتماعية :**

– اكتشاف قبائل وأمم أخرى وانصهارها مع بعضها البعض

– تخالط الاجناس وأثر الاسلام في ذلك

– اثر الحروب واذكاء نار الفتنة بين القبائل خاصة على العهد الاستعماري في هذه المنطقة وايجاد الحلول لها بواسطة الواسطات والجمعيات [2]

– التحلي بروح التضامن وتشجيع المبادرات السياسية الهادفة الى رص الصفوف باستحداث هيئات سياسية افريقية وهياكل قادرة على حل الأزمات ومواكبة العولمة البغيضة [3].

– تفعيل برامج قانونية غرض تنظيم النسل والسيطرة على الانفجار الديمغرافي الحاصل في القارة

– انشاء مراكز صحية والرعاية والخدمات الخاصة بالاطفال والأمهات [4]

– الاهتمام بدور المراءة والاعتراف بالاقليات واعطاءهم كافة حقوقهم .

– الاكثار من الخدمات التعليمية للتقليل من نسبة الجهل والامية خاصة في معظم دول جنوب الصحراء[5]

---

[1] عصموني خليفة، التكامل بين المنظمات الفرعية الاقليمية ودورها في تحقيق الوحدة الافريقية، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه تخصص علوم سياسة، (غير منشورة)، جامعة أبي بكر بالقايد تلمسان، 2015/2014، ص 256.

[2] [2] خالد المحجوبي، العوائق التنموية في القارة الافريقية تشخيص وعلاج ، عن الموقع الالكتروني www.greenbookstudies.com،

[3] أمين أسير، افريقيا سياسيا واقتصاديا واجتماعيا ، ط1 ، دار دمشق ، بيروت ، 1985 ، ص 212

[4] عبد القادر المحيشي وآخرون ، جغرافية القارة الافريقية وجزرها، ص 101

[5] عبد الله تركماني، التنمية في افرقيا

✓ **الثقافية :**

يعد الاستقلال الثقافي أحد الطرق المهمة لتحقيق التواؤم العرقي في المجتمعات التعددية ، على أنه قد لايكون متوافقا مع الحقوق الفردية ، كما هي حالة الممارسات الثقافية التي توفق بين حقوق الطفل والمرأة ، كما هي محددة طبقا لقيم حقوق الانسان ومعاييرها على الصعيد الدولي .[1]

– تبادل الأفكار وانصهار المجتمعات الإفريقية في حواضر الجزائر من خلال دخول الأفارقة إلى الإسلام، خاصة الذين كانوا سابقا مع القوافل في القرن 16 م فاندمجوا وانصهروا في معظم حواضر الجزائر فتشكل بذلك أصلهم من الزنوج.

– النسيج العمراني في الحواضر الإفريقية وفق النمط المغاربي مثل المساجد والزوايا والقصور[2]

– رحلات الحج مثل: رحلة السلطان منسى موسى وماأكتسبته هذه الرحلات من بعثات علمية

– تعلم اللغة العربية بالنسبة للأفارقة من خلال إرسال العلماء والفقهاء، مثل رحلة عبد الكريم المغيلي من توات إلى بلاد السودان [3].

– انشاء مراكز التنمية البشرية لاسيما هذا العلم أثبت جدارته خاصة في انقاض الشباب واستثمار قدراتهم وطاقاتهم الكامنة وصنع المعجزات .

[1] حمدي عبد الرحمان حسن ، الصراعات العرقية والسياسات في افريقيا الاسباب والانماط وافاق المستقبل ، مجلة قراءات افريقية ، العدد 01 ، اكتوبر 2004 ص 51

[2] اسماعيل العربي، الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، زيغود يوسف، الجزائر، 1983م، ص 311

[3] أبو بكر اسماعيل ميقا، الحركة العلمية والثقافية والاصلاحية في السودان الغربي، (ط 1)، مكتبة التوبة، الرياض، 1997م، ص ص 67 – 74.

خـاتمة

خاتمة:

يمكن لنا من خلال هذه الإطلالة المتواضعة على جسور التواصل الحضاري بين الجزائر وإفريقيا جنوب الصحراء ما بين القرنيين 16و20م أن نستخلص بعض الاستنتاجات التالية:

أن العامل المهم الذي مهد للترابط والتواصل الحضاري بين الحواضر الجزائرية وإفريقيا جنوب الصحراء هو المجال الجغرافي فنلاحظ التقارب بين المنطقتين، هذا الاحتكاك ساهم في مد جسور التواصل بل في تمتينها، ولقد أثمرت عملية الترابط والتواصل الحضاري مسالك وطرق رابطة بين إفريقيا جنوب الصحراء والحواضر الجزائرية خاصة بين الخط الرابط بين توات وتمبكتو _وأهم المسالك التي بقيت مستعملة من طرف القوافل إلى نهاية القرن 19 م مسلكان هما:

_ مسلك يربط أقبلى بتمبكتو والثاني فيربط مجموعتي قصور بعين صالح وأقبلي بالمراكز التجارية في الضفة الشرقية لنهر النيجر ولقد ارتبطت الحواضر الجزائرية بإفريقيا جنوب الصحراء عن طريق التجارة التي عرفت بالتجارة الصامتة ، وقد لعبت القوافل التجارية دورا هاما في جلب بضائع غريبة ونادرة بأسواق الجزائر ومن بينها الذهب والعاج والعبيد ، وكان للزوايا كذلك دورا هام في تصحيح عقيدة المجتمع السوداني ومن بين هذه الزوايا والطرق الصوفية ، الطريقة القادرية التي انتقلت الى وسط افريقيا في القرن الخامس عشر إلى جانب الطرق الصوفية كان للزوايا دور ممائل وقد وصلت هذه الزوايا إلى السودان الغربي عن طريق علماء توات الذين اشتهروا بكثرة ترحالهم وكثرة بنائهم للزوايا متعددة الخدمات ولقد كان لعلماء وفقهاء الجزائر دورا هام في إزدهار الحضارة العربية الإسلامية بالسودان الغربي من خلال بناء المؤسسات الثقافية والدينية من مساجد ومدارس ومعاهد عليا من بين هؤلاء العلماء والفقهاء علماء توات الفقيه الكبير محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني الذي كان ذلك الأثر الفكري والديني في السودان الغربي ومن المؤثرات الحضارية أن كان للفن المعماري وجود في أغلب مدن السودان الغربي خاصة بتنمكتو وجنى وغاو ، فكانت هندسة منازلها وقصورها ومساجدها

وأسواقها تشبه إلى حد كبير هندسة الحواضر الجزائرية، كل هذه التأثيرات الحضارية دعمها انتشار الإسلام والثقافة العربية وترعرعت في ظل ظهور الإمارت والممالك ونالت الحواضر الإفريقية القدر الأكبر من زيارة العلماء، ولكن كل هذا الترابط والإزدهار الكبير بين الجزائر وجيرانها الأفارقة شهد تراجع نتيجة درء الحروب والنكبات و وقلة الإستقرار والأمن داخل القارة من طرف القوى الاستعمارية التي أوضحت حقدها على القارة في مؤتمر برلين ولكن بقدر ماعاني الأفارقة بقدر ماكانت انتفاضاتهم قوية وعنيفة وأدركو أثناء معاركهم مع الإستعمار أن سلاح التفرقة هو أقوى سلاح يطبقه المستعمر وان الوحدة هي أقوى سلاح تتحطم عليه قوة المستعمر وأطماعه ، فتوالت حركات التحرر التي كان هدفها الأول الإستقلال عن الإستعمار الغربي لإعادة الكيان السياسي والإقتصادي وإعادة الكيان الذاتي لإفريقيا .

الـــملاحق

الملاحق

الملحق رقم 01: الموقع الفلكي لقارة افريقيا[1]

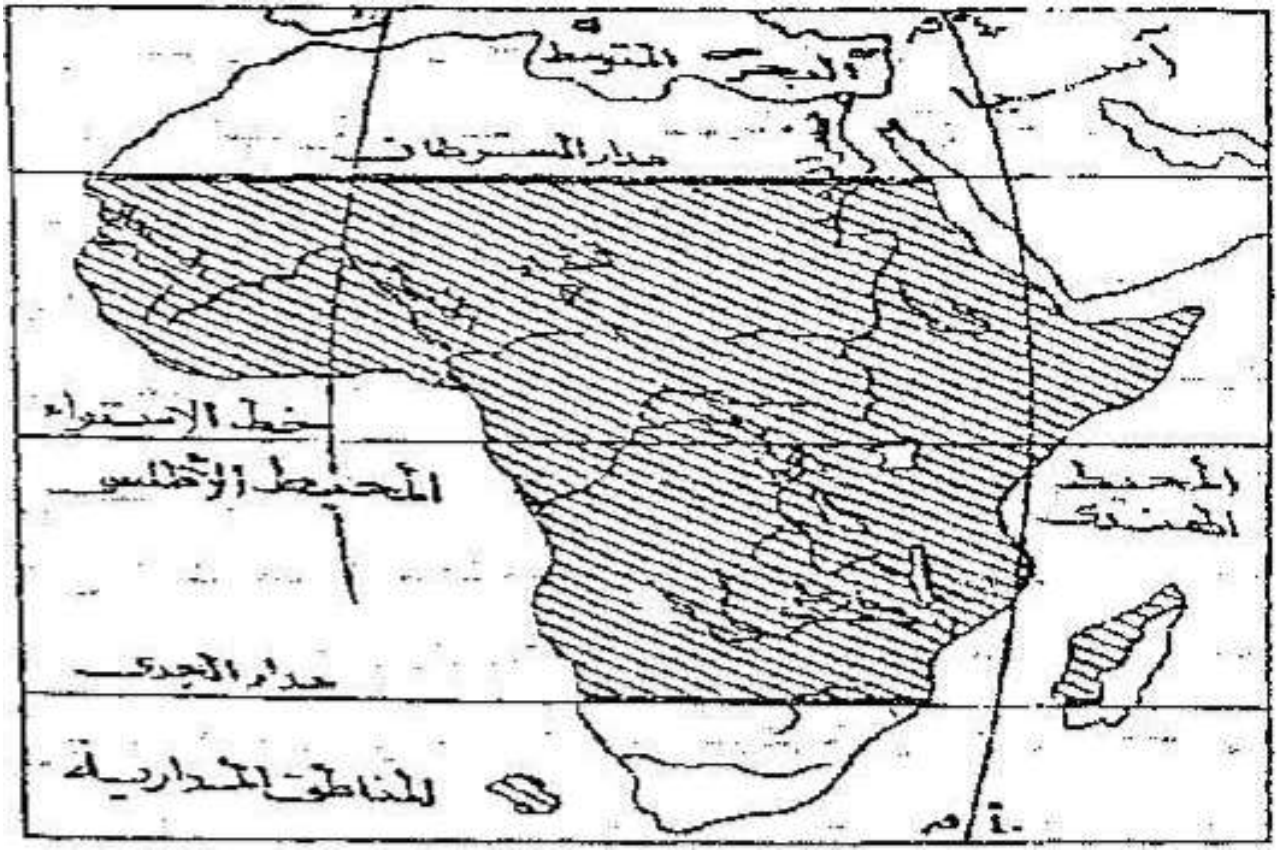

[1] محمد مرسي الحريري : جغرافية القارة الافريقية، دار المعرفة الجامعية (د.ط) الاسكندرية 1994 ص8

الملحق رقم2: يمثل دول غرب افريقيا[1]

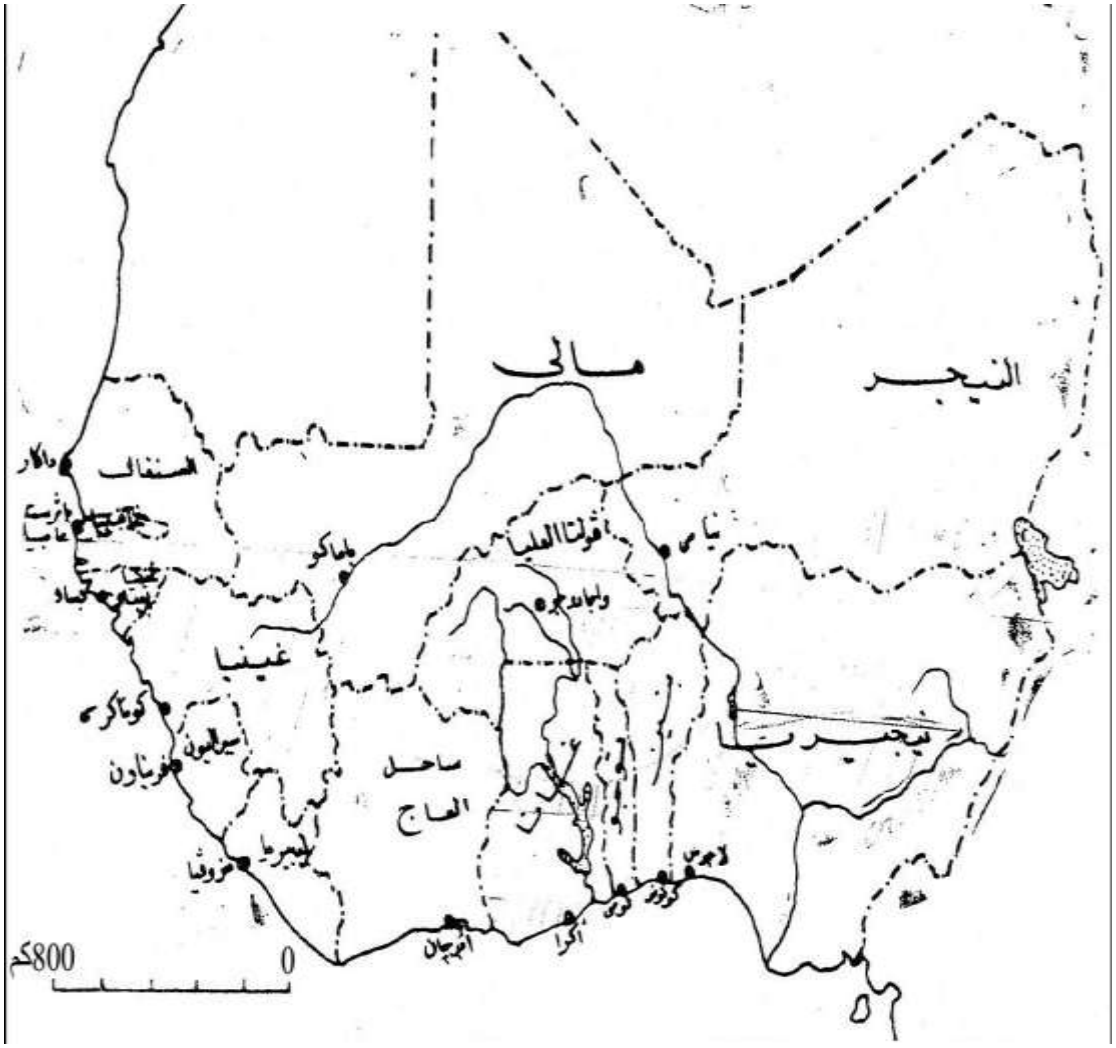

[1] فتحي أبو عيانة جغرافيا افريقيا ص219.

الملحق رقم 3: خريطة توضح الموقع الجغرافي لمدينة تمبكتو على حافة نهر النيجر [1]

[1] الموسوعة الحرة (ويكيبيديا)

الملحق رقم 04: مملكة سنغاي خلال القرن السادس عشر ميلادي.[1]

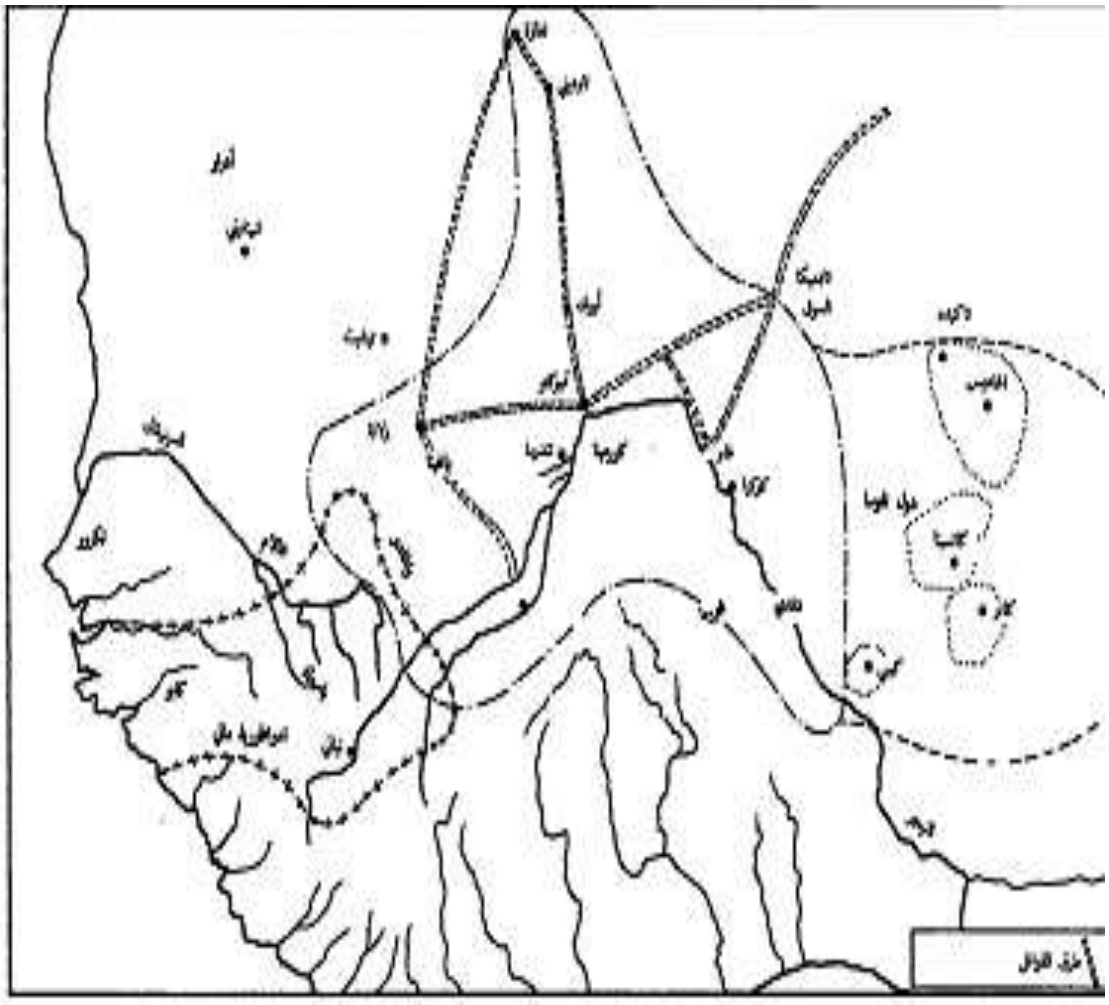

[1] نياني ج.ت وآخرون : المرجع السابق، ص205

الملحق رقم 05: وارجلان والمراكز المحيطة بها.[1]

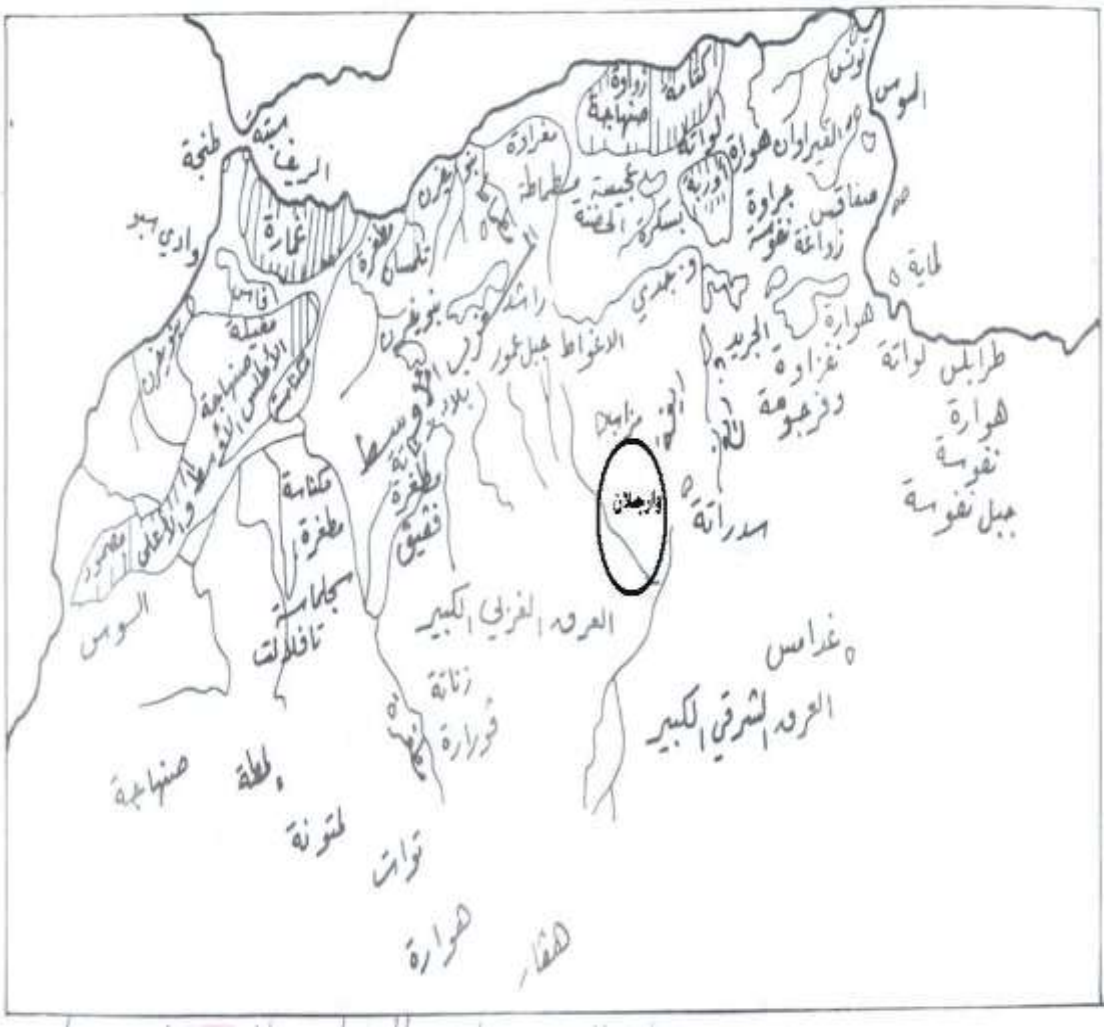

[1] محمد بن عميرة : دور الزناتة في الحركة المذهبية في المغرب الاسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1995.

الملحق رقم06: خريطة توضح المحاور التجارية الهامة الرابطة بين تمبكتو ومختلف الأقطار.[1]

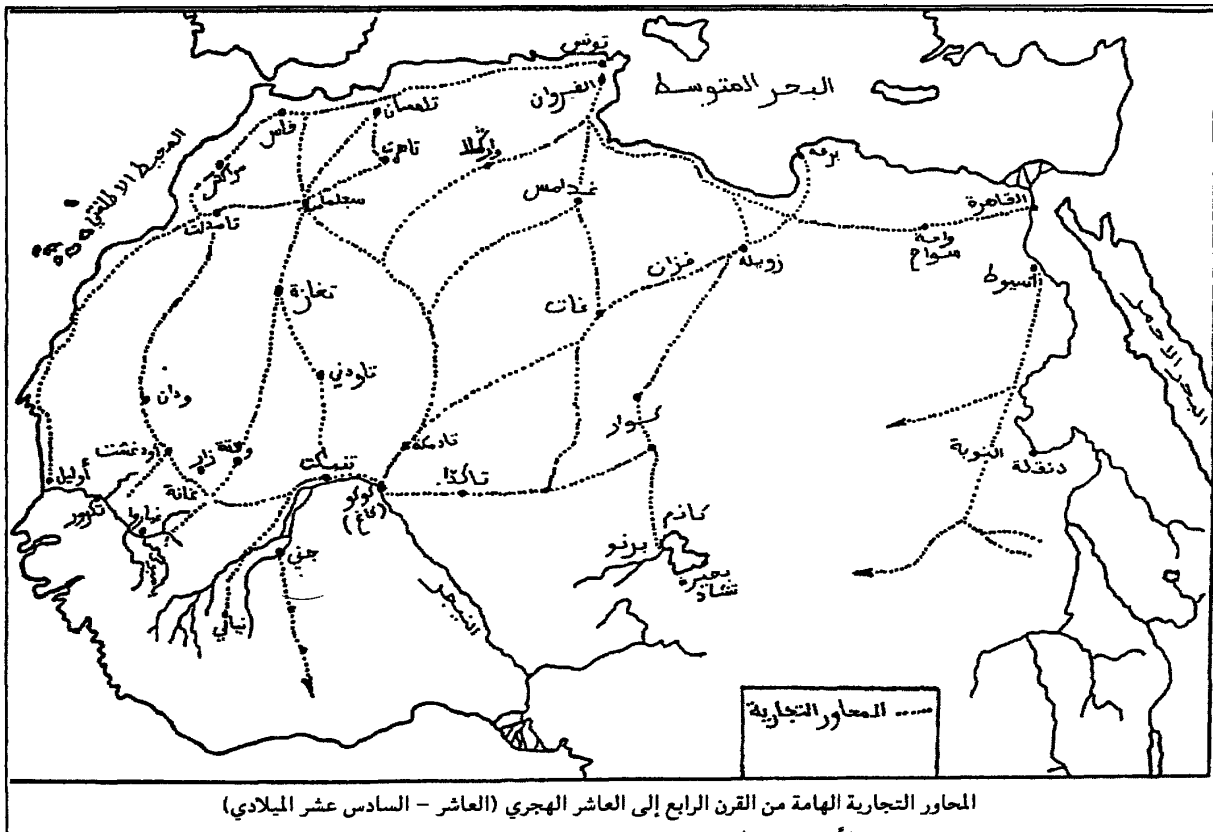

المحاور التجارية الهامة من القرن الرابع إلى العاشر الهجري (العاشر – السادس عشر الميلادي)

[1] أحمد شكري : الاسلام والمجتمع السوداني (امبراطورية مالي 1230–1430م) المجتمع الثقافي، أبو ظبي

الملحق رقم 07: الطرق التجارية الابرة للصحراء الكبرى[1].

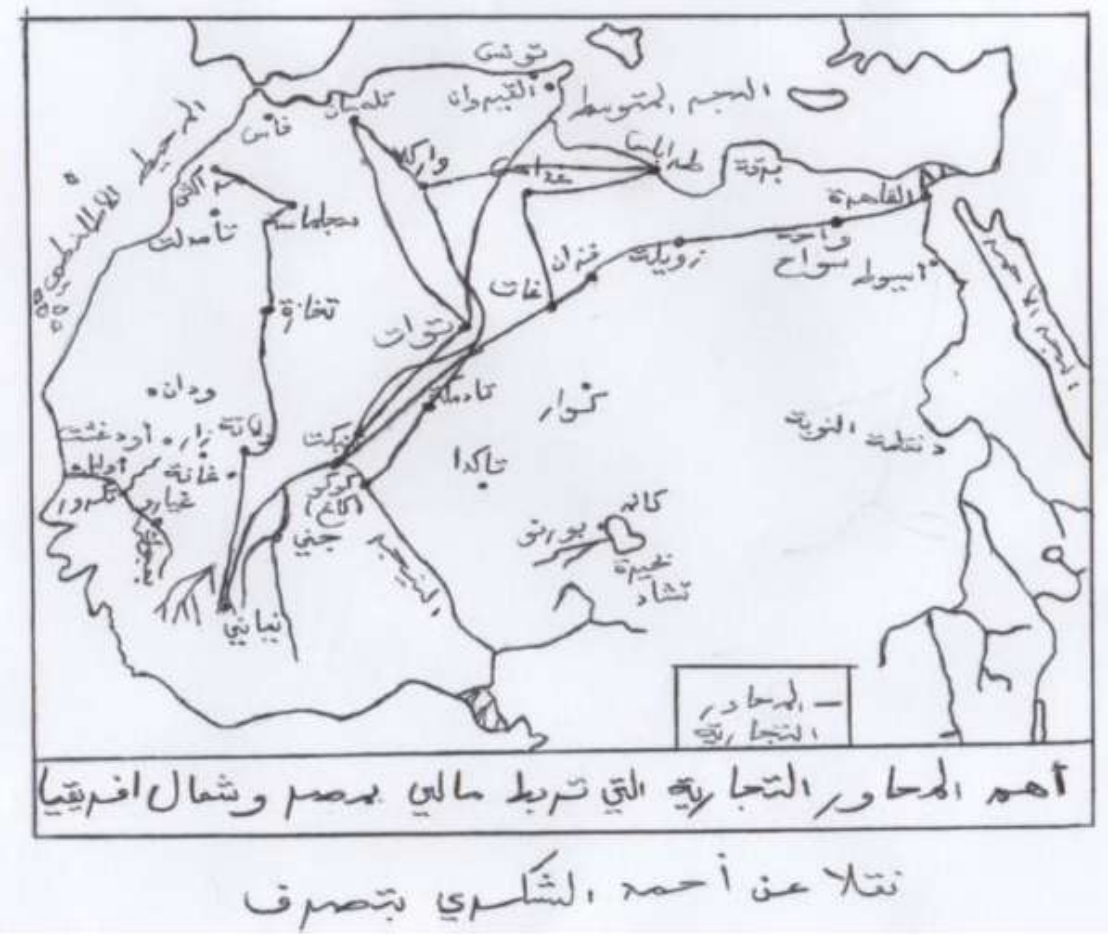

[1] أحمد شكري : المرجع السابق ص 61

الملحق رقم 08: صورة الجامع الكبير في تمبكتو[1]

[1] الموسوعة الحرة ويكيبيديا

الملحق رقم 09: مسجد مدينة غاو [1]

[1] موسوعة ويكيبيديا الحرة

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

أولا: المصادر

*الحديث النبوي الشريف

1. ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، دار بيروت للطباعة والنشر، لبنان،1980م.
2. ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، المطبعة الأزهرية، مصر،ط 1، 1322 هـ، ج 2،
3. ابن خلدون عبد الرحمن: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج 7، دار الفكر، لبنان، 2000.
4. ابن خلدون يحي: بغية الرواد، ج 1، تحقيق عبد الحميد حاجيات، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.
5. الادريسي الشريف، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافية الدينية للنشر، مصر، مج 1، د س ط
6. الإدريسي عبد الله حمادى: الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني وتصديه للخطر اليهودي بصحراء توات والصقع السوداني، ج2، وزارة الثقافة، د، ب، ن، 2011، ج1، ط1.
7. الأرواني بن بابير أحمد: السعادة الابدية في التعريف بعلماء تمبكتو البهية، مخطوط، المكتبة الزيدانية، نيامي، النيجر،
8. الأيوبي صلاح الدين: الإسلام والتمييز العنصري، ط2، سوريا، دار الأندلس،1981 .
9. البكري أبو عبيد الله ، المغرب في تاريخ افريقيا والمغرب – جزء عن الممالك والمسالك، دار الكتاب الاسلامي(د ت) القاهرة، (د ط).

10. ابن حوقل النصبي أبي القاسم، صورة الأرض، مكتبة الحياة، 1992 م، بيروت، (د ط).
11. ابن حوقل النصبي محمد أبو القاسم، صورة الأرض، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، (ب ط)، بيروت، 1992.
12. ابن عبد المنعم الحميري محمد، الروض المعطار في خير الأقطار، تح: احسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ط1،
13. ابن عبدالله السعدي عبد الرحمان، تاريخ السودان، طبع هوداس، باررييسي،1981م.
14. ابن علي القلقشندي أبو العباس أحمد، صبح الأعشى في صناعة الانشاء، المؤسسة المصرية العامة، (د ت)، القاهرة، (د ط)، ج 05.
15. التلمساني بن مريم محمد: البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، منشورات السهل، الجزائر، 2009، د ط،ص 272، محمد بن محمد مخلوف: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، 1349هـ، ج1، (دط).
16. التنبكتي أحمد بابا: نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ج2، نق، عبد الحميد عبد الله، منشورات كلية الدعوة الاسلامية، طرابلس، 1398هـ /1989م،ج2، ط1،
17. التونسي بن عمر محمد، تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان، تح: خليل محمد عساكر، مصطفى محمد مسعد، الدار المصرية، 1965 م، القاهرة، (د ط).
18. الجزنائي علي، جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تح: عبد الوهاب ابن منصور، المطبعة الملكية، ط2، الرباط، 1411/ 1991 م.
19. جوليان شارل أندري، تاريخ افريقيا الشمالية تونس، الجزائر، المغرب الأقصى من البدء الى الفتح الاسلامي 647 م، (د ط)، ج1، تع: محمد مزالي، البشير بن سلامة، مؤسسة تاوالت الثقافية، دب، 2001م.
20. الحموي ياقوت: معجم البلدان . طبعة الجزائر، 1857م، ج7.
21. الحميري ابن عبد المنعم: الروض المعطار في خبر الأقطار، ط1، مطابع هيد لبرع، بيروت، 1975.

22. الخليفة محمد: اللطائف والتلائد في كرامات الشيخين الوالدة والوالد، مخطوط خزانة الشيخ سيدي عبد القادر المغيلي، أدرار.

23. السعدي عبد الرحمان ، تاريخ السودان، مطبعة هوداس، (د ط)، باريس، 1981.

24. السعدي عبد الرحمان: تاريخ السودان، مكتبة هوداس، باريس،1964.

25. السنقيطي الجكي محمد الأمين، رحلة الحج الى بيت الله الحرام، دار الشروق، جدة، 1983م.

26. شاكر محمود، السودان، ط2، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1981 م

27. الشطشاط علي حسين: الهجرات العربية الى شرق إفريقيا ودورها في نشر الإسلام والعروبة.

28. عبد الرحمان بن عمر التينيلاني:فهرست التنلاني (تراجم بعض علماء ومشايخ، الشيخ عبد الرحمان بن عمر التنلاني)، خرانة تنلان، ادرار.

29. ابن فضل الله شهاب الدين العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، مخطوط، دار الكتب المصرية رقم (2567)،تاريخ ورقة 494، من أحمد إلياس الحسين، مرجع سابق.

30. فيج. جي. دي: تاريخ غرب إفريقيا: تر، يوسف نصر، دار المعارف، القاهرة، 1982، ط1.

31. القشتالي عبد العزيز: مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفاء، تحقيق عبد الكريم كريم، مطبوعات وزارة الأوقاف، المغرب، 1972.

32. كراتشكوفسكس . أ، ي . تاريخ الأدب الجغرافي . ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، القاهرة 1941م.

33. كعت محمود، تاريخ الفتاش في أخبار المدن والجيوش وأكابر الناس، طبعة انجي، 1912م

34. كعت محمود، تاريخ الفتاش في ذكر الملوك وأخبار الجيوش وأكابر الناس، تح، تق، حماة الله ولد سالم،(دط)، دج، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2012 م.

35. لوثروب، ستودارد: حاضر العالم الإسلامي، دار الفكر،1971م، ج2.

36. مارتي بول: كنته الشرقيون، تعريب محمد محمود ودادي، مطبعة زيد بن ثابت دمشق، سوريا،1985.

37. مارمول كاربخال ، افريقيا، تر: محمد حجي وآخرون، مكتبة المعارف، 1984 م، الرباط، (د ط)، ج 01.

38. مارمول كاربخال: افريقيا، تر: محمد حجي وآخرون، دار المعارف للنشر والتوزيع، (دط)، ج02، الرباط، 1984م.

39. محمد البرتلي ابن عبد الله الطالب: الفتح الشكور في معرفة علماء التكرور، تحقيق الكتاني ومحمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981.

40. محمد البرتلي ابن عبدالله الطالب: الفتح الشكور في معرفة علماء التكرور، تحقيق الكتاني ومحمد حجي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1981.

41. المغيلي محمد بن عبد الكريم: مصباح الأرواح في أصول الفلاح، تج: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 2007، (دط).

42. هنري لوث: الرسوم الصخرية في الصحراء الكبرى . في كتاب الصحراء الكبرى . مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، عام 1979م.

43. الوزان الفاسي حسن بن محمد ، وصف افريقيا، تر:محمد حجي، محمد الأخضر، ط2، دار الغرب الاسلامي، بيروت،ج1993،1 م

44. ونشان هوبر: الديانات في افريقيا السوداء.

45. اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي بيروت . 1960.

ثانيا:المراجع

1. ابراهيم عبد الله عبد الرزاق، الجمل شوقي عطا الله، دراسات في تاريخ غرب افريقيا الحديث والمعاصر، 1998 م، القاهرة (دط).
2. أبو العينين محمود: الإتحاد الإفريقي ومستقبل القارة الإفريقية، القاهرة، 2001.
3. أبو عيانة فتحي محمد، جغرافية افريقيا دراسة اقليمية للقارة مع التطبيق على دول جنوب الصحراء، دار المعرفة الجامعية، 2002م، الاسكندرية.
4. أبي الربيع، مخطوط بدار الكتب المصري رقم 9113.
5. اجرثو مارسيل، الوطن الجزائري (دط)، د ج، تر: عبد الله لولو، دن، دب، دس.
6. أحمد رياض محمد، عبد علي الخفاف، جغرافية القارات (آسيا، أوروبا، افريقيا، أمريكا الشمالية، أمريكا الجنوبية، أستراليا، نيوزيلندا، جزر المحيط الهادي)، ط1، دار الكندي، دار طارق، عمان، 1998.
7. أحمد سعيد عمر: دور حركات التجديد الإسلامي في إفريقيا، مجلة بحوث نصف شهرية، العدد السادس، فبراير 1990، الخرطوم المركز الإسلامي الإفريقي.
8. أحمد محمد اسماعيل أحمد الجمال، تاريخ مدينة أودغست ودورها في حركة التجارة بين المغرب وافريقيا جنوب الصحراء (السودان الغربي)، مطبعة الرسالة 2008 م، القاهرة، (دط).
9. ارنولود: الدعوة الى الاسلام (طبعة لاهور الإنجليزية).
10. الألوري عبد الله: الإمام المغيلي وأثره في الحكومة الإسلامية في نيجيريا، القاهرة،(دن).
11. الباز السيد احمد: الحياة العلمية والثقافية في بلاد السودان الغربي في عهد دولتي مالي وصنغي، رسالة ماجستير، معهد الدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة،1994.

12. بن خروف: عمر مقاومة الجنوب الغربي الجزائري للتدخل السعدي خلال القرن 10هـ/ 16م، حولية المؤرخ، يصدرها اتحاد المؤرخين الجزائريين، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، العدد الأول، الجزائر، 2002 م.

13. بن عمر التينيلاني عبد الرحمان: فهرست التنيلاني (تراجم بعض علماء ومشايخ الشيخ عبد الرحمان بن عمر التينيلاني) خزانة تنلان، أدرار.

14. بن ميمون التمنطيطي عبد المهيمن بن أبي محمد بن أحمد (ت 1008هـ/1600م).

15. بوعزيز يحي: أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ج2، دار البصائر، 2009، ج2.

16. بوعزيز يحي، تاريخ افريقيا الغربية الاسلامية من مطلع القرن 16 الى مطلع القرن 20، دار هومة، الجزائر، 2001م.

17. جعفري أحمد بالصافي: محمد بن اب المزمري 1160هـ حياته وأثاره، (ط1)، دار الكتاب العربي، القبة الجزائر، 2004م.

18. جعفري مبارك بن الصافي، العلاقات الثقافية بين توات والسودان الغربي خلال القرن 12 هجري، دار السبيل، الجزائر، ط1، 1430 هـ / 2009 م.

19. جعفري مبارك: الحياة العلمية في اقليم توات وانعكاساتها جنوب الصحراء.

20. جمعة محمد كمال: انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب خارج الجزيرة العربية، دارة الملك عبد العزيز، الرياض 1981م.

21. الجمل عطا الله شوقي: تاريخ المسلمين في إفريقيا ومشكلاتهم، 1996.

22. الجندي أنور: العالم الاسلامي والاستعمار السياسي والاجتماعي والثقافي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، عام 1979م.

23. الجنيدي عبد الحميد: مدينة تنبكت، تمبكتو، نشأة المدينة وتطورها، "دورية كان التاريخية"، ع 16، دار ناشري يونيو 2012م، الكويت.

24. جودة حسنين جودة: جغرافية إفريقيا الإقليمية، دار النهضة العربية، بيروت، 1981م.

25. الحاج أحمد الصديق: التاريخ الثقافي لإقليم توات، ط1، منشورات مديرية الثقافة لولاية أدرار،2003.

26. حاطوم نور الدين وآخرون، المدخل إلى التاريخ، المطبعة العصرية، 1964م.

27. حسن ابراهيم حسن: انتشار الاسلام في القارة الافريقية، مكتبة النهضة المصرية، 1963 م القاهرة، (ط2).

28. حسن أحمد إلياس: طرق التجارة الجزء الشرقي من الصحراء الكبرى . كتاب الصحراء الكبرى بدون تاريخ.

29. حمو أعزام ابراهيم صالح بابا: غصن البان في تاريخ وارجلان، تح: ابراهيم بكير بحاز وسليمان بن محمد بومعقل، العالمية، غرداية، ط1، 2013.

30. حميدي جعفر عباس، تاريخ افريقيا الحديث والمعاصر، ط1، دج، مطبعة هوداس، باريس 1981 م.

31. حونية محمد الصالح، توات والأزواد، دار الكتاب العربي، 2007م، الجزائر، (دط)، ج01.

32. الدالي الهادي المبروك : الإسلام و اللغة العربية في مواجهة التحديات الإستعمارية بغرب أفريقيا، بيروت، دار صنين، 1996.

33. الدالي الهادي المبروك: التاريخ السياسي والاقتصادي لافريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر الى بداية القرن الثامن عشر، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، (ط1)، ربيع الثاني 1420 هـ أغسطس 1999 م.

34. دندش عبد اللطيف عصمت، دور المرابطين في نشر الاسلام في غرب افريقيا (430 – 515 هـ / 1038 – 1121م)، دار الغرب الاسلامي، 1988 م، بيروت، ط1.

35. دياب أحمد ابراهيم وآخرون: تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن 19 م، المنظمة العربية والثقافية والعلوم، معهد البحوث والدراسات العربية، بغداد، 1984 م.

36. رياض محمد وعبد الرسول كوثر، دراسة لمقومات قارة افريقيا، دار النهضة العربية، (دت)، بيروت، (دط).

37. زبادية عبد القادر: دراسة عن إفريقيا جنوي الصحراء في مآثر ومؤلفات العرب والمسلمين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د س، ن، (دط).

38. زبادية عبد القادر، مملكة سنغاي، على عهد الأسقيين (1493 – 1591 م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر (دط).

39. زبايدية عبد القادر، مملكة سنغاي، ط1، م و، ك، الجزائر،1972م.

40. زكي عبد الرحمن، التنقيب عن الآثار الاسلامية في غرب افريقيا، مجلة كلية الآثار جامعة القاهرة، العدد 01، مصر 1975.

41. زنجهام: الإسلام في شرق إفريقيا وكتابات حسن مكي عن القرن الإفريقي.

42. الزيادي محمد فتح الله: إنتشار الإسلام وموفق المستشرقين منه، دمشق، دار قتيبة 1990.

43. سترة خير الدين: الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني (المصلح الثائر وفكره الإصلاحي في توات والسودان الغربي)، الجزء الأول، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، دار ابن الطفيل، الجزائر،2011.

44. سعد الله أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1999، ج1.

45. سعدالله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر الى الرابع عشر الهجري (16–20م) الجزء الأول، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر 1981.

46. السيد محمود، تاريخ افريقيا الحديث والمعاصر، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 2006 م.

47. السير وأخبار الأئمة، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم 9020.

48. سيسوكو سنيكي مودي، الصنغاي من القرن الثاني عشر الى السادس عشر، ج 4، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، 1988.

49. شاكر محمود، بيلتو نافذ أيوب: مواطن الشعوب الاسلامية في افريقية . مالي . ، المكتب الاسلامي، بيروت، ط2، 1986.

50. الشامي صلاح الدين: التنمية الجغرافية دعامة التخطيط، منشأة المعارف، الاسكندرية، 2000م، (ط2).

51. شريري محمد موسى، جغرافية القارة الافريقية، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1994م.

52. ضيف شوقي، عصر الدول والامارات الجزائر، المغرب الأقصى، موريتانيا، السودان، (د ط)، دار المعارف، القاهرة.

53. عبد الظاهر حسن عيسى، الدعوة الإسلامية في غرب إفريقيا وقيام دولة الفولاني في مطلع القرن 12 الهجري، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود، 1981.

54. عبد القادر ياسر: التغلغل الصهيوني في افريقيا، دار جامعة إفريقيا العالمية للطباعة والنشر، الخرطوم، عام، 1998م.

55. عبد اللطيف على محمد ،تمبكتو أسطورة التاريخ، (ط1)، ليبيا،جمعية الدعوة الإسلامية العالمية،2001.

56. عثمان أحمد عبد الرحمن: المؤثرات الإسلامية والمسيحية على الثقافة السواحيلية، دار جامعة إفريقيا العالمية للطباعة والنشر، الخرطوم عام 2001م.

57. العربي اسماعيل: حاضر الدول الإسلامية في القارة الإفريقية، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984.

58. العربي اسماعيل، الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، زيغود يوسف، الجزائر، 1983م.

59. العقاد أبو عبد الغني، الوجيز في اقليمية القارة الافريقية، دار المريخ، الرياض، 1982م.

60. علي الذهني إلهام محمد: جهاد الممالك الإسلامية في غرب افريقيا ضد الإستعمار الفرنسي 1850 م . 1914 م، دار المريخ، الرياض، 1988، (دط).

61. علي باري محمد فاضل، سعيد ابراهيم كريدية، المسلمون في غرب افريقيا، تاريخ وحضارة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007 م.

62. عوض محمد هاشم: مراحل وأساليب انتشار الاسلام والمسيحية في افريقيا . مجلة دراسات افريقية . العدد 15. دار جامعة افريقيا العالمية للطباعة والنشر، الخرطوم، 1994.

63. غانمي عمرو سعيد: جامعة واغادووغو للغات المتعددة بوركينافاسو، الطريقة التيجانية ودورها في نشر الإسلام في غرب إفريقيا.

64. فرج محمود فرج: اقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين دراسة لأوضاع الاقليم السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية مع تحقيق كتاب القول البسيط في أخبار تمنطيط (لمحمد بن بابا حيدة)، اشراف، أبوالقاسم سعدالله، ديوان المطبوعات الجامعية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1977.

65. فرج محمود فرج: إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، د، م، ج، الجزائر، 1984م.

66. الفيتوري عطية مخزوم، دراسات في تاريخ شرق افريقيا وجنوب الصحراء (مرحلة انتشار الاسلام)، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ط1، 1998 م.

67. قاسم عون الشريف: الإسلام والبعث القومي.

68. قداح نعيم: افريقيا الغربية في ظل الإسلام، كوناكري، 1960.

69. كاني أحمد محمد: الجهاد الإسلامي في غرب إفريقيا، مطبعة الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، 1987.

70. كروم عبد الله، الرحلات باقليم توات، دار النشر، (دط)، حلب.

71. كريدرغ علي محمد، التعليم في أفريقيا أداة للإستعمار ووسيلة للتحرر، أعمال مؤتمر التعليم، سبها، مركز البحوث والدراسات الإفريقية، 1967.

72. لعروق محمد الهادي، أطلس الجزائر العالم، (دط)، دار الهدى.

73. مارتي بول: كتنة الشرقيون: ترجمة محمد محمود ودادي، مطبعة زيد ابن ثابت، دمشق، 1985.

74. محمد حوتية: الطرق الصوفية بإقليم توات وغرب افريقيا خلال القرنيين 18-19

75. محمد علي ذهني الهام: جهاد الممالك الإسلامية في غرب افريقيا ضد الإستعمار الفرنسي، 1852-1914.

76. محمد موسى دكتور فيصل، مراجعة دكتور / ميلاد أ، المقرحي، موجز تاريخ إفريقيا، الجامعة المفتوحة، جامعة قاريونس، بنغازي، منشورات، 1997.

77. محمود أحمد حسن: الإسلام والثقافة العربية في افريقيا، (ط1)، دار المعارف، مصر (دت).

78. المحيشي عبد القادر وآخرون: جغرافية القارة الافريقية وجزرها، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان، مصراته، 2000م.

79. مقدم مبروك مقدم: الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي، ط1، مؤسسة الجزائر كتاب، تلمسان، 2002.

80. مقلاتي عبد الله ، رحوم محفوظ، دور منطقة توات الجزائرية في نشر الإسلام والثقافة العربية بإفريقيا الغربية، (ط1)، 2009.

81. موسى فيصل محمد، تاريخ افريقيا الحديث والمعاصر، منشورات الجامعة المفتوحة، بنغازي، 1997.

82. مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، تع: سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، (دت)، بغداد (دط).

83. مؤنس حسين، أطلس تاريخ الاسلام (دط)، دج، دار الزهراء للاعلام العربي، القاهرة، 1987 م.

84. ميشال حداد حليمة: قصة وتاريخ الحضارات العربية بين الأمس واليوم تونس،(د ط)، العدد 21 –22، 1999م.

85. ميقا أبو بكر اسماعيل، الحركة العلمية والثقافية والاصلاحية في السودان الغربي، (ط1) مكتبة التوبة، الرياض، 1997م.

86. نياني ج . ت. ، تاريخ افريقيا العام، المطبعة الكاثولكية، 1988 م، بيروت، (دط)، ج 04.

87. هلال عمار: الطرق الصوفية ونشر الإسلام والثقافة العربية في غرب إفريقيا السمراء، ط1، منشورات وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر، 1988م.

88. هلال عمار، الطرق الصوفية ونشر الاسلام والثقافة العربية في غرب افريقيا السمراء، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007م.

89. يحي بوعزيز: تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن السادس عشر إلى مطلع القرن العشرين، دار هومة، الجزائر،2001.

ثالثا:المراجع الأجنبية

1. Sain **Louis**: notice sur laregion de Tombouctou،lmprimerie gouvernement،1869.
2. Oskar lenz: Tombouctou vayaga au maroc au sahara et au soudan،tome 2،Libraie Haghette، 1887،
3. Iygien marg، le pays massi emibelose iibrair، editeur، paris 1909.

رابعا: المجلات

1. بدوي عبد الرحمن: مجلة نهضة إفريقيا، من أنور الجندي، العالم الإسلامي والاستعمار السياسي والاجتماعي والثقافي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، عام 1979م.

2. بلحميسي مولاي: مدينة ورقلة في رحلة العياشي، مجلة الأصالة، ع 41، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، 1974، الجزائر.

3. بن هشام أبو محمد عبد الملك: تحقيق مصطفى السقا وآخرون، السيرة النبوية، المجلد الأول، دار القلم، بيروت، بدون تاريخ، المجلد الأول.

4. الحرير عبد المولى: الإسلام وأثره على التطورات السياسية والفكرية والاقتصادية في إفريقيا جنوب الصحراء: مجلة البحوث التاريخية، العدد الثالث، طرابلس، مركز الجهاد 1989.

5. حسين أحمد إلياس: طرق القوافل عبر الصحراء والممالك الإفريقية جنوبي الصحراء الكبرى في المصادر العربية في القرن السادس الهجري (العاشر الميلادي) . مجلة دراسات افريقية مركز البحوث والدراسات الإفريقية جامعة إفريقيا العالمية . العدد الثاني.

6. حمدان جمال: الإسلام في إفريقيا، مجلة نوفمبر 1963.

7. حوتية محمد: الطرق الصوفية بإقليم توات وغرب افريقيا خلال القرنيين 18-19، مجلة المؤرخ العربي، العدد 17، المجلد الأول، اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة، مصر، مارس، 2009.

8. زاهر عمر طلعت: الإسلام في مدغشقر، مجلة الأزهر، المجلد،ج6.

9. زكي عبد الرحمن: حركة الإصلاح الديني في غرب إفريقية، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية مدريد، االعدد 13،مدريد (إسبانيا) 1965.1966.

10.سعيدوني ناصر الدين: ورقلة ومنطقتها في العهد العثماني، مجلة الأصالة، الجزائر، ع 41، جانفي 1977.

11.الشامي أحمد: نظرات في هجرة المسلمين إلى الحبشة، المؤرخ العربي، العدد 16، بغداد،1981.

12.الصديق الحاج أحمد آل المغيلي: شخصية محمد بن عبد الكريم المغيلي، رسالة ادرار، مجلة دورية، ع1، 2011، أدرار.

13.عبد العزيز كامل: الرسول والتفرقة العنصرية، المؤرخ العربي، العدد 16، بغداد 1981.

14.عبد الكريم الأمين: الصراع بين القوى الإسلامية والمسيحية في اثيوبيا، مجلة دراسات إفريقية، العدد الأول.

15.تركماني عبد الله: التنمية في إفريقيا، المعوقات وفاق المستقبل، العدد2818، 2009/11/2.

16.عبد المولى صالح الحرير: الإسلام وأثره على التطورات السياسية والفكرية والاقتصادية في أفريقيا جنوب الصحراء، مجلة البحوث التاريخية،ع م، س،11 يوليو 1919، طرابلس، مركز جهاد الليبيين.

17.قاسم عون الشريف: الصراع المسيحي في إفريقيا، مجلة دراسات إفريقية بجامعة إفريقيا العالمية، الخرطوم، العدد العشرون

18.قدور نجاح: إفريقيا وإستراتيجية مكافحة التصحر في ظل الاتحاد الإفريقي، مجلة دراسات، طرابلس، العدد 12، 2003.

19.محمود عبد الصادق الصادق: مقومات ومعيقات التنمية الاقتصادية في إفريقيا نظرة جغرافية، مجلة الجامعة الأسمرية، العدد 21.

20.مخلوف محمد عبده . مجلة نهضة افريقيا . عام 1957م.

21.مزين محمد: المغرب وبلاد السودان خلال القرنين 16و17 الملاديين، مجلة المؤرخ، يصدرها اتحاد المؤرخين العرب، عدد 10.

22.مقلاتي عبد الله: موقف الشيخ المغيلي من يهود توات، مجلة الحقيقة، تصدرها جامعة، أدرار، العدد 6، (ماي 2005).

23.الهيتي نوزاد عبد الرحمن: التنمية في افريقيا وتحدياتها في القرن الحادي والعشرين، مجلة دراسات، طرابلس، العدد10، 2002.

خامسا: الرسائل الجامعية

1. باي مريم وآخرون، الدور الاقتصادي والثقافي لمدينة تمبكتو خلال القرن 10 هـ – 16 م، مذكرة مكملة لنيل شهادة الليسانس للتاريخ العام، اشراف عمار غرايسة، قسم التاريخ، جامعة الوادي، 2011– 2012م.

2. بوداودية مبخوت: الحركة العلمية في اقليم توات خلال القرن 08–10 هـ، مذكرة لنيل شهادة الماجستر في تاريخ المغرب الاسلامي، قسم التاريخ، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2011– 2012م.

3. حاج أحمد نور الدين: المنهج الدعوي للإمام المغيلي من خلال الرسائل التي بعثها للملوك والأمراء والعلماء، رسالة ماجستير في الشريعة الإسلامية، قسم أصول الدين، جامعة باتنة، 1431هـ/ 2010م.

4. حاج عيسى إلياس بن عمر: مدينة ورجلان _ دراسة في النشاط الاقتصادي والحياة الفكرية (في الفترة 4 . 10هـ / 10 . 16 م)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الاسلامي، اش، عبد العزيز لعرج، جامعة الجزائر، 1429 . 1430 هـ / 2008 . 2009 م.

5. سعودي يمينه: الحياة الأدبية في قسنطينة (خلال الفترة العثمانية)، رسالة ماجستير في الأدب الجزائري القديم، جامعة الاخوة منتوري – قسنطينة.

6. شافو رضوان: الجنوب الشرقي خلال العهد الاستعماري، ورقلة نموذجا، 1844–1962، رسالة دكتوراه مخطوط، إشراف التلمساني بن يوسف، جامعة الجزائر، 2012.

7. عبد الله عباس: الدور الحضاري لإقليم توات وتأثيراته في بلاد السودان المغربي: رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الجزائر،2001.

8. عصموني خليفة: التكامل بين المنظمات الفرعية الاقليمية ودورها في تحقيق الوحدة الافريقية، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه تخصص علوم سياسة، (غير منشورة)، جامعة أبي بكر بالقايد تلمسان، 2015/2014، ص 256.

9. قرح هاجر: الاستعمار الفرنسي في غرب افرقيا وآثاره السياسية والاجتماعية خلال القرنين (19 – 20)، مذكرة لنيل شهادة الماستر تخصص تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر، جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي، 2016/2015

10.مبارك جعفري: الحياة العلمية في إقليم توات وانعكاساتها جنوب الصحراء خلال القرن 12هـ / 18م، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2009.

11.منصور محمد الكيخيا: المتغيرات السكانية والتنمية، وقائع المؤتمر الوطني حول السكان والتنمية، الهيئة الوطنية للمعلومات والتوثيق 21-2004/11/22م، مجلة الدراسات العليا، أكاديمية الدراسات العليا، مجموعة النيل العربية، القاهرة، تحرير سالم أبو عائشة، ميلاد سعيد ميلاد.

سادسا: المواقع الإلكترونية

1. كمال محمد عبيد: آفاق الإستصمار الثقافي في إفريقيا،من الانترنيت، موقع شبكة المشكاة الإسلامية، 1425هـ،ص5.

2. منظمة الوحدة الإفريقية: خطة عمل لاجوس من أجل التنمية الاقتصادية لإفريقيا، 1980.2000م،ص2.عن الموقع الإلكتروني www.moqatel.com، توفيق المسطر، المستقبل البيئي للقارة الإفريقية، الهيئة العامة للبيئة، مجلة البيئة، العدد 23، 2004م، طرابلس، ص10.

3. هالة جمال ثابت: الفقر في إفريقيا خصوصيته وإستراتجيته واختزاله، مجلة قراءات افريقية، العدد 02،2005م، عن الموقع الالكتروني، www.albaya.magazine.com..

4. خالد المحجوبي: العوائق التنموية في القارة الإفريقية تشخيص وعلاج، عن الموقع الالكتروني www.greenbookstudies.com،

5. مايكل هولمان: إفريقيا..... معيقات التنمية في قارة ينخرها الفساد، عن الموقع الا

6. لكتروني،.www.Iraqcp.org.

الفهارس

فهرس الملاحق

الملحق	الغنوان	الصفحة
01	الموقع الفلكي لقارة افريقيا	124
02	يمثل دول غرب افريقيا	125
03	خريطة توضح الموقع الجغرافي لمدينة تمبكتو على حافة نهر النيجر	126
04	مملكة سنغاي خلال القرن السادس عشر ميلادي	127
05	وارجلان والمراكز المحيطة بها	128
06	خريطة توضح المحاور التجارية الهامة الرابطة بين تمبكتو ومختلف الأقطار	129
07	الطرق التجارية الابرة للصحراء الكبرى	130
08	صورة الجامع الكبير في تمبكتو	131
09	مسجد مدينة غاو	132

فهرس الموضوعات

شكر وعرفان .....

مـقدمة: .....أ

الفصل الأول

جغرافية الحواضر الافريقية والجزائرية

المبحث الأول: جغرافية الحواضر الإفريقية (إفريقيا جنوب الصحراء) 8

1-تمبكتو : 12

2-جيني: 15

3- السنغاي: 17

4) الجاو (كوكو): 19

5- اودغست: 21

المبحث الثاني: جغرافية الحواضر الجزائرية 23

1-الجزائر : 24

2-قسنطينة: 25

3-تلمسان : 26

4-ورجلان: 28

5- توات: 30

الفصل الثاني

التواصل الحضاري بين الجزائر وإفريقيا جنوب الصحراء

1-طرق القوافل 33

2-الهجرات 33

3-الائمة والدعاة والفقهاء 33

4-الطرق الصوفية 33

المبحث الاول: طرق ووسائل التواصل الحضاري 34

1- طرق القوافل: 37

3-الائمة والدعاة والفقهاء : 76

4-الطرق الصوفية: 82

المبحث الثاني: مظاهر التواصل الحضاري والحركة العلمية وأعلامها والإفريقية 88

1- الجزائرية: 88

2- الإفريقية: 98

الفصل الثالث

التحديات والسبل الممكنة لإنعاش التواصل الحضاري

المبحث الثاني: الحلول والسبل الممكنة لإنعاش التواصل الحضاري بين الجزائر وإفريقيا جنوب الصحراء 101

المبحث الأول: معيقات التواصل الحضاري.....107

1-المعيقات الطبيعية 107

2-المعيقات البشرية 109

المبحث الثاني: الحلول والسبل الممكنة لإنعاش التواصل الحضاري بين الجزائر وإفريقيا جنوب الصحراء.....115

خاتمة: 120

الملاحق 123

قائمة المصادر والمراجع: 133

فهرس الموضوعات.....153